

رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية.. والخروج

غطاس محمد الملك الخشبة



دار الهلال

0168639



Bibliotheca Alexandrina

رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج

بقلم

عطاس عبد الملك الخشبة

دار الهلال

نقدم هذا الكتاب الفريد ،
عن تلك الرحلة التاريخية
التي شغلت أفكار الكثيرين
من العلماء وأصحاب التاريخ
والمصريات ، نرجو أن نكون
قد استوفينا أنحاءها جميعا ،
وأن يكون القول فى ذلك قد
كشف كثيرا من الغموض
الذى أحال القصة إلى ما
يشبه الأساطير ، وأن يكون
هذا أقصى ما يمكن أن يحيط
بأطرافها فى كتاب .

المؤلف

راجع النصوص عن التوراة الأنبا
غريغوريوس أستاذ البحث
العلمى بالبطريركية المرقسية
بالقاهرة

تصدير

بقلم : د . إبراهيم أحمد رزقانة

هذا الكتاب الممتع إنما يروى لنا قصة شعبية تتصل بتاريخنا الدينى والسياسى ، بل ويتعرض فى بدايتها إلى نشأة الإنسان على الأرض ، وتلك قصة معروفة سبق أن اختلف القول فى مضمونها من حيث الشكل وترتيب الحوادث ، غير أن المؤلف هنا جمع أطرافها ونظمها فى تسلسل يدفع الناظر فيها لأن يتخيلها كاملة .

والمعروف أن بعض القصص ، من هذا القبيل ، قد لا ترقى إلى المستوى الموثق بالتاريخ العام الذى يناقش الموضوعات دون حساسية فى الدين أو فى القومية ، فتبدو لذلك فى حاجة ماسة إلى التحقيق فى بعض أجزائها .

ومن ذلك ما استعرضه المؤلف فى بداية الكتاب عن خلق الإنسان وحادثة الطوفان ، فتسأل : هل البشرية من أصل واحد منذ البدء من لدن آدم ، أم أنه تجدد مرة أو أكثر ؟ ، بمعنى : هل الإنسان ينتمى إلى آدم الأول ، أو إلى أكثر من آدم واحد ؟

وهذا الموضوع نظر فيه علماء التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية ، وقالوا بما جاءت به الأديان فى صراحة لاتقبل الشك ، وهو أن الإنسان إنما يرجع إلى آدم الأول الذى نشأ وتسلسل حتى الآن فى مجموعة الأجناس البشرية بألوانها وعاداتها وعقائدها .

وينبغي أن نؤكد أن مناقشة القصص التي تجنح نحو العقائد الدينية ،
لأتمس الإيمان بشيء ، لأن أصحابها وهم الساميون عامة ، وبنو إسرائيل
خاصة ، لم يكونوا إذ ذاك هم كل البشرية في الوجود ، ولم يكونوا هم
وحدهم أصحاب ديانة ولا أتباع رسل ، فالقرآن الكريم ، وهو أحدث الكتب
المقدسة ، يقول في محكم آياته : « ومنهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك » . وهو قول يتفق مع الدراسات العلمية في مجال ما قبل
التاريخ ، ثم في التاريخ الطبيعي للجنس البشري ، وفي التاريخ العتيق
العام ، وما بعده .

ولذلك فإن مناقشة القصص في جزئية ، من جزئيات البشرية ، لا يعنى
إلا تاريخ هذه الجزئية ، ولا يمس الإيمان بالله ، لا من قريب ولا من بعيد ،
فإن إله الكون واحد دائم الوجود ، وما الكرة الأرضية إلا شيء ضئيل جدا
في هذا الكون اللانهائي ، ولو زالت الأرض لما انتقص منه شيء .

ورغم أن قصة هذا الكتاب عن رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية
والخروج ، تقتزن بالتاريخ المصرى القديم مباشرة ، فهي مع ذلك لم تذكر
في الوثائق المصرية أصلا ، وأيضا على الرغم من أن مصر وبلاد آسيا
الصغرى من أقدم الأمم على الأرض قاطبة ، وأنها تسبق تلك القصة بأجيال
طويلة ، قبل عهد إبراهيم الخليل ، فإنه ليس من حق شعب من الشعوب أن
يدعى عن طريق القصص أنه كان رأسا أو أصلا للبشرية ، لأن هذا إدعاء
مردود بالحجة .

وليس فيما تقدم ما يعيب القول في قصة بنى إسرائيل والخروج ، فهي
ذات شواهد في التوراة وفي القرآن الكريم ، وكتب فيها بعض من أهل العلم
والمعرفة بالتاريخ .

وهذا الكتاب قد احتوى القصة على الترتيب من بدايتها مما يلي الطوفان
الأعظم ، متتبعا هجرة سيدنا إبراهيم الخليل من أرض الكلدانيين بالعراق ،

حتى جاء إلى أرض فلسطين ، ثم نزوله إلى مصر ، ثم يلي ذلك قدوم يوسف الصديق خلال غزو الهكسوس العماليق مصر ، ثم نزول بني إسرائيل في ذلك العهد ، وانتهى به القول الى الخروج ، مؤيدا ذلك بالتاريخ والجداول والرسوم ، على الوجه الذى ارتآه المؤلف .

فالكتاب يحكى تلك القصة باستطراد معتمدا على ما جاء فى التوراة وفى مراجع التاريخ العام ، وفيما سبق القول فيه من أنحاء الموضوع ، مما للمؤلف فيه وجهة نظر آخر ، ويتميز مع ذلك بحسن الاسلوب مع تسلسل القول على الترتيب ، دون أن يرتفع الى مستوى الصديق باليقين ، أو ينخفض إلى ماهو فى جملة الاساطير الخرافية .

فقصة بني إسرائيل فى مصر والخروج تامة فى ذاتها من جميع الجوانب فى هذا الكتاب ، ونحن نأمل أن يكون للتوسع فيها على هذا النحو وجه فائدة للتاريخ .

.

مقدمة

موضوع كتابنا هذا يحكى رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، وهى قصة تاريخية قديمة ذكرتها التوراة ، تكتنفها حوادث يختلط بعضها مع تاريخ مصر القديم ، فى غموض ، أو بإزاء شواهد تبدو فى ذاتها صحيحة ، ومع ذلك ليس لها فى وثائق الآثار المصرية ما يدل عليها صراحة ، فلم يرد ذكر إسرائيل فيها غير مرة واحدة ، فى وثيقة تنسب الى عهد الملك « مرنبتاح » والمرجح أنه لم يكن يعنى بنى إسرائيل هؤلاء بالذات ، وذلك لسبب يبدو واضحا وهو أن دخولهم إلى مصر ، كان فى عهد ملوك الرعاة (الهكسوس) وظلوا فيها مائتى وعشر سنين ، وبين ذلك الى عهد الملك « مرنتباح » ، ما يقرب من خمسمائة عام .

والوثائق المصرية قديما ، كان لايدون فيها من الحوادث غير ما هو فى صميم التاريخ المصرى ، وعلى الوجه المضىء له ، الذى به يصح اشهارها ، وقد يان مثل ذلك فى غزو « الهكسوس » لمصر ، فقد اضطربت تواريخ الأسرات من الثالثة عشرة الى نهاية السابعة عشرة ، ولايزال حتى الآن ترتيب أسماء الملوك وسنو الحكم فى كل منها متعذرا تماما فى الآثار .

والمشاهد فى القديم من القصص التاريخية ، وخاصة مايلحق منها أطراف العقائد الدينية ، متى لم تكن موثقة فى تضاعيف التاريخ العام ، فإنها قد تفقد بعض رونقها فى حبك الحكاية ، وقد يختلف القول فى بعض أنحاء منها ، غير أن قصة بنى إسرائيل هذه ، لما كان مصدرها بالتفصيل

فى التوراة ، ثم مواضع منها فى القرآن الكريم ، وبدا فيها من الشواهد بعض الذى يخل للناظر أنه يتفق فى التاريخ مع نظائر لها فى الآثار ، فقد أضفى ذلك عليها مميزات تنحوبها الى الاعتقاد ظنا ، بأنها قد حدثت بالفعل ، وبهذا النحو شغلت هذه القصة أذهان المؤرخين والباحثين ، ليس على سبيل القطع باليقين بل إنما على مستوى الاجتهاد فيما يمكن فيه إعادة النظر بالتدقيق فى أنحاء التاريخ العام ، مع التجاوز عما هو عند البعض صدق باليقين ، أو ما هو غير ذلك ظن عند آخرين ، فالأمر لا يتجاوز محاولة البحث باستقصاء عن الحقيقة .

والذين كتبوا من قبل فى موضوع قصة بنى إسرائيل فى مصر الفرعونية ، إنما تناولوها من نهايتها ، فى القول عن الخروج ، وكيفيته وموضعه من سيناء ، ومع كثرة ما قيل فى ذلك فقد اختلفوا جميعا فى الزمان والمكان ، عندما اختلف عليهم التاريخ القديم وخفيت عنهم أسماء المواضع التى جاء ذكرها فى التوراة ، فنظروا فى ذلك على ظنون منهم بقدر ماتخلوه .

فأما قصة بنى إسرائيل فى كتابنا هذا ، الذى نحن بصددده فى هذه المقدمة ، فإنها على استيفاء واسع النطاق ، مع مايكتنفها تباعا فى ترتيب واضح مترابط الأزمنة مع التاريخ العام وتاريخ مصر الفرعونية خاصة ، وعلى اتساق مع ما جاء بالتفصيل فى الحكاية ، مدعم كل ذلك بالشرح والجداول والرسوم والخرائط الطبوغرافية والمصادر القديمة ، بقدر المستطاع مما يبين فيه ، مدى الجهد الذى بذل فى اخراجه على هذا النمط المتكامل .

وهذا الكتاب ، فضلا عن استيفائه الموضوع الذى كتب من أجله ، فيه متعة القراءة وتقييم المعانى ، ووجه نظر آخر فى تعريف بعض ماغمض من التسميات القديمة ، وفيما قيل فى مواضع من تاريخ مصر القديم ، تدخل فى سياق هذه القصة الطريفة ، مما يلزم أن يعاد النظر فيه ، دون أن يتطرق اليه

الشك مع تفسيراتها الشاذة .

فأما بداية الرحلة ، التى نحن بصدها هنا ، فقد كانت فى زمن ابراهيم الخليل ، فى أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد . عندما هرب من أرض الكلدانيين هو واخوته وأبوه الى « حاران » بين النهرين فى شمال العراق خوفا من الملك « زاميس بن نينوس » الذى اهدر دمه اذا لم يسجد للثريا^(١) والأصنام ، كما يعبد الآشوريون ، وظل بها أربع عشرة سنة ، فلما مات أبوه عبر الفرات إلى أرض كنعان ، ثم نزل منها الى مصر مغتربا ، ومعه لوط ابن اخيه ، على رأس قافلة من أهل الشام يحملون هدايا إلى الملك « سنوسرت الثانى » رابع ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ودعا اسمه « أبشا Abisha » .

ثم تلاه « يوسف الصديق » أحد أحفاده ، من أولاد يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم ، بعد أن باعه إخوته إلى قافلة من التجار الاسماعيليين ، كانت فى طريقها الى مصر ، فاشتراه ، « فوطيفار » رئيس شرطة فرعون .

ثم كملت الرحلة الى مصر بنزل أبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، الذى يدعى أيضا « إسرائيل » ، وهو أبو الأسباط الإثني عشر ، مع بنيه ونسائهم وأولادهم جميعا ، وكان عددهم إذ ذاك سبعين نفسا^(٢) .

فأما نهاية هذه الرحلة فقد كانت بالخروج من مصر ، بقيادة موسى النبى ، بعد أن مكثوا مائتين وعشر سنين ، ذاقوا فى أواخرها ذل عبودية قاسية ، بعد طرد الهكسوس ، منذ ابتداء الاسرة الثامنة عشرة الى آخر حكم الملكة « حتشبسوت » ، وكان عددهم فى أول السنة الثانية من الخروج ، عندما دخلوا إلى برية سيناء ، ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلا ، عدا الشيوخ والنساء والأولاد ، كما ذكرت التوراة^(٣) ، وقد مكثوا فى التية أربعين سنة ، قبل أن يدخلوا أرض كنعان .

ورغم مرور مايقرب من خمسة وثلاثين قرنا من الزمان على تلك الرحلة التاريخية ، فهى لاتزال الى الآن ، موضوعا حيا يشغل أفكار المؤرخين

والباحثين ، وعلماء المصريات فى مشقة بالغة ، حتى يكاد أن يظن بأنها خرافة قد ابتدعها اليهود .

والقصة فى ذلك ليس لها من مصادر غير التوراة ، مع بعض شواهد من التاريخ القديم ، مما لا يدع للناظر فسحة أن ينفك عن هذين ، فيظل فى حيرة قد تدفعه الى الاستنتاج ، فيتعرض الى شطط فى القول غير مقبول . فأما الأمور التى يقف بازائها الباحث فى تردد أو جهل ، متى أراد استكمال أنحاء الموضوع على استقصاء مع ربط أطرافها جميعا بما يقابلها أو يتصل بها من حوادث التاريخ العام ، فإننا نلخصها هنا فيما يلى :

١ - البدء منذ آدم ، على الوجه الذى وصف به فى التوراة أنه أبو البشر جميعا ، وأن اولاده الثلاثة ، باسمائهم ، التى ذكرت هناك ، هم المدخل إلى تاريخ الانسانية الكاملة فى العالم .

٢ - حدوث الطوفان الأعظم فى زمان نوح ، كما جاء فى نص التوراة بأنه قضى على كل قائم حى ، على الأرض ، غير نوح وبنيه ومن كانوا معه فى الفلك ، حيث يوحى هذا بأنه أعد كذلك ، ليكون نوح وأولاده كل منهم بمثابة آدم آخر .

٣ - استقصاء أصل المصريين القدماء فى العصر العتيق الذى سبق عهد الأسرات الفرعونية يلح فيه التساؤل :

- هل هم من نسل آدم الأول ، الذى ذكرته التوراة ، بفرض ان الحياة كانت متصلة الى ما بعد الطوفان ، أم أنهم من نسل نوح ، على زعم انقطاع الحياة حينئذ ، وكما ارتأت الشعوب جميعا ان تصفهم ثم نقل ذلك عنهم التاريخ القديم ، الذى يشير إلى أن القبائل السامية والحامية والآرية فى العالم ينتسبون الى اولاد نوح ، وهم سام وحام ويافت .

٤ - ضبط تاريخ ميلاد إبراهيم الخليل ، بحيث يمكن أن يعد هذا ، اذ صح ، كالضوء الذى ينير ظلام ماتقدم من غابر السنين ، ويكتمل به ماتأخر

عنه إلى أقرب ما يتعلق به من الحوادث المعهودة التاريخ عن يقين ، فيتكشف بذلك تاريخ كل من أولاده واحفاده ، ويعلم حينئذ من هو بالحقيقة فرعون إبراهيم ، عندما نزل إلى مصر ومن هو فرعون يوسف من بعده ، وبالتالي من هو الفرعون الذى سمح بدخول بنى إسرائيل إلى مصر ، ومن هو فرعون موسى النبى الذى قادهم فى الخروج إلى برية سيناء ؟

٥ - إلزام الناظر هنا بتحديد تاريخ غزو الهكسوس لمصر ، فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة ، لأن تفصيل المدة التى قضوها حكاما على المصريين إنما هو ضرورة ملحة ، يمكن بها أن يتبين الفرق بين هؤلاء ، على أنهم قوم غزاة من الرعاة البدو العماليق ، وبين أولئك من بنى إسرائيل ، على أنهم من الرعاة المستوطنين ، فيسهل بذلك تحديد زمن الخروج لكل منهما ، دون أن نخلط بينهما فى شىء .

٦ - ومتى استكمل البحث كل ذلك ، أمكن أن ينظر أخيرا فى الطريق الذى سلكه بنو إسرائيل حين خروجهم من مصر ، بقيادة موسى النبى ، هل كان ذلك بارتياح الصحراء الشرقية إلى سيناء ، عن طريق مخاضة خليج السويس ، كما يرى البعض ، أم كان من جهة الشمال ، عند مستنقعات جنوبى بحيرة المنزلة ، ثم بالانعراج شرقا إلى سيناء ؟ وهو رأى آخر ، وفى الحالتين ، هل كان غرق فرعون وجنوده حقيقة محتملة ؟ أم أنه مبالغة فى الأمر ، بعد أن تعذر على الجيش أن يعبر المخاضة التى غاصت فيها مقدمته ، أو أن يتخلص منها ؟

هذه جميعا ، مع ما يكتنفها من دراسات تكميلية ، بعضها يختص بضبط التواريخ تباعا ، منذ آدم فرضا إلى زمان خروج بنى إسرائيل وما يليه ، وبعضها بشأن استقصاء أسماء الاعلام والأماكن والمواقع الغربية التى ذكرتها التوراة ، ثم تجميع أطراف الحوادث على التوالى ، مع تسلسل تاريخ الأسرات الفرعونية ، كل ذلك قد أجهد تفكير الذين حاولوا أن يتناولوها

فأخرجوها عن منهج بحثهم أصلا ، حيث تبين لنا أن كل ما قيل في ذلك كان مجملا وفي اتجاهات غير مترابطة أو منتظمة ، وعلى محور واحد من حيث نقطة الخروج ، دون اقتران القول فيه بما يؤيده على وجه ما من التفصيل .

والقصة في ذاتها ، رغم انها لا توجد تامة في موضع آخر غير التوراة ، فهي على مستوى المعرفة واحدة من غرائب التاريخ القديم لبني إسرائيل ، ينظر فيها العلماء والباحثون على هذا الوجه دون حساسية من جهة العقائد والمعجزات ، ودون النظر في تاريخ الأمم ، إلا بالقدر الذي يتحملة اطراد القول .

وعلى هذا النهج قد سلطنا في كتابنا هذا ، الذي يتضمن رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، كما ذكرتها التوراة وكما أوضحنا نحن أطرافها وأنحاءها ، بفرض انها قصة تاريخية اختلف القول في توضيحها من جهة الزمان والمكان وحبك الرواية فيها مع التاريخ المصري القديم ، وعلى أن القول في ذلك لا يستقيم إلا عن استقصاءات يتعمدها الناظر بقدر الاستطاعة ، دون خروج عن الأصل الذي رويت به في مصادرها .

وقد حاولنا جهد الطاقة أن نستوفي أنحاء الموضوع على انتظام فقسمنا القول في ذلك إلى خمسة أبواب فيها سبعة عشر فصلا :

(١) « الثريا » : اسم نجم معروف ، سمي كذلك لأنه يبدو متلائنا ، وكأنه عدة نجوم ، فأطلق عليه التصغير على سبيل الكثرة ، فقليل : « الثريا » - انظر (لسان العرب) .
والمصريون القدماء كانوا يسمونه :
(سيبت) Sipdt

ويعبدونه إله سيناء ، وكان الآشوريون وأهل بابل وما بين النهرين والعرب قديما يعبدونه ، فيما يسميه الآسيويون أيضا الإلهة « عشتروت » زوجة الإله « بعل » وهو كوكب المشترى .

(٢) « التوراة » سفر التكوين - ص ٤٧/٤٦ ، قال .
« جميع النفوس ليعقوب التي أتت الى مصر الخارجة من صلبه ، ماعدا نساء بنى يعقوب
جميع النفوس ست وستون نفسا ، وإينا يوسف اللذان ولدا فى مصر نفسان ، جميع نفوس بيد
يعقوب التي جاءت الى مصر سبعون » .

(٣) كذا فى التوراة سفر الخروج ، ص - ٣٧/١٢ - قال
« فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس الى سكوت نحو ست مائة ألف ماش من الرجال ، عد
الأولاد .. » وانظر « سفر العدد » - ص ٤٦/٨ أيضا وفى ذات الموضع / عدد ٤٠ - قال
« وأما إقامة بنى إسرائيل التي أقاموها فى مصر ، فكانت أربع مائة وثلاثين سنة .. »
ويبدو أن العدد من الناس مبالغ فيه بالقياس الى معدلات المواليد والوفيات ، فى المدة التي
قضوها فى مصر وهى مائتان وعشر سنين ، وليست أربع مائة وثلاثين ، كما ذكرتها التوراة
على زعم انها منذ نزول ابراهيم الى مصر وقد يكون المجموع اقرب الى عشرات الآلاف
وليس مئات الآلاف . من الناس

الباب الأول

البعد منذ آدم إلى إبراهيم الخليل

- البعد من لدن آدم
- الطوفان بين آدم وبين إبراهيم في ضوء التقويم العبرى
- نسل آدم قبل الطوفان
- نسل أولاد نوح بعد الطوفان

البدء من لدن آدم

البدء ، يراد به هنا ، ابتداء ظهور الإنسان العاقل الكامل على الأرض ، أو هو بدء تاريخ الانسانية ، والقول فى هذا ليس واضحا تماما على وجه واحد يمكن التيقن منه ، بل إنما هو بالقياس إلى تصورات حقائق تستنبط من محصلات الأشياء التى تتخيل أنها صحيحة ، أو مما يمكن تحليلها ، والناظر فى ذلك لايسعه إلا أن يجمع بين تصوره وبين ما جاء فى كتب الدين ، التى استهلت القول فى ذلك بمبادئ السموات والأرض .

فأما البدء عند أصحاب العلوم الطبيعية ، والفلك والحياة ، وطبقات الأرض والحفريات ، فيحتويه عدة بحوث متماسكة عن تطورات طبيعية متعالية فى القدم ، يستدلون عليها من عمليات قياسية وتحليلية ، ويستخرجون من ذلك بطرائقهم وتصوراتهم نتائج قد يتقبلها العقل وقد يقف عندها حائرا ، ولهم فى ذلك شواهد فى الاستدلال .

والفلكيون يذكرون أن الكون مجموعات من السدم الغازية المتماسكة بالقوة فى مجرات يتوسط كل منها نجم لامع بمثابة النواة من الذرة ، ومجموعتنا واحدة منها مركزها نجم الشمس ، تدور حوله الكواكب كل فى فلك بقوة الجاذبية الكونية ، والأرض إحدى هذه ، وقد ظلت ملايين عديدة من السنين فى تطورات طبيعية حتى ظهرت الحياة عليها بعد أن استكملت أسبابها تدريجيا خلال تلك الأزمنة الطوال^(١) .

والإنسان أقرب الأحياء على الأرض زمانا إلى التاريخ ، فلم يظهر إلا قريبا جدا ، منذ مايقرب من عشرين ألف سنة قبل الميلاد ، تخللتها عهود مطيرة ، وأجواء شديدة الحرارة والبرودة ، فكان يعيش كالحوانات البرية ، أقرب إلى سلوك الشمبانزى فى القردة ، منه إلى الإنسان ، ولم يكتمل فى الهيئة والعقل إلا فى أوائل العصر الحجري الحديث ، قريبا من ستة آلاف سنة قبل الميلاد ، ولم يكن إذ ذاك جنسا واحدا فى نوعه ، بل إنما كان فى ثلاث هيئات من جنسه تختلف فى اللون باختلاف سمت الشمس على البقعة التى ظهر وعاش فيها ، فمنه الأسود والأحمر والأبيض .

وقد اتفق الناس على تسمية الجد الأعلى للإنسان باسم : آدم الأول ، إما لأدمة فيه ، وهى كلون التربة بأنواعها ، وإما لكماله وتمامه فى الخلقة ، وسميت امرأته : حواء ، لحوة فيها تتميز بها ، وهى حمرة الشفتين مع ليونة جلدها ، وفى « التوراة » : أن الله ألقى على آدم سباتا ثم استل منه ضلعا فكساه لحما وخلق له حواء زوجة له .

فأما أقدم العقائد الدينية التى نظرت فى بدء الخليقة وأصل الحياة وظهور آدم أبى البشرية على الأرض ، ثم فى الموت ومابعده ، فإننا نلمس ذلك فيما اقتنع به الكهنة المصريون القدماء ، منذ أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وهو مايعد بحق أقصى مايمكن أن يتخيله العقل الإنسانى فى هذا الشأن وأقربه إلى التشبيه بما جاء فى كتب الأنبياء وفيما ارتآه أصحاب العلم الطبيعى ، مع الفارق فى الزمان بين هذه وبين تلك ، دون اعتبار أن المصريين القدماء كانوا وثنيين على الإطلاق ، حيث قد ظهر أن جميع معتقدات الإنسان القديم فى ذلك كانت تدور حول ما ارتآه قدماء المصريين .

فقد كانوا يعتقدون أنه . فى البدء كان الغمر والظلمة ، ثم ظهر إله الشمس (رع ☸) خلف تل من اليابسة هرمى الشكل ، وقف عليه الإله : (اتوم ⲁⲩⲱⲙ) أبو البشر) وذلك بعد أن برز من الغمر وخلق

نفسه من الماء والطين تاما كاملا .

وشبيه بهذا ماجاء فى أول سفر التكوين ، من التوراة ، فى قوله :
* فى البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخاوية ،
وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه ، وفصل الله بين النور
والظلمة ، ودعا الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساء وكان
صباح يوما واحدا .

وسفر التكوين ، من التوراة ، أول الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى
النبي ، واليهود يسمونه : « فى البدء » لأنه يذكر ابتداء خلق السموات
والأرض والكائنات ، وأن الله خلق آدم وحواء امرأته فى اليوم السادس ، ثم
استراح فى اليوم السابع وقدهسه .

وفى القرآن الكريم من الآيات شواهد على صحة ماجاء فى التوراة ، أو
مناقضات لبعض ذلك ، وكل قول فى كليهما له عند أهله من فقهاء الدين منهج
فى النظر والتفسير والتأويل ، دون أن يكون فى ذلك ما يناقض مذهب القول
فى ابتداء الخليقة ونشأة آدم من تراب الأرض .

وأما كيف يكون عمر آدم على التحديد ، فالقول فى ذلك ينظر فيه أصحاب
العلم الطبيعى على وجه يكاد لا يتجاوز فى القدم بداية العصر الحجرى
الحديث ، وينظر فيه فقهاء الديانات على أوجه من التفسير ، أما المؤرخون
فإنهم يميلون إلى الجمع بين آراء الطبيعيين وبين ما يمكن قبوله مما جاء فى
التوراة ، بفرض انها مرجع قديم لا يجوز تجاهله ، رغم اختلاف النسخ
المعهودة المترجمة عن العبرانية .

والنظر فى ذلك ، على هذا القياس ، يمكن أن يكون على افتراضين :

أحدهما أن يكون مع اتصال الحياة من آدم إلى مابعد الطوفان ، والآخر
أن يكون مع انقطاعها بالطوفان وابتداء حياة أخرى ، على الوجه الذى جاء
فى التوراة بأنه قضى على كل قائم حى على الأرض .

وفى كلا هذين الفرضين يضطر الناظر أن يعتمد على أن آدم الذى طرده الله من الجنة لم يكن أبعد من أوائل العصر الحجري الحديث ، منذ قريب من ستة آلاف سنة ، قبل الميلاد ، لأنه إذا تجاوز ذلك خرج عما هو آدم ، كما ذكرته التوراة ، ويعتمد الناظر على بعض الدلائل التاريخية التى تشير الى أن الحياة كانت متصلة من لدن آدم إلى ما بعد الطوفان .

والتوراة فى ذاتها كانت مصدر خلاف بين اليهود وبين النصارى فى عدد السنين بإزاء أعمار أولاد آدم إلى الطوفان ، ثم بإزاء أولاد نوح بعد الطوفان ، إلى تاريخ ميلاد إبراهيم الخليل ، الأمر الذى يعسر معه تحديد عمر آدم ، أو تاريخ حدوث الطوفان ، بما هو أقرب إلى الحقيقة .

فاليهود يعتمدون على النسخة العبرية عندهم ، وهى التى ترجمت إلى اللغات الشرقية واللاتينية ، فى القرن العاشر بعد الميلاد .

والنصارى ليس لديهم غير النسخة اليونانية التى ترجمها من العبرية أحبار من اليهود ، بناء على رغبة « بطلميوس فيلادلفوس » ملك مصر ، مدة حكمه سنة ٢٨٢ - ٢٤٦ ق . م . وتعرف بالنسخة السبعينية .

وترجمة هذه النسخة باليونانية جاء ذكرها فى المراجع القديمة (٢) ، وأكمل هذه مذكره أبو الريحان البيرونى ، فى كتابه : (الآثار الباقية) قال فى هذا الموضع :

« ... وذلك أن طائفة من بنى إسرائيل لما غزا بختنصر بيت المقدس وخربه ، انجلت عنه واعتصمت بملك مصر (٣) ، وأقامت فى جواره إلى أن ملك بطلميوس فيلادلفوس ، واتصل بهذا الملك خبر التوراة ، عند اليهود ، فتفحص عن هذه الطائفة حتى عثر عليهم فى بلدة زهاء ثلاثين ألف نفر ، فأواهم وقربهم وأطلق لهم الإذن فى الانصراف إلى بيت المقدس ، بعد أن أمر كورش ملك فارس بعمارة البيت وعودة اليهود إلى أورشليم ، فخرجوا مع بعض من حاشيته ، وقال لهم : إن لى قبلكم حاجة ، إن أسعفتونى بها فقد تم شكركم لى ، وهى أن تسمحوا لى بنسخة من كتابكم التوراة ، فأجابوه

إلى ذلك وحلفوا له بالوفاء به ، فلما وصلوا إلى بيت المقدس انجزوا وعدهم بانفاذ نسخة منها اليه ، وكانت بالعبرانية فلم يفهمها وعاودهم بطلب من له معرفة ، بالعبرانية واليونانية معا ليترجم له ، ووعدهم الجوائز والصلوات ، فاختاروا من أسباطهم الأثنى عشر اثنين وسبعين رجلا ، من كل سبط ستة نفر من الأحرار والكهنة ، وأسمائهم عند النصارى معروفة ، فنقلوها إلى اليونانية ، بعد أن فرق بينهم ووكّل بكل رجلين منهم من يقوم بشأنهم ، حتى فرغوا من ترجمتها وصار في يده ست وثلاثون نسخة ، وقابل بعضها ببعض فلم يجد فيها إلا ما لا بد من وقوع مثله في اختلاف العبارات عن المعانى المتفقة ، فوفى لهم بما وعد وأحسن تجهيزهم وصرفهم .

وقد قيل في اختلاف سنى أعمار الأعلام ، منذ آدم إلى تاريخ إبراهيم الخليل ، بين الأصل وبين ما في الترجمة اليونانية ، أنه نشأ عن الاشتباه في كتابة الأعداد بحروف المعجم بالعبرية ، على طريقة العرب قديما فيما كانوا يسمونه : حساب الجمل^(٤) ، وتلك حروف يكاد بعضها يقرب في الهيئة مع حروف آخر ، فنتج من ذلك احتمال تصرف الأحرار اليهود في النقل إلى اليونانية ، فاختلفت السنون باختلاف بعض الحروف المتشابهة^(٥) .

غير أن الخلاف في ذلك بين اليهود والنصارى يبدو انه على الوجه الذى ذكره أبو الريحان البيرونى في كتابه : (الآثار الباقية^(٦)) ، وذلك انه يرجع أصلا إلى اعتقاد كل من الفريقين ، فى الزمان الذى يخرج فيه المسيح المنتظر فى آخر الأيام على زعم اليهود ، ثم فى الزمان الذى يولد فيه المسيح عيسى بن مريم ، كما بشرت به الأنبياء قبل ولادته من العذراء .

فاليهود يعتقدون أن المسيح المنتظر سوف يظهر فى آخر الايام^(٧) ، على نهاية ألف وخمسمائة وخمس وثلاثين سنة من ظهور الإسكندر ، حيث تكتمل سنو العالم سبعة آلاف سنة من لدن آدم ، فلما ولد المسيح عيسى وظهر فى النسخة العبرية أن ما بين آدم وبين الإسكندر قريب من أربعة آلاف سنة ، وأن هذه المدة بعينها فى الترجمة السبعينية تزيد على خمسة آلاف ، زعم

النصارى أن اليهود نقصوها حتى تخرج ولادة المسيح عيسى فى منتصف
المدة التى يزعمونها وينتظرونها انتظار شىء قد استيقنوه ، وبذلك يخالف
بشارة الأنبياء .

وكان كل فريق يعمد إلى آية أو جملة من التوراة تقبل التأويل ، فيحولون
حروفها إلى أعداد تجمع بحساب الجمل فتعطى المقدار الذى يفرضونه من
السنين على قدر ما ارتأوه فى تأويلهم ، وقد تبين فيما بعد أن كلا منهما
مدع فى ذلك ، فلم ينته العالم بعد انقضاء السنين التى حددوها منذ قيام
حكم الإسكندر ، على زعم اليهود ، ولم يخرج فى نهايتها مسيحهم المنتظر ،
وكذلك ولد المسيح عيسى بن مريم ولم تصح التواريخ التى حاول النصارى
أن يستنبطوها بالحساب من أقاويل الأنبياء ، بالسريانية أو بالعبرية فى
البشارة بمولده .

وعلى هذا الظن الخاطىء ، ثم الاختلاف فى أعمار المواليد ، كان تاريخ
آدم فى توراة اليهود بالعبرية على بداية سنة ٤٠٠٤ ق . م . وفى التوراة
السبعينية ابتداء من سنة ٥٣٤٠ ق . م ، بفرض أن الفرق بين النسختين ،
فى مجموع سننى المواليد منذ آدم إلى إبراهيم الخليل ، ألف وثلاث مائة
وست وثلاثين سنة .

وقد ذكر عالم الآثار أحمد كمال ، فى كتابه^(٨) ، (علوم وعوائد قدماء
المصريين) : أن هنالك مذاهب كثيرة فى تقدير عمر آدم ، وأكثر ذلك يعتمد
على ماجاء فى التوراة ، غير أنه ثبت لدى المحدثين ، من أصحاب علم
طبقات الأرض ، أن أقصى مايمكن أن يفرض لعمر آدم لايزيد على سنة
٦٠١٦ قبل الميلاد ، على ما رواه « كلانتون Clanton الإنجليزى^(٩) .

ونحن هنا سننظر فى الأمر على قدر ما نحتاج إليه فى كتابنا هذا ، دون أن
نتعمد عمر آدم بغير ما فى نسختى التوراة ، بل إنما سنتتبع الحوادث على
التقويم الميلادى مع مايقابلها بالتقويم العبرى الحديث ، حتى إذا ما اجتزنا

أول عهد الأسرات الفرعونية كان الباقي قابلا للامتداد نحو نسل آدم قبل الطوفان ، ثم يتخطاه نحو آدم على أقرب الفروض المقبولة .

* * *

(١) وفى كتاب (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء) ، لحمزة بن الحسن الأصفهاني ، طبع ألمانيا سنة ١٨٨٤ م ، نقلا عن أبى معشر البلخى قال

« .. والفلكيون يرعمون أنه قد مضى من عمر الدنيا ، منذ أول يوم سارت فيه الكواكب الى اليوم الذى خرج فيه الخليفة المتوكل بالله إلى دمشق ، أربعة الاف ألف ألف ، وثلاثمائة وعشرون ألف ألف ، لسنى الشمس » .

والمراد بذلك أن عمر الأرض والكواكب حول الشمس أربعة آلاف وثلاث مائة وعشرون مليون سنة شمسية ٤٣٢٠,٠٠٠,٠٠٠ منذ ابتدائها إلى سنة ٨٥٨ ميلادية ، وهى سنة ٢٤٤ هجرية ، التى سار فيها المتوكل إلى دمشق .

(٢) انظر كتاب . (تاريخ يوسيفوس اليهودى) المتوفى سنة ١٠٠ م - طبع بيروت سنة ١٨٧٢ م .

وانظر كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) لأبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ - طبع ألمانيا سنة ١٨٧٨ م

(٣) وملك مصر الذى لجأ يهود السبى البابلى اليه فى عهده ، هو الملك (واح اق رع) ، المسمى باليونانية (اقريس - ٥٦٧/٥٨٧ ق م) ، من ملوك الأسرة السادسة والعشرين

(٤) حساب الجمل طريقة كانت للعرب قديما فى كتابة الأعداد بدلالة حروف المعجم ، على الترتيب الأبجدى ، وذلك أن توصل الحروف إلى بعضها فى كلمة بالقياس إلى ترتيبها المتوالى بالأعداد الهندية ، بحيث يكون العدد الدال على الأحاد فى بدايتها فأما مقادير الحروف من الأعداد فهى على الوجه التالى

ا	ب	ح	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠
ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت
٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠
ث	خ	ذ	ض	ظ	ع					
٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠					

فيقال ، على سبيل المثال للعدد ٣٠٩ (شط) ، كقولك بالعربية « تسع وثلاثمائة » واليهود كانوا يستعملون مثل هذا الاجراء تبعا لحروف لغتهم بالعبرية .

(٥) وذكر مثل ذلك المؤرخ غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون ، المعروف بابن العبري ، المتوفى سنة ١٢٨٦ م ، فى كتابه . (تاريخ مختصر الدول) - طبع بيروت سنة ١٨٩٠ م .

(٦) انظر المرجع السابق - لأبى الريحان البيرونى، فى كتابه (الآثار الباقية) .

(٧) آخر الأيام ، على زعم اليهود انما تكون فى نهاية الألف السابعة ممايلي آدم ، وقد حددوه ، أيضا بأنه يقع فى حوالى سنة ١١٩٩ م ، أى بعد ألف وخمسمائة وخمس وتلاتين سنة من ظهور الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٦ ق م ، ومعنى هذا أن آدم الأول على هذا الرعم إنما يكون بحيال سنة ٥٨٠١ ق م ، وهو أقرب الى ملجاء فى النسخة المترجمة الى اليونانية ، من التوراة - (انظر المرجع السابق ، للبيرونى ص ١٥) .

(٨) انظر كتاب (بغية الطالبين فى علوم وعوائد قدماء المصريين) لأحمد كمال - طبع القاهرة سنة ١٢٠٩ هـ .

(٩) وهذا الزمان الذى يحد عمر آدم ، على مارواه (كلانتون Clanton الانجليزى مستنبط مما ذكره « يوسيفوس » المؤرخ اليهودى ، من أن ما بين آدم الى الطوفان هو ٢٢٥٦ سنة ، كما فى التوراة اليونانية ، ثم أضيف هذا المقدار الى أول التقويم العبرى الحديث ، وهو سنة ٣٧٦٠ ق م ، بفرض انه بازاء حدوث الطوفان فصار مجموعهما الى آدم ٦٠١٦ سنة

وفى التقويم اليونانى القديم مايشير الى أن ابتداء الخلق سنة ٥٤١٦ ق م . وهذا أيضا كسابقه أخذ قياسا الى إضافة ما بين آدم الى الطوفان فى التوراة العبرية ، وهو ١٦٥٦ سنة ، الى أول التقويم العبرى بفرض أن الطوفان كان سنة ٣٧٦٠ ق م . وفى هذا وذاك اعتقاد على أن الطوفان هو بدء التقويم العبرى ، على هذا التاريخ ، غير أنه متى فرض الأمر كذلك اضطربت التواريخ ممايلي الطوفان ولاتستقيم بوجه ما مع تواريخ معهودة محققة

وفى كتاب (تاريخ سننى الملوك والأنبياء) لحمزة بن أبى الحسن الأصفهانى - طبع ليبسك بالمانيا سنة ١٨٨٤ م - ص ١٧ قوله .

« إن اليهود يسوون تاريخهم حكاية عن التوراة إلى ٤٠٤٢ سنة قبل الهجرة ، والنصارى يسوونه الى سنة ٥٩٩٠ » ولسنا من هذا على ثقة تماما ، لوجود التباس فى القول . والأشبه انه يريد أن يقول إن اليهود يسوون تاريخهم الى سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد والنصارى الى ٥٦٦٠ ق م ، بفرض أن الفرق بين هذين مقدار (١٦٥٦ سنة) هى التى بين آدم وبين الطوفان ، كما فى التوراة العبرية .

الطوفان بين آدم وبين إبراهيم الخليل فى ضوء التقويم العبرى

إن الطوفان على الصفة ، التى وصف بها فى التوراة من أنه قضى على كل قائم حى على الأرض^(١) ، يمكن أن يعد بذلك فاصلا بين عهدين ، كل منهما مستقل عن الآخر :

أحدهما يختص بالزمان الذى عاش فيه أولاد آدم إلى أن أهلكهم الطوفان ، ولم يبق منهم غير نوح وبنيه ونساء بنيه .

والآخر يختص بالزمان الذى بدأ فيه جيل آخر من الناس ، على رأسهم نوح وأولاده الثلاثة بعد الطوفان .

فإذا كان الأمر كذلك ، على هذا الوجه الثانى ، فإنه يمكن أن يعد كل واحد من هؤلاء الأبناء الثلاثة بمثابة آدم ، مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة .

وإذا لم يكن كذلك ، وفرض انطلاق الحياة واتصالها بعد الطوفان ، فهما عهدان وإن كانا منفصلين بالحقيقة ، إلا أن أعمار الخلق فيهما ظلت متصلة ، بفرض أن الطوفان لم يحجب الحياة بينهما غير أشهر قليلة ، قد يمكن خلالها أن يحتفى الناس من الغرق ، أو يفلت البعض بحيلة ما قدر

الطاقة ، وهو الأمر الذى نراه مقبولا من خلال التفسيرات المعتدلة فى هذا الشأن .

قال البيرونى^(٢) :

« ... فأما الفرس وعامة المجوس فقد أنكروا الطوفان بكليته وزعموا أن الملك متصل فيهم من لدن « كيومرث كلشاه»^(٣) ، الذى هو الانسان الأول عندهم ، ووافقهم على إنكارهم إياه الهند والصين وأصناف الأمم المشرقية ، وأقر به بعض الفرس ووصفوه بغير الصفة الموصوف بها فى كتب الأنبياء ، وقالوا : كان من ذلك شئ بالشام والمغرب فى زمان « طهمورث»^(٤) ، لم يعم العمران كلها ، ولم يغرق فيه إلا أمم قليلة ، وأنه لم يتجاوز عقبة حلوان^(٥) ولم يبلغ ممالك المشرق .. » .

ويبدو أن هذا القول أقرب إلى الواقع فى مصر ، من قبل أنه ليس فى تاريخ الملوك الفراعنة ، ولا فى متون الآثار ما يشير صراحة إلى حدوث طوفان أهلك الحرث والنسل ولم يبق على شئ فى الأرض ، أو أنه ربما كان قليل التأثير فى مصر .

ومع فرض حدوثه فعلا ، فإننا إذا اعتمدنا على ما جاء فى التوراة العبرية المعتمدة عند اليهود ، بأن آدم كان فى سنة ٤٠٠٤ ق . م ، أو قريبا من ذلك ، فإن حدوث الطوفان يكون إذ ذاك فى أواخر الأسرة السادسة .

وأيضا إذا أخذنا بما جاء فى التوراة اليونانية ، بأن آدم يرجع إلى سنة ٥٣٤٠ ق . م ، أو الى قريب من ذلك ، فإن تاريخ حدوث الطوفان لابد أن يكون حينئذ فى أواخر الأسرة الأولى .

قال أبو الريحان البيرونى فى كتابه (الآثار الباقية) :

« وذكر أينانوس الراهب الاسكندرى ، وهو أحد أصحاب الأخبار ، أن المدة التى بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة ، أول الطوفان ، ألفان ومائتان

وست وعشرون سنة ، وشهر وثلاثة وعشرون يوما ، وأربع ساعات ، حكى ذلك عنه ابن البازيار فى كتاب « القرانات » وهو إلى قول النصارى أقرب ، ويخيل إلى أنه مبنى على طرق أصحاب الأحكام من المنجمين ، وأنه ظاهر التعسف والتدقيق .. » .

وفى تاريخ (يوسفوس اليهودى^(٦)) :
أن من آدم إلى الطوفان ٢٢٥٦ سنة ، ومنه إلى ملك الإسكندر الأكبر ٥١٨١ سنة .

ونقل عنه المؤرخ « غريغوريوس » المعروف بابن العبرى^(٧) ، المتوفى سنة ١٢٨٦ م ، ثم البطريك « افثسيوس » المسمى بابن البطريق^(٨) ، زمان المدة من آدم إلى الطوفان ، وهو مطابق أو قريب لما فى التوراة « السبعينية » .

وقد بان فى نسختى التوراة ، رغم اختلاف أعمار الخلق فى كليهما ، منذ آدم إلى مابعد الطوفان ، أن ميلاد إبراهيم الخليل واحد فى كليهما ، ثم ينقطع الخلاف بينهما نزولا حتى تاريخ خروج بنى إسرائيل ، ومايليه .

ولما كان مع ذلك ، ومع عدم الاخلال بتسلسل المواليد ومفردات السنين ، بحيال كل منهم ، أنا إذا ثبتنا تاريخ آدم من إحدى النسختين ، اعتمادا على ما جاء بها ، اختلف زمان حدوث الطوفان فى الأخرى واضطرب تاريخ الأعلام فيهما جميعا إلى زمان إبراهيم الخليل ، وكذلك الأمر إذا ثبتنا زمان الطوفان واعتمدناه من إحداهما لذلك صار الأوفق أن نربط التاريخ فى كليهما بالتقويم العبرى الحديث ، ونتحرى مع ذلك تاريخ ميلاد إبراهيم بالحقيقة ، وهو الطريق الذى سلكناه هنا فى محاولة الحصول على تواريخ صحيحة .

والأصل فى التقويم العبرى قديما أن السنين كانت تحسب على نظام الشهور القمرية ، من غرة الشهر الى غرة الشهر الذى يليه ، فعدة أيام

السنة ، كما هي فى سننى العرب ، ثلاث مائة وأربعة وخمسون يوما ، دون أن يكون لهم ابتداء محدود ، ثم استعملوا فى حسابهم تقويم سننى الإسكندر بعد ذلك إلى قبيل التاريخ الميلادى ، ثم صححوا بعد ذلك ترتيب السنين الخوالى على التقويم الشمسى ، فصارت أول سنة فى بداية التقويم العبرى مقابلة لسنة ٣٧٦٠ قبل الميلاد ، بفرض أنهم يؤرخون بدءا من آدم أو من أقرب زمان إلى آدم ، على زعمهم ، وبالتالى صارت أول سننى الهجرة عند العرب بإزاء سنة ٤٣٨٢ عبرية .

وقد تبين لنا أن التواريخ الملحقة بهامش التوراة العبرية المعتمدة عندهم ، وفى الترجمات بالعربية واللاتينية ، منذ آدم إلى ما بعد الخروج ، لاتستقيم مع التقويم الشمسى ، إلا فيما هو من الحوادث قريب أو يلى تاريخ السبى البابلى وخراب أورشليم .

قال البيرونى^(٩) فى هذا الموضع :

« وأما العبرانيون ، وجميع من انتمى إلى موسى من اليهود ، فإن شهورهم قمرية ، والسنة اثنا عشر شهرا ، مجموعها : ٣٥٤,٠ يوما ، وهى :

(١) تشرى ٣٠ يوما	(٥) شباط ٣٠ يوما	(٩) سيوان ٣٠ يوما
(٢) مرحشوان ٢٩ يوما	(٦) أزار ٢٩ يوما	(١٠) تموز ٢٩ يوما
(٣) كسليو ٣٠ يوما	(٧) نيسان ٣٠ يوما	(١١) أوب ٣٠ يوما
(٤) طبيت ٢٩ يوما	(٨) أيير ٢٩ يوما	(١٢) أيلول ٢٩ يوما

فلما خرج بنو إسرائيل من مصر اتفق ذلك ليلة اليوم الخامس عشر من شهر نيسان ، والقمر تام الضوء والزمان ربيع ، فأمرُوا بحفظ ذلك اليوم^(١٠) ، فاضطروا إلى استعمال السنة الشمسية ، ليقع يوم أربعة عشر من نيسان فى أوان الربيع ، حين تورق الأشجار ، وأحوجهم ذلك إلى إلحاق الأيام التى يتقدم بها عن المطلوب ، بالشهور إذا استوفت أيام شهر واحد ، فالحقوها شهرا تاما سموه « أزار الثانى^(١١) » ، لأنه ردف سميا لما قبله ، وسموا السنة الكبيسة « عبورا » اشتقاقا من (معبارت^(١٢)) ..

وعلى هذا الإجراء كانوا يضيفون شهرا تاما كل ثلاث سنوات ، غير أنه لما كان يتجمع من ذلك بعض أيام كثيرة بتوالى السنين ، فقد لجأوا إلى إضافة سبعة أشهر فى كل تسع عشرة سنة ، بمعدل الفرق فى عدد الأيام بين السنين الشمسية والقمرية فى مثل ذلك العدد من السنين ، فصارت السنة عندهم : إما أنها كبيسة ، وإما أنها بسيطة ، وكل من هاتين : إما انها ناقصة أو معتدلة ، أو زائدة ، وذلك بتعديل عدد الأيام فى الشهور الثلاثة الأولى من السنة (١٣) .

والناظر فى الأحداث التى اكتتفت دخول بنى إسرائيل ، إلى مصر الفرعونية حتى خروجهم إلى أرض كنعان ، متى لم يتيقن من أنهم صححوا ماتقدم من السنين الأوائل قبل الميلاد ، لتكون بإزاء تقويمهم العبرى الحديث ، فإنه يضطر لأن يعدها سنين قمرية يلزم تحويلها .

والأشبه أنهم لم يطابقوا ذلك إلا عمليا فى بعض المناسبات العقائدية عندهم دون أن يصححوا شيئا مما ذكروه فى التوراة ، ومع ذلك فإننا سنعتمد هنا على التاريخ الميلادى وتتبع به مما يقابله من السنين العبرية .

فأما التقويم الميلادى فينسب الى ميلاد السيد المسيح ، ولد إبان الحكم الرومانى فى عهد مضطرب ، كان فيه حاكم فلسطين والجليل « هيرودس » الذى كان يضطهد اليهود ، ولم يتحدد تاريخ الميلاد إلا بعد فترة طويلة ، على أنه كان فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، ويقابله عند العبرانيين سنة ٣٧٦٠ عبرية .

والتاريخ الميلادى هو المعتمد الآن فى أوروبا وفى أكثر بلاد المشرق ، والأصل فيه التقويم الرومى ، والسنة فيه شمسية ، وكذلك فى التقويم المصرى القديم ، وهى تساوى $\frac{1}{4}$ ٣٦٥ يوما تقريبا ، والبسائط منها ٣٦٥,٠٠ يوما ، وأما السنة الكبيسة فهى ٣٦٦,٠٠ يوما ، بإضافة يوم كل أربع سنوات ، يذوب فيها كسر اليوم ، فالكبائس من السنين الميلادية هى

التي تقبل القسمة على أربعة دون باق ، فأما الشهور فهي المعهودة بمسمياتها إلى وقتنا هذا .

وأما التقويم الهجرى ، فهو العربى الحديث ، فقد كان العرب قديما فى الجاهلية يؤرخون تبعاً للحوادث الهامة عندهم ، وكانت سنوهم قمرية ، اثنى عشر شهرا تختلف تسميات بعضها عند القبائل .

وأقدم ذلك : التاريخ الذى كانوا ينسبونه إلى إبراهيم الخليل ، بدءاً من العام الذى قيل فيه إنه بنى الكعبة^(١٤) ، وقد اندثر هذا لقدمه ، وتفرق الأقوام الذين كانوا يستعملونه .

وأما الأقرب الى العهد الإسلامى ، فأشهر ذلك تأريخهم بيوم وفاة كعب ابن لؤى ، وهو الجد الثامن للنبي ، وكان ذلك حوالى سنة ٦٠ ق . م . ثم عام « الغدر » ، وكان ذلك سنة ٤٦٠ ميلادية ، بفرض أن مابينه وبين عام الفيل مائة وعشر سنين .

ثم عام « الفيل » وهو الذى ولد فيه النبي محمد سنة ٥٧٠ م ، وفيه نزل أبرهة ، القائد الحبشى الذى أرسله قيصر الروم لمحاربة اليهود فى اليمن ، فاستولى على صنعاء سنة ٥٧٢ م ، ثم قدم مكة يريد هدم الكعبة ، فابتلاه الله بوباء فتك بالجيش .

ثم عام « الفجار » ، وكان بداية حرب بين بطون قريش^(١٥) سنة ٥٩٠ م . ثم تاريخ تجديد بناء الكعبة ، قبل مبعث النبي بخمس سنوات ، فى سنة ٦٠٥ م .

ثم العام الذى بعث فيه النبي محمد سنة ٦١٠ م ، لما بلغ الأربعين من عمره .

ثم انتهى الأمر بعد ذلك بأن أرخ العرب بيوم هجرة النبي من مكة الى المدينة ، فى صحبة أبى بكر الصديق ، فرارا من أذى قريش ، وهو التقويم

العربى المعتمد إلى يومنا هذا ، على الشهور القمرية بمسمياتها المعهودة إلى الآن .

فأول سنَى الهجرة ، يوم أول شهر محرم سنة ١ هـ ، يقابله فى التقويم الميلادى يوم ١٤ يوليو سنة ٦٢٢ م ، وهذا بعينه يوافق شهر أوب سنة ٤٣٨٢ فى التقويم العبرى .

تاريخ هجرى	تاريخ عبرى	تاريخ ميلادى	بداية التواريخ
.....	٣٧٠٠ عبرى	٦٠ ق . م	وفاة كعب بن لؤى
.....	٣٧٦٠ عبرى	١ ميلادى	أول التقويم الميلادى
.....	٤٢٢٠ عبرى	٤٦٠ ميلادى	عام الغدر
.....	٤٣٣٠ عبرى	٥٧٠ ميلادى	عام الفيل ، ومولد النبى محمد
.....	٤٣٥٠ عبرى	٥٩٠ ميلادى	عام الفجار الأول
.....	٤٣٦٥ عبرى	٦٠٥ ميلادى	تجديد بناء الكعبة
.....	٤٣٧٠ عبرى	٦١٠ ميلادى	بعث النبى محمد
سنة ١ هجرية	٤٣٨٢ عبرى	٦٢٢ ميلادى	أول التقويم الهجرى
(أول المحرم)	شهر أوب	١٤ يوليو	

وقد أتينا هنا بقول مجمل فى تقويم السنين ليكون أمكن فى تعيين التواريخ ابتداء من آدم فرضا الى ميلاد ابراهيم الخليل ومايليه ، وذلك لأنه لما كانت هذه جميعا يحيط بها عهد الملوك المصريين الفراعنة ، وكان هؤلاء بعضا من نسل آدم فرضا وبعضا من نسل نوح ، فإننا سننظر فى ذلك تباعا على الاتصال ، بفرض أن موضوع كتابنا هذا عن الحوادث والمناسبات التى جرت فى مصر ، مما تكتنف رحلة بنى إسرائيل إليها حتى خروجهم الى ارض كنعان بقيادة موسى النبى .

* * *

(١) وفى التوراة قوله .

* وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض ، فتعاضمت المياه جدا ، وظلت مائة وخمسين يوما ، خمسة عشر ذراعا فى الارتفاع حتى غطت الجبال ، فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض ، ومحا الله كل قائم حى ، وبقي نوح والذين كانوا معه فى الفلك * انظر سفر التكوين أصحاح ٧/ .

(٢) انظر كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) - لأبى الريحان البيرونى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ - طبع ألمانيا سنة ١٨٧٨ م .

(٣) « كيومرث كلشاه » . أى كيومرث ملك الأرض ، فأما (كيومرث) فهو اسم أول ملوك الفرس البشداديين ، وهو فى نظرهم والد البشر ، بمثابة آدم الأول على الأرض . ويبدو أن اسم (كيومرث) محرف عن « جومر » بن ياقث بن نوح ، حيث قد جاء ذكره فى التوراة ، سفر التكوين ص ١٠/ - قال * وبنو ياقث : جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس ، وبنو جومر . اشكناز وريفات وتوجرمه ..*

(٤) طهمورث . ثالث ملوك الفرس الكبار من الأوائل ، بعد « أوشهنج » سعى كذلك على أنه خير من على الأرض - انظر (الكامل فى التاريخ) .

(٥) « عقبة حلوان » جبل يمتد تجاه مدينة حلوان ، على الحدود الشرقية للعراق ، قبالة بغداد الى الشمال الشرقى .

(٦) انظر كتاب : (التاريخ القديم لليهود) للمؤرخ « يوسيفوس اليهودى » المتوفى سنة ١٠٠ م ، طبع بيروت سنة ١٨٧٢ م .

(٧) انظر كتاب : (تاريخ مختصر الدول) - طبع بيروت سنة ١٨٩٠ م .

(٨) انظر كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق) للبطريرك افثيشيوس ، المعروف بابن البطريق ، طبع بيروت سنة ١٩٠٥ م .

(٩) انظر المرجع السابق (الآثار الباقية) لأبى الريحان البيرونى .

(١٠) وفى التوراة : * هى ليلة تحفظ للرب ، لاخرجه إياهم من مصر ، هذه الليلة هى للرب تحفظ من جميع بنى اسرائيل * - خروج أصحاح ١٢/ .

(١١) « أزار » . هو الشهر السادس فى السنة العبرية ، وأزار الثانى هو السادس المكرر فى السنين الكبيسة .

(١٢) « معبارت » بالعبرية هنا ، من « التعبير » ، بمعنى الوزن والتحقيق ، والمراد أنها سنة كاملة على القياس التام .

وأما مقابلة الشهور الميلادية بالعبرية ، فهي أن يجعل أول شهر « أبيب » بإزاء أول برج الحمل من ٢١ مارس إلى ٢٢ أبريل ، في أول فصل الربيع .

(١٣) وذلك ، أنه لما كان الفرق بين السنة الشمسية وبين السنة القمرية ١٠,٣٦٧ يوم تقريبا ، فإنه لتدوير هذا الفرق بتلك الطريقة من الكبس ، فقد جعلوا السنة الناقصة من البسائط ٣٥٣,٠٠ يوما ، والناقصة من الكبائس ٣٨٣,٠٠ يوما ، وجعلت المعتدلة من البسائط ٣٥٤,٠٠ يوما ، والمعتدلة من الكبائس ٣٨٤,٠٠ يوما . فأما الزائدة من البسائط فهي ٣٥٥,٠٠ يوما ، والزائدة من الكبائس ٣٨٥,٠٠ يوما . والعمدة في التمييز بين هذه الأنواع من السنين يتناول إضافة شهر أزار الثاني ، أو حذفه ، مع تعديل أيام الشهور الثلاثة الأولى من كل سنة بما يناسب نوعها دون أن يزيد عدد أيام الشهر منها على ثلاثين يوما ، ولا ينقص عن تسعة وعشرين يوما

(١٤) لا يعرف يقينا تاريخ أول بناء للكعبة ، غير أن الأقرب على اعتبار أن إبراهيم الخليل أو ابنه اسماعيل ، أيهما أول من جاور الكعبة وأحاطها ، يشبه أن أول حجر وضع فيها للبناء ، كان سنة ١٨٢٨ ق . م ، في أواخر سنن إبراهيم ، بعد وفاة سارة امرأته بسبع سنوات ، عندما ذهب لزيارة ابنه اسماعيل في أرض مديان ، وتزوج هناك امرأته « قطورة » ، وكان اسماعيل إذ ذاك يبلغ من العمر سبعا وخمسين سنة . وفي التوراة ، (تكوين ص٢٥) :

* وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان وبشباق وشوفا ، وولد يقشان شبا ودوان ، وكان بنودوان : أشوريم ولطوشيم ، ولأوميم ، وبنو مديان . عيفة وعفر وأبيداع والدعة ، جميع هؤلاء بنو قطورة .. *

(١٥) وقيل في ذلك . إن أبا معشر الغفاري كان له مجلس خاص بسوق عكاظ ، يجلس فيه ويفتخر على الناس ، فبسط يوما رجله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف ، فوثب عليه رجل من كنانة فضربه بسيفه على ركبته فاحتزها واقتتل الفريقان .

الفصل الثالث

نسل آدم قبل الطوفان

آدم ، أبوالبشر ، لا جمع له ، خلقه الله من أديم الأرض ، وبه يسميه العرب وأهل المشرق : « آدم »^(١)

وقدماء المصريين ، وهم من أوائل نسل آدم يسمونه :

(أتوم  Otum)

ويذكرون في قصته : أنه أول من برز على قمة الأرض التي انحسر عنها الغمر الأزلى ، ومن ورائه إله الشمس :

(رع  Re)

ثم خلق نفسه من الماء والطين في أحسن صورة وأكملها ، فسمى كذلك لتماحه في الهيئة ، فهو أبوالبشرية وآلهة الأرض وأتباعهم^(٢) جميعا .

واليهود يسمونه : « آدماء » ، وفي التوراة قوله :

* وجبل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار نفسا حية ، وغرس له في عدن^(٣) شجرا شهى النظر مثمرا جيد الأكل ، ووضع الرب آدم الذي جبله هناك ، وخلق له امراته حواء^(٤) .. *

والفرس يجعلون بدء التناسل على الأرض من لدن آدم آخر يسمونه : « كيومرث » ، ومعناها . ملك الأرض ، وهذا الاسم يشبه أنه محرف عن (جومر) بن يافث بن نوح ، وقد تبين من جداول الملوك الفرس البشداية ، التي نقلها أبوالريحان البيروني في كتابه^(٥) : (الآثار الباقية) أن آدم عندهم لا يتعدى سنة ٣٦٨٤ ق . م ، على تلك التسمية بعينها .

• وتاريخ آدم عند رجال الدين يبدأ من حيث طرده الله من الجنة التي وضعه فيها بعد أن صار عارفا للخير والشر ، وهو ، وإن كان فرضا ولاحقا لما هو بالحقيقة بداية خلق الإنسان على الأرض ، فهو يمثل أقرب الأزمنة لما يمكن تصوره لبداية الحضارة الإنسانية في الأجيال المتقدمة .

فهو في التوراة العبرية ، المعتمدة عند اليهود ، بحيال سنة ٤٠٠٤ ق . م ، وعليه قياس تسلسل مفردات السنين بين الأعلام إلى ما بعد السبى البابلي .

وأما التوراة السبعينية ، المنقولة باليونانية عن تلك ، فتتفق بزيادات في سنى الأعلام تباعا ، منذ آدم إلى إبراهيم الخليل ، قدرها ألف وثلاث مائة وست وثلاثين سنة ، فيقع تاريخ آدم بإزاء سنة ٥٣٤٠ ق . م .

والتقويم العبرى الحديث المصحح على السنين الشمسية يبدأ من سنة ٣٧٦٠ قبل الميلاد ، نزولا إلى زماننا ، وموقعه في نسختي التوراة يختلف باختلاف القول في آدم أو في حدوث الطوفان ، أيهما جعل أساسا في ترتيب السنين تباعا ، غير أنا إذا حولنا مفردات سنى الأعلام ومجموعاتها إلى التقويم الشمسى ، بدلا عما ذكره في التوراة بإزائها على التقويم العبرى القديم ، على نظام الشهور القمرية ، ظهر أن :

أول السنين العبرية بحيال سنة ٣٧٦٠ ق . م ، يقع في التوراة المعتمدة بالعبرية عند اليهود ، بإزاء مولد شيث بن آدم ، ويقع في التوراة السبعينية بإزاء لامك بن متوشالغ ، أبى نوح .

وأكثر المؤرخين القدامى إنما يعتمدون في ذلك على ما جاء في النسخة السبعينية ، على زعم أنها قد تكون أقرب إلى الواقع من تلك ، ومن هؤلاء المؤرخ اليهودى « يوسيفوس^(١) isephus » ، المتوفى سنة ١٠٠ م .

وبعض المؤرخين يعتمدون على بداية التاريخ العبرى مقابلا لسنة ٣٧٦٠ ق . م ، ويجعلونه بإزاء ميلاد نوح تارة ، فيقع تاريخ آدم ، على تقدير مفردات النسخة السبعينية بحيال سنة ٥٤٠٢ ق . م ، أو على مقادير مفردات النسخة العبرية بإزاء سنة ٤٨١٦ ق . م .

وقد يجعلونه مقابلا لتاريخ أولاد نوح الثلاثة ، فيقع تاريخ آدم على هذا السبيل بزيادة قدرها خمسمائة سنة .

وقد يجعلون كذلك أول التقويم العبرى بإزاء حدوث الطوفان ، فيقع تاريخ آدم فى النسخة العبرية على سنة ٥٤١٦ ق . م . وفى النسخة السبعينية على سنة ٦٠٠٢ ق . م .

غير أنه متى كان النظر على هذا السبيل فرضا ، فقد يحدث من جراء ذلك اضطراب فى تواريخ الأعلام ، وخاصة فيمن ذكرتهم التوراة بعد الطوفان ، ويبدو الأمر إرتجالاً على غير هدى .

ولذلك أثرتنا أن نبين بالتفصيل تباعا نسل آدم قبل الطوفان ، ثم نسل نوح من بعده ، طبقا لما جاء فى نسختى التوراة جميعا ، دون تغيير فى أيهما ، ثم نردف كلا منهما بجدول يتبين فيه موقع كل واحد من الأعلام ، مع تصحيح مقادير السنين على التقويم الشمسى مع ما يناظرها بإزائه فى التقويم العبرى المعهود .

ومن خلال ذلك يمكن بوجه ، أقرب إلى الاستقصاء ، أن ننظر فى العصر العتيق ، فيما هو قبيل عهد الأسرات الملكية الفرعونية ، من بين تلك الأزمنة المتعالية فى القدم ، حيث يبدو أنه لايتجاوز تاريخ آدم ، كما أنه ليس هنالك من الدلائل مايشير إلى أن حدوث الطوفان كان قبل بداية التاريخ العبرى سنة ٣٧٦٠ ق . م .

١ - قايين وهابيل ولدا آدم :

وفى التوراة^(٧) :

أن أول أولاد آدم ، قبل الطوفان ، قايين وهابيل أخوه ، فأما قايين فكان عاملا فى الأرض ، وكان هابيل راعيا للأغنام .

وحدث أن قايين قدم قربانا للرب من ثمار الأرض ، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه وسمانها ، فقبل الرب قربان هابيل ولم ينظر إلى قايين ، فغضب وحقد على أخيه فقتله ، فناداه الرب قائلا : هذا دم أخيك صارخ إلى من الأرض ، ملعونة هى بسببك إن فتحت فاهها لتقبل دم أخيك ، وتائها تكون

أنت فى الأرض ، فسقط قايين على وجهه ، وخرج فسكن فى أرض نود^(٨) ، شرقى عدن .

وهذه القصة ، قد فصلها غريغوريوس بن أهرون ، المعروف بابن العبرى^(٩) ، فيما ملخصه :

« إن آدم ولد له أربعة : قايين وأخته « قليما » ، توأمان ، ثم هابيل وأخته « لبوذا » ، توأمان ، فأراد آدم ألا يتزوج الأخ بأخته التوأم ، بل إنما يتزوج بتوأمه أخيه ، فرفض قايين أمر أبيه ، ثم قدما للرب قربانا فلم يقبل قربان قايين ، فغضب فقتل أخاه حتى يتزوج بأخته » .

ومثل هذا القول فى معناه ، من حيث الغضب إلى حد القتل ، وسفك الدماء ، قريب بوجه ما ، مما جاء عن قصص الآلهة على الأرض ، فى عقائد قدماء المصريين ، وهى قصة (أوزير وأخيه ست) :

وذلك أن الإله الأعظم خلق السماء ، وخلق الأرض والحياة عليها ، ثم جبل « أتوم » من الطين وجعل له زوجة من جنسه ليثمرا فى الأرض ، فولد « أوزير وأخته إزيت » ، توأمين ، وكانا مثال الخير والخصب والسعادة ، ثم ولد « ست وأخته نفتيس » ، توأمين ، وكانا مثال الجذب والشقاء ، ورأى « ست » بطبيعة الشرفية ، أن يقتل أخاه حتى ينفرد بالحكم على الأرض ، فقتله وقطعه أشلاء ، غير أن زوجته « إزيت » جمعتها من أماكنها ، وقام من بعده ابنه « حور » فتغلب على « ست » وملك الأرض بعد أبيه .

وهذه قصة مشهورة فى عقائد المصريين^(١٠) ، ترجمها « بلوتارخ » اليونانى ، المؤرخ المعروف ، ووضع لها عدة تفسيرات ، أشهرها وأقربها إلى العقل أن « أوزير » يمثل النيل ، وهو شريان الحياة ، وزوجه « إيزيت » هى رمز الأرض الخصبة التى تروى بمائه فتجلب الخير والأمان ، فأما « ست » فهو رمز الجذب والقسوة والصحراء القاحلة .

فأحدهما « أوزير » بمثابة هابيل من ولدى آدم ، فى قصة التوراة ، والآخر « ست » بمثابة « قايين » قاتل أخيه ، الذى طرده الله ليسكن صحراء نود .

٢ - شيث بن آدم :

فلما كان آدم له من العمر مائة وثلاثون سنة ، ولد له ابنه « شيث » ، وكان

صبيحا جبارا تام الخلق ، ومات آدم وله من العمر تسع مائة وثلاثون سنة ،
وولد له بنون وبنات .

وفى « التوراة السبعينية » : أن آدم ولد شيثاً لما كان له من العمر
مائتان وثلاثون سنة .

وفى كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري المتوفى سنة
١٢٨٦ م ، قال :

« شيث بن آدم ، يقال إنه أول من ابتدع الكتابة ، وشوق أولاده إلى
الحياة السعيدة التي كانت لأبويه في الجنة ، فانقطعوا إلى الجبل معتكفين
على العبادة والنسك والعفة ، لا يطوون بجنبه النساء ، فسموا بذلك : بنو
الوهم ، أى الإله » .

وقال : « والصابئة^(١١) تزعم أن شيث بن آدم هو « أغاثا ديمون »
المصرى معلم هرمس^(١٢) » .

٣ - أنوش بن شيث :

فى التوراة : « وعاش شيث مائة وخمس سنين ، وولد له « أنوش » ،
وحينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب ، ومات شيث وله من العمر تسع مائة
واثنتا عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات »

وفى التوراة السبعينية ، باليونانية : « وشيث ولد له ابنه « أنوش » حين
بلغ من العمر مائتين وخمس سنين » .

وفى كتاب (مختصر تاريخ الدول) لابن العبري ، قوله :

« أنوش بن شيث ، يقال إنه أول من دعا اسم الرب ، ومنحه الله تعالى
معرفة الأكوان ومسير الكواكب ، وهو ، وإن لم يجانب النساء ، لم يغفل
التقرب إلى الله زلفى » .

٤ - قينان بن أنوش :

فلما كان عمر أنوش تسعين عاما ، ولد له قينان ابنه ، ومات أنوش وله

من العمر تسع مائة وخمس سنين ، وولد بنين وبنات .

وفى التوراة اليونانية : أن قينان ولد لما كان عمر أنوش أبيه مائة وتسعين سنة .

٥ - مهللئيل بن قينان :

وقينان ، لما كانت له من العمر سبعون سنة ، ولد ابنه مهللئيل ، ومات قينان ، عن تسع مائة وعشر سنين ، بعد أن ولد له بنون وبنات .

وفى النسخة اليونانية : وعاش قينان مائة وسبعين سنة ، ثم ولد له ابنه مهللئيل .

٦ - يارد بن مهللئيل :

وعاش مهللئيل خمسا وستين سنة ، وولد له ابنه : يارد ، ثم مات مهللئيل وله من العمر ثمان مائة وخمس وتسعون سنة ، وولد له بنون وبنات .

وفى النسخة اليونانية : أن مهللئيل ولد له يارد ، إذ كان له من العمر مائة وخمسا وستون سنة .

وفى كتاب : « تاريخ مختصر الدول » لابن العبري :

« أنه فى سنة أربعين من عمر يارد ، هبط بنو ألوهيم ، أولاد شيث ، من الجبل ، بعد أن يئسوا من العود إلى الفردوس ، ورغبوا فى النساء ، فلم يقبل بنو قرابتهم أن يزوجهم ، مستخفين بهم ، فاخطبهم قوم قايين باذلين لهم بناتهم ، فنكحوهن فولدن الجبابرة المبرزين فى الحروب والغارات ، وقيل إن بنات قايين اخترعن آلات الملاهى ذامرات بها » .

٧ - أخنوخ بن يارد :

وعاش يارد مائة واثنين وستين سنة وولد له ابنه « أخنوخ » ، ثم مات يارد وله من العمر تسع مائة واثنان وستون سنة ، وولد له بنون وبنات .

وأخنوخ^(١٢) : هو إدريس ، عليه السلام ، جاء ذكره فى القرآن ، فى

قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعهناه مكاناً علياً » .

وتفسير قوله : « ورفعهناه مكاناً علياً » ، قال فيه أبو الفداء ، صاحب كتاب « البداية والنهاية » ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

« إن ملكاً حملاً إلى السماء الرابعة ، فلما كان فى هذا الموضع لقيه ملك الموت وهو فى طريقه إلى الأرض ليقبض روحه ، فقال له : أين إدريس ؟ قال : هو ذا على ظهري ، فقبض روحه فى السماء قبل أن يصل إلى الأرض » .

ويشبهه عند قدماء اليونان (هرمس Hermes) ، وقيل إنه أول من خط بالقلم وعنى بالعلوم الإلهية .

فأما قدماء المصريين فعندهم الإله « تحوت » رب المعرفة والكتابة والعلوم ، وكانوا يصورونه على هيئة قرد صغير يعتلى ظهر الكاتب خلف كتفيه ورأسه ، فيفيض عليه الوحي والإلهام والحكمة ، وتارة يصورونه على هيئة رجل له وجه الطائر : « إبيس » ، ذى المنقار الأقنى الطويل ، ويحمل فى يمينه القلم وفى الأخرى محبرة .

وفى كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري :

« وقيل : إن الهرامسة ثلاثة ، أولهم « هرمس » الساكن بصعيد مصر الأعلى ، وهو أول من تكلم فى الجواهر العلوية ، وأنذر بالطوفان فبنيت من بعده الأهرامات ، والثانى « هرمس » البابلى^(١٤) ، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش ، والثالث : « هرمس » المصرى ، الذى يسميه اليونانيون : (تريطة ميغستيس Trite Megestises) ، أى : صاحب العلوم الإلهية الثلاثة ، وهى : الوجود والحكمة والحياة » .

٨ - متوشالغ بن أخنوخ :

وعاش أخنوخ ، خمسا وستين سنة وولد له ابنه « متوشالغ » ثم سار أخنوخ مع الله بعد ذلك ثلاثمائة سنة ، ولم يوجد^(١٥) ، لأن الله أخذه .

وفى النسخة السبعينية : أن أخنوخ ولد متوشالغاً وله من العمر مائة وخمس وستون سنة .

٩ - لامك بن متوشالغ :

وعاش متوشالغ مائة وسبعة وثمانين سنة ، وولد له ابنه لامك^(١٦) ، ثم مات لامك وله من العمر تسعمائة وتسع وستون سنة ، بعد أن ولد بنين وبنات^(١٧) .

١٠ - نوح بن لامك :

وعاش لامك مائة واثنين وثمانين سنة ، وولد له ابنه نوح^(١٨) ، وكانت حياة لامك سبعمائة وسبعة وسبعين سنة ، وولد له بنون وبنات .

وفى أيامه طغى الناس وأباحوا المحارم ، وكان نوح باراً صديقاً ، فأوحى الله إليه بأمر الطوفان .

سام وحام ويافت (أولاد نوح)

ولما بلغ نوح من العمر خمسمائة سنة ، ولد له ثلاثة أبناء وهم : سام ، وهو الأكبر ، ثم حام ، ثم يافت ، وهو الأصغر ، وفى سنة ستمائة من عمر نوح حدث الطوفان وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ثم مات .

الطوفان الأعظم :

وفى التوراة^(١٩) قوله :

* وحدث لما ابتدأ الناس يكثر على الأرض ، أن الرب رأى شر الإنسان قد كثر وأن تصور أفكاره إنما هو شرير ، فأوحى إلى نوح ، وكان رجلاً باراً كاملاً فى أجياله ، وقال له : نهاية كل بشر قد أتت أمامى ، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم ، فاصنع لنفسك فلماً من جفر^(٢٠) تطلية بالقار وتجعله مساكن سفلية وعلوية ومتوسطة ، فها أنا أت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل ذى جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، ولكن أقيم عهدى معك ، فتدخل إلى الفلك من كل حي ذى جسد اثنين اثنين ذكراً وأنثى ، ومن الطيور كأجناسها ، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها اثنين اثنين ذكراً وأنثى ، وقال لنوح : ادخل أنت وأهل بيتك وبنوك ونساء بنيك إلى الفلك ، فإنى سأمطر الأرض أربعين يوماً وليلة .

وفى سنة ستمائة من حياة نوح انفجرت ينابيع الغمر العظيم ، فكان الطوفان على الأرض أربعين يوماً ، وتعاضمت المياه فغطت الجبال خمسة

عشر ذراعا فى الأرتفاع ، فمحا الله كل قائم حى كان على وجه الأرض ، وظلت المياه مائة وخمسين يوما^(٢١) *

وقصة الطوفان هنا ، لها ما يماثلها فى عقائد الأمم الشرقية ، من الأساطير التى تحكى غضب الآلهة ، وإقدامها على محاولة إفناء البشرية ، وأقدم ذلك ماجاء فى عقائد المصريين القدماء ، تقول الأسطورة :

« لما كثر الناس على الأرض ، وكانوا يرون اختفاء الشمس أياما وراء السحب ، ظنوا أن الإله (رع) قد أصابه الوهن والإعياء ، فلم يقو على الظهور ، فأخذوا يتهمون عليه بأنه فقد شبابه وأصبح هرما ، فغضب ودعا مجلس الآلهة ، وعلى رأسهم كبيرهم إله الغمر (نوّ nw) ، وقال لهم : أرى البشر الذين خلقتهم يتآمرون ضدى ، ولم أقدم على إفنائهم حتى يجتمع مجلس الآلهة فأسمع ما تشيرون ، فقال إله الغمر : أنت أعظم الآلهة ، ونرى أن تكتفى بأن تنظر إليهم بعين الغضب فيخافون ، فأرسل عليهم إله الشمس شعاعا أهلك به الكثيرين على الأرض ، فأخذ الناس يختفون فى الجبال ، وكانت الهة أخرى مع ذلك تقتل الناس ليلا وتسبح فى دمائهم ، ثم ندم الإله الأعظم (رع Re) ، إذ كاد يفنى ما بقى من البشر ، فغض بصره عنهم ، وصاح فيمن حوله من الآلهة أن يسرعوا على أجنحة الريح إلى جزيرة « أبو^(٢٢) » حتى يأتوا بمغرة حمراء يخلطونها فى جرار مع الجعة التى تحبها الآلهة ويسكبونها على الأرض ، فلما جاءت الآلهة ليلا تسلت برؤية الدم وشربت من ذلك الخليط ، فلم تقو على ما اعتزمت عليه من إفناء البقية من البشرية ، وعادت إلى السماء^(٢٣) . »

فأما تاريخ حدوث الطوفان ، فإنه يختلف فى نسختى التوراة باختلاف موقعه من التاريخ الذى يفرض لآدم ابتداء لتناسل البشر ، ثم منه إلى ميلاد إبراهيم الخليل ، تبعا لمقادير أعمار المواليد ، فى كلا النسختين .

وقد ظهر فى الجدول التالى أن الطوفان ، بحساب ما فى النسخة العبرية المعتمدة عند اليهود ، إنما يكون مقابلا لآخر الأسرة السادسة من الأسرات الفرعونية ، ويكون أيضا ، على قياس ما فى النسخة السبعينية . بإزاء أواخر الأسرة الأولى .

(جدول يبين موالييد آدم قبل الطوفان ، كما في نسختي التوراة)

اسماء الأعلام		التوراة العبرية		تصويب		التوراة اليونانية		تصويب	
		علا السنين	تاريخ الفوج	علا السنين	تاريخ الميلاد المأرجح العبري	علا السنين	تاريخ الفوج	علا السنين	تاريخ الميلاد المأرجح العبري
آدم (قايين وهابيل)		-	ق ٢٠٠٤	-	ق ٢٠٠٤ ٣٨٨٦	-	ق ٢٠٠٤	-	ق ٢٠٠٤ ٥١٨١
شيث بن آدم		١٣٠	٣٨٧٤	١٣٦	٣٧٦٠	٢٣٠	٥١١٠	٢٣٠	٤٩٥٨
أنوش بن شيث		٢٣٥	٣٧٦٩	٢٣٨	٣٦٥٨	٤٣٥	٤٩٠٥	٤٣٥	٤٧٥٩
قينان بن أنوش		٣٢٥	٣٦٧٩	٣١٦	٣٥٧٠	٦٢٥	٥٣١٥	٦٢٥	٤٥٧٤
مهليل بن قينان		٣٩٥	٣٦٠٩	٣٨٣	٣٥٠٣	٧٩٥	٤٥٤٥	٧٩٥	٤٤٠٩
يارد بن مهليل		٤٦٠	٣٥٤٤	٤٤٦	٣٤٤٠	٩٦٠	٤٣٨٠	٩٦٠	٤٢٤٩
أخنوخ بن يارد		٦٢٢	٣٣٨٢	٦٠٣	٣٢٨٢	١١٢٢	٤٢١٨	١١٢٢	٤٠٩٢
متوشالخ بن أخنوخ		٦٨٧	٣٣١٧	٦٦١	٣٢٢٠	١٢٨٧	٤٠٥٣	١٢٨٧	٣٩٣٢
لامح بن متوشالخ		٨٧٤	٣١٣٠	٨٤٨	٣٠٣٨	١٤٦٤	٣٨٧٦	١٤٦٤	٣٧٦٠
نوح بن لامح		١٠٥٦	٢٩٤٨	١٠٢٤	٢٨٦٢	١٦٤٢	٣٦٩٨	١٦٤٢	٣٥٨٧
سام وحام ويافت (أولاد نوح)		١٥٥٦	٢٤٤٨	١٥١٠	٢٣٧٦	٢١٤٢	٣١٩٨	٢١٤٢	٣١٠٣
الطوفان		١٦٥٦	٢٣٤٨	١٦٠٧	٢٢٧٩	٢٢٤٢	٣٠٩٨	٢٢٤٢	٢٠٠٦

من آدم إلى الطوفان
في التوراة السبعينية

من آدم إلى الطوفان
في التوراة العبرية

- (١) انظر « لسان العرب » مادة (آدم) .
 (٢) أنظر « عقائد المصريين القدماء » - فى أكثر المراجع .
 (٣) « عدن » ، ويقال (كنعادن) ، والمراد أنها الأرض المتممة الطيبة الاقامة ، ويخيل أنها أرض ما بين النهرين ، دجلة والفرات وفروعهما ، وقد تسمى أرض (كنعان) بتلك التسمية (كنعادن) .
 فأما قوله « فى عدن شرقا » ، يعنى إلى يمين البحر الأعظم ، وهو بحر الروم ، المسمى الآن بالبحر المتوسط .
 (٤) « التوراة » - سفر التكوين ، ص ٢/٢ .

(٥) انظر كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) - للبيرونى - جداول تواريخ ملوك الفرس البشداية - ص ١٠٨ ، وقد ذكر المؤلف أنها منقولة عن كتاب (ايسنا) ، وهو كتاب دينهم ، ومفردات السنين فيه تبدو غير دقيقة .
 ومع ذلك ، فإنه على رغم أنها سنون صحيحة ، كما نقلها « البيرونى » ، فإن سنة ٢٦٨٤ ق م بإزاء « جومر بن يافث » ، توحى بأن التاريخ العبرى الذى أوله سنة ٢٧٦٠ ق م ، أقرب إلى تاريخ ميلاد سام وحام ويافث أولاد نوح ، أو هو تاريخ حدوث الطوفان ، فى رأى اليهود فرصا ، ولستنا فى ذلك على ثقة

(٦) وهو صاحب كتاب (التاريخ القديم لليهود) - طبع بيروت سنة ١٨٧٢ م .
 Lodaïke Archéologie Antiquité Israélite - by Flavius Josephus.

ويستعمل على ثلاثة كتب أولها الكتاب الذى تناول فيه تاريخ اليهود منذ بدء الخليقة إلى عام ٦٥ م .
 والكتاب الثانى (حرب اليهود) أرح فيه عن الحرب بين اليهود والرومان إلى سنة ٧٠ م ، والتى انتهت بسقوط اورشليم .
 والكتاب الثالث (ضد أبيون السكندرى) - للرد على خصوم اليهودية ، ممن كانوا يصفونهم بأنهم رعاة أجناس

- (٧) سفر التكوين - أصحاب / ٤
 (٨) أرض نود : يريد بها صحراء الشام ، وفى هامش التوراة « التيه » .
 (٩) أنظر المرجع السابق ، كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م

(١٠) أنظر « الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديمة » مادة (أوزير) .
 وانظر رسالة (بلوتارخوس) عن ايزيس وأوزيريس - ترجمة د . حسن صبحى بكري - طبع القاهرة سنة ١٩٧٧ .

- (١١) « الصابئة » لفظ آرامى قديم يعنى الحرائين أصحاب العقائد ممن كانوا يقطنون شمال العراق ، ثم تفرقوا .
 (١٢) « هرمنس Hermes » لفظ يونانى ، يطلقونه على المعبود المصرى القديم إله المعرفة والكتابة المسمى « تحوت » وهو أيضا إله الحكمة عند الإغريق .

(١٣) « أخنوخ » وينطق « خنوخ » وقد يحرف بالعربية إلى « حنوك » وكلاهما عن العبرية ، وله « سفر أخنوخ » ، كتب خاصة به ، فيما روى عنه ، وهو من الأسفار الخاصة ، غير القانونية .

(١٤) « هرمس البابلي » قد يعنى به الإله « بعل - بالوس » الآشورى .

(١٥) قوله « .. ولم يوجد لأن الله أخذه » ، يعنى أنه لم يمت على الأرض وإنما رفع إلى السماء .

(١٦) وفى كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق) للبطريك أفنتسيوس ، المعروف بابن البطريق

« أن لامكا كان يدعى « لمشيزاداق » ، ومعناها كاهن الله » . ويبدو أن هذه شبه كنية كانت تطلق على كبار الكهنة ، بمعنى . الملك الصادق .

(١٧) وفى النسخة السبعينية « متوشالغ ولد له لامك بعد مائة وسبع وستين سنة ، ويبدو أنه تحريف ، والأصح أن هذه المدة مائة وسبع وسبعون سنة ، وقد اعتمدناها كذلك

(١٨) وفى النسخة السبعينية . أن لامكا عاش مائة وثمانى وثمانين سنة ، ثم ولد له ابنه نوح ، ويبدو أنه تحريف وقد اعتمدنا أن ما بين لامك إلى نوح مائة وثمان وسبعون سنة ، ليتم بها مجموع ما بين متوشالغ إلى نوح ، فى هذه النسخة

(١٩) سفر التكوين أصحاح / ٦ و ٧

(٢٠) جفر ربما كانت من صفات الخشب وأسمائه ، ويشبه أنه يريد خشب « الكافور » ، لأنه يتشرب دهاته بالقطران .

(٢١) وفى التوراة : أن فلك نوح استقر بعد الطوفان على جبال أراراط ، وهى جبال القوقاز العالية الواقعة شمال أرمينيا .

(٢٢) جزيرة (أبو) يريد جزيرة « الفنتين Elephant »

(٢٣) وهناك بعض أساطير أخرى عن الطوفان ، قد لا تختلف كثيرا عما ذكرته « التوراة » أو عما جاء فى معتقدات المصريين ، ومنها أسطورة السومريين عن الطوفان ، فى بلاد العراق - أنظر : « معالم العصر التاريخى فى العراق القديم » - طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٣ .

الفصل الرابع

نسل أولاد نوح بعد الطوفان

وفى التوراة^(١) .

* وكان فى السنة الواحدة والستمائة من عمر نوح ، فى الشهر الثانى ، أن وجه الأرض قد جف ، فكلّم الرب نوحاً قائلاً : أخرج من الفلك ، أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك ، وكل الحيوانات والطيور والديابات ، أخرجها معك لتتوالد وتكثر على الأرض ، فخرج نوح وبني مذبحة للرب وأصعد عليه من البهائم الطاهرة ومن الطيور الطاهرة محرقات ، فرضى الرب وبارك نوحاً وبنيه ، وقال لهم . ميثاقى معكم علامة قوس^(٢) فى السحاب ، فلا أعود أرسل طوفاناً يهلك كل ذى جسد على الأرض بعد الآن *

وعاش نوح ، بعد الطوفان ، ثلاثمائة وخمسين سنة ، فكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة .

وكان بنو نوح ، الذين خرجوا معه من الفلك ، ثلاثة . أكبرهم^(٣) سام ، ثم حام ، ثم يافث .

فأما مواليد سام بن نوح ، فهم^(٤) :

١ - أرفكشاد بن سام :

لما كان سام له من العمر مائة سنة ، ولد له ابنه : أرفكشاد ، وذلك بعد الطوفان بستتين ، وعاش سام بعد أن ولد أرفكشاد خمسمائة سنة وولد بنون وبنات .

٢ - قينان بن أرفكشاد :

لم يرد ذكر قينان فى التوراة العبرية إلا فى هامش المتن من الترجمة بالعربية ، بما يفيد أنه ابن أرفكشاد^(٥) .

وفى النسخة السبعينية : أن أرفكشاد لما بلغ من العمر مائة وثلاثين^(٦) سنة ولد له قينان ابنه ، وجميع أيامه أربعمئة وخمس وستون سنة .

وفى كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى ، قوله :

« وقينان هذا ، قيل إنه اخترع علم الأفلاك ، بعد الطوفان ، وقد اتخذه بنوه إلها وصاغوا له تمثالا بعد وفاته وسجدوا له ، وهو الذى بنى مدينة حاران^(٧) ، على اسم « هاران » ابنه . »

٣ - شالح بن قينان :

فى التوراة العبرية : « شالح بن أرفكشاد » ، فى قوله :

« ولما بلغ أرفكشاد من العمر خمسا وثلاثين سنة ، ولد له « شالح » ، وعاش بعد ذلك أربعمئة وثلاث سنين ، وولد له بنون وبنات »

وهذا القول مبنى ، على قياس أن قينان لم يذكر فى متن التوراة العبرية ، فأما فى التوراة السبعينية : أن قينان لما بلغ من العمر مائة وخمسا وثلاثين سنة ولد له ابنه شالح .

ولذلك ، فقد اعتمدنا نحن فى ترتيب المواليد : أن أرفكشاد ولد قينان ، وأن قينان هذا ولد شالحا ابنه ، مع مراعاة مجموع المدة من الطوفان إلى إبراهيم .

٤ - عابر بن شالح :

فى النسخة العبرية : « وعاش شالح ثلاثين سنة وولد له ابنه : عابر ، وعاش بعد ذلك أربعمئة وثلاث سنين ، وولد بنين وبنات . »

فأما فى النسخة السبعينية : « ولما بلغ شالح من العمر مائة وثلاثين سنة ولد له ابنه عابر^(٨) . »

٥ - فالج بن عابر :

وعابر لما كان له من العمر أربع وثلاثون سنة ، ولد له ابنه فالج ، ثم عاش بعد ذلك أربعمئة وثلاثين سنة ، وولد بنين وبنات .

وفى التوراة السبعينية . أن عابرا عاش مائة وأربعا وثلاثين سنة ، وولد
لـ « فالج » ، لأن فى أيامه قسمت الأرض .

وعن كتاب (ابن العبرى) قوله :

« وفى سنة مائة وأربعين من حياة فالج ، فلجت الأرض ، أى قسمت بين
ولد نوح ، فصار لبني شام : وسط المعمورة ، فلسطين والشام وأثور
والسامرة وبابل وفارس والحجاز .

ولبني حام : التيمن كله ، أى الجنوب ، افريقيا والزنج ، ومصر والنوبة
والحبشه ، والسند والهند .

ولبني يافث : الجربيا ، أى الشمال ، وهى الأندلس والافرنجة وبلاد
اليونانيين والصقالبة والبلغار والترك والأرمن .

ثم بعد وفاة فالج ثارت الفتن بين بنيه وبين بنى يقطان أخيه ، وشرع
الناس فى تشييد الحصون » .

٦ - أرعو بن فالج :

وفالج ، لما كان عمره ثلاثين سنة ولد له ابنه : أرعو ، وعاش فالج بعد
ذلك مائتين وتسع سنين ، وولد له بنون وبنات .

وفى التوراة السبعينية : أن فالجا عاش مائة وثلاثين سنة ، ثم ولد له
ابنه : أرعو .

وفى كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيرونى^(٩) ، قوله :

« وحكى بعض أهل الأخبار : أن تبلبل الألسن كان موافقا لمولد
« أرعو » ، وأن نمرود بن كوش بن حام ، ملك بعد ثلاث وعشرين سنة من
« أرعو » ، فكانت مملكة بابل أول مملكة قامت فى أرض
شنعار^(١٠) »

وذكر ابن العبرى ، فى كتابه (تاريخ مختصر الدول)^(١١) :

أن تبلبل الألسن كان فى سنة سبعين من ميلاد « أرعو » ، حين قال

الناس بعضهم لبعض : هلموا نضرب لبنا ونحرق أجرا وتبنى صرحا شامخا فى علو السماء ليكون لنا ذكرا ، حتى لا نتبدد على وجه الأرض ، فلما جدوا فى ذلك بأرض شنعار ، وهى السامرة^(١٢) ، قال الله تعالى : « هؤلاء ، إذا كان ابتداء عملهم هذا ، فإنهم لا يعجزون عن شىء يهتمون به ، فلبيل ألسنتهم ، وتبدد شملهم ، فسميت بذلك مدينة بابل » .

٧ - سروج بن أرعو :

وعاش أرعو اثنتين وثلاثين سنة وولد له سروج^(١٣) ابنه ، وعاش بعد ذلك مائتين وسبع سنين وولد بنين وبنات .

وفى النسخة السبعينية : أن أرعو عاش مائة وثلاثين سنة ، ثم ولد له ابنه سروج .

قال ابن العبرى :

« إن ساروغ ، أظهر سك الدراهم والدنانير ، وفى أيامه أكثر الناس من اتخاذ الأصنام^(١٤) ، وكان الشياطين يظهرون منها الآيات الباهرة » .

٨ - ناحور بن سروج .

وعاش سروج ثلاثين سنة ، ثم ولد له ابنه : ناحور ، وعاش بعد ذلك مائتى سنة ، وولد بنين وبنات .

وفى نسخة التوراة السبعينية : أن سروج عاش مائة وثلاثين سنة ، وولد له ابنه : ناحور .

٩ - تارح بن ناحور :

وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد له ابنه : تارح^(١٥) ، وعاش بعد ذلك مائة وتسع عشرة سنة وولد له بنون وبنات .

وفى التوراة السبعينية : ان مولد تارح كان بعد تسع وسبعين سنة من حياة أبيه ناحور .

قال ابن العبري :

« وفي سنة خمس وعشرين من حياة ناحور ، كان جهاد أيوب الصديق ، على رأى أرواذ الكنعاني ، وفي أيامه بنى أرمونيس ، ملك كنعان ، سدوم وعامورا ، على اسم ولديه ، وبنى مدينة : سوغر^(١٦) على اسم أمهما زوجته » .

١٠ - إبرام بن تارح :

وعاش تارح سبعين سنة وولد له ابنه : إبرام^(١٧) ، وكانت جميع أيامه مائتين وخمسا وسبعين سنة ، ومات بمدينة جاران .

وقيل . إنه في أيام تارح بنى مورفوس ، ملك فلسطين ، مدينة دمشق^(١٨) ، قبل ميلاد إبراهيم بعشرين سنة .

وإبرام بن تارح هو إبراهيم الخليل ، جد بنى إسرائيل ، وفي نسختي التوراة جميعا : أن تارحا عاش سبعين سنة ، ثم ولد له : إبرام وناحور وهاران ، أبناؤه .

وإلى هنا ، يتفق التاريخ في كلا النسختين عن التوراة ، كما في الجدول :

وفي الجدول الثاني ، أضيف اسم قينان بن أرفكشاد ، اعتمادا على ما في التوراة اليونانية ، وذلك تنظيما لترتيب الأعلام وسنى كل منهم تباعا ، منذ البدء من لدن آدم فرضا إلى ميلاد إبراهيم الخليل .

(جدول يبين مواليد نوح بعد الطوفان، كما في نسخة التوراة)

أسماء الأعمار		التوراة العبرية		تصويب		التوراة اليونانية		تصويب	
		عدد السنين	تاريخ الفتح	عدد السنين	التاريخ الميلادى	عدد السنين	تاريخ الفتح	عدد السنين	التاريخ الميلادى
الطوفان		١٦٥٦	٢٠٥	١٦٠٧	٢٠٥	٢٠٥	٢٠٥	٢٠٥	٢٠٥
أرفكشاد بن سام		١٢٥٨	٢٣٤٦	١٦٠٩	٢٤٧٧	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
(قينان بن أرفكشاد)		١٦٨٦	٢٣١٨	١٦٣٧	٢٤٤٩	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
شالغ بن قينان		١٧٤١	٢٢٨٣	١٦٧١	٢٤١٥	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
عابر بن شالغ		١٧٥١	٢٢٥٣	١٧٠٠	٢١٨٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
فالغ بن عابر		١٧٨٥	٢٢١٩	١٧٣٣	٢١٥٣	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
رعوبن فالغ		١٨١٥	٢١٨٩	١٧٦٢	٢١٢٤	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
سروج بن رعو		١٨٤٧	٢١٥٧	١٧٩٣	٢٠٩٣	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
ناحور بن سروج		١٨٧٧	٢١٢٧	١٨٤٢	٢٠٦٤	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
تاج بن ناحور		١٩٠٦	٢٠٩٨	١٨٥٠	٢٠٣٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦
إبرام بن تاج		١٩٧٦	٢٠٢٨	١٩١٨	١٩٦٨	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦	٢٠٩٦

من الطوفان إلى إبراهيم
كما في التوراة السبعينية

من الطوفان إلى إبراهيم الخليل
كما في التوراة العبرية

ويجدر هنا أن نشير إلى أن تلك الأعمار الطوال التي ذكرت في التوراة بإزاء كل واحد منهم ، إنما تشير الشك في أنها تنطبق على أسماء أفراد في ذواتهم ، بل إنما هي بحيال أجيال من الناس ينتسب كل منهم إلى اسم واحد من أولئك نسبة الجد الأعلى ، حتى إذا اندثر جيل ، ظهر الذى يليه

يحمل كذلك اسم صاحب العائلة أو القبيلة ، وذلك بوصف أنهم أعلام منتخبون ولكل واحد إخوة وأخوات ، وبنون وبنات ، وأحفاد كثيرون .

وليس صحيحا أن يقال بأن المتقدمين كانوا يتميزون بتلك الأعمار المديدة ، دون المحدثين إلى زماننا ، فليس في تاريخ المصريين الفراعنة ولا في أهل بابل وأشور من الملوك والعامّة من هم قد عاشوا مثل تلك السنين بالأجيال .

ومما يؤيد ذلك بوجه ما ، أنه متى صح أن إبراهيم الخليل قد عاصر الأسرة الثانية عشرة ، فإنه ، مع ولديه إسحاق وإسماعيل جميعا ، نهاية المطاف لعمر نوح فرضا وليس بالحقيقة ، ومن هنا يتخيل الناظر تخلخلا في قصة الطوفان ، كأنما أريد بها أن تكون كذلك ، لكي يبدو نوح وأولاده وكأنهم أصل الأجناس مما يلي الطوفان ، دون من تقدم عنهم من نسل آدم .

ولذلك ، فإنه متى أريد أن تتحقق صلة ما في التاريخ بين قدماء المصريين وبين أولاد آدم ، أو بينهم وبين نسل نوح ، على الزعم الذي يقول : إن اسم مصر منسوب إلى مصرام بن حام بن نوح ، وإنها تدعى أرض حام ، فإنه من الأقرب إلى الأمر الطبيعي أن نفرض أن أصل المصريين إنما نشأ عن هجرة سابقة شبه جماعية من الأدوميين ، وهم من نسل قايين ، ثم من بعض قبائل ما بين النهرين ، في زمان قد لا يتجاوز كثيرا بدء التاريخ العبري ، في سنة ٣٧٦٠ قبل الميلاد ، وأن هؤلاء كان لهم شأن في تاريخ المصريين وعقائدهم وعاداتهم ولهجاتهم ، في الفترة التي سبقت عهد الأسرات الملكية ، فيما تعرف بالعصر العتيق ، الذي كان يعتمد على أعلام قلائل كانوا إذ ذاك بمثابة أنصاف الآلهة والملوك العظام .

وحينئذ يستقيم القول بعد ذلك في أن بعضا من نسل نوح بعد الطوفان ، قد نزحوا إلى مصر ، وهم الكوشيون والمصريون والفوطيون ، من ولد حام ابن نوح .

وفي التوراة : « أن من أولاد مصرام بن حام خرج فلشتميم وكفتوريم »^(١٩) . وإلى هذين ينتسب الفلسطينيون ، ثم القبط المصريون الذين بنوا مدينة « قفط » في صعيد مصر ، وهناك من الدلائل ما يشير إلى

أن أهل المشرق جميعا ، فى الدائرة التى تحيط ببلاد العرب والشام ومصر والأحباش ، إنما ينتسبون أصلا إلى الأدوميين ابتداء ، ثم إلى الكوشيين والأشوريين بعد الطوفان ، وأن الهجرة إلى مصر كانت بدءا من الشمال والشرق .

* * *

- (١) سفر التكوين أصحاح / ١٠
(٢) يعنى : قوس قزح ، وهو من ألوان الطيف ، يظهر فى السماء مقابلا للشمس ، قرب هطول المطر ، ويعده اليهود وعد الله لهم برعايتهم بعد الطوفان الأعظم .
(٣) سام . أكبر أولاد نوح ، وينطق أيضا : « شام » ، كما فى العبرية .
(٤) انظر . سفر التكوين أصحاح / ١١ - مواليد سام بن نوح .

(٥) لم تذكر التوراة العبرية اسم « قينان » على أنه ابن أرفكشاد ، غير أنه يوجد فى الترجمة العربية لهذه النسخة بعينها ، نص بالهامش يفيد أن قينان هو ابن أرفكشاد ، كما فى النسخة السبعينية التى تقول : « وأرفكشاد ولد قينان ، وقينان ولد شالح » .

وأيضا يوجد بتلك النسخة بالهامش رقم (٥) ، فى الترجمة العربية قوله « ويوجد فى الترجمة السبعينية اسم « قينان » مولودا من أرفكشاد ، ووالدا لشالح » - انظر : سفر التكوين أصحاح / ١١

ويبدو أن اليهود أسقطوه من نسختهم لأنه على اسم (قايين بن آدم) فعذوه شريرا ، فلذلك حذفوه ، وقيل : إنهم يعتقدون أن الأجيال من آدم إلى نوح عشرة ، ومثلها فيما بين نوح إلى إبراهيم

- (٦) وهذه المدة صحتها مائة وثمان وعشرون سنة ، من قبل أن تلك لا تستقيم مع المجموع من الطوفان إلى إبرام ، ويبدو أنها محسوبة فرضيا من بعد الطوفان مباشرة .
(٧) « حاران » مدينة قديمة فى أعالي دجلة والفرات ، بين النهرين ، وهى التى هرب إليها إبراهيم الخليل مع أبيه تارح ، من أور الكلدانيين - (انظر الفصل العاشر)

(٨) « عابر بن شالح » : هو الجد الخامس لإبراهيم الخليل ، وإليه ينسب العبرانيون ، وقد تكون هذه الصلة نسبة إلى عبور إبراهيم الفرات فى طريقه إلى كنعان .

(٩) انظر المرجع السابق - لأبى الريحان البيرونى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ - طبع المانيا سنة ١٨٧٨ م .

(١٠) أرض « شنعار » هى الواقعة بين دجلة والفرات جنوبى العراق فى مملكة بابل القديمة .

- (١١) انظر المرجع السابق - وانظر فى ذلك التوراة - سفر التكوين أصحاح / ١١
(١٢) قوله هنا : « السامرة » لا يصح إلا بتشديد الراء ، والأشبه أنه يريد (سامرا) القديمة ، وهى إسم آخر لأرض شنعار أيضا .

(١٣) « سروج » ويقال ساروج ، ويبدو أنه سرجون الكبير ملك أكاد ، ويعرف بإسم « شاروكين القديم » الذى بنى مدينة « سروج » غربى حاران ، وتقع الآن فى جنوبى تركيا ، مع حدود سوريا شمالا .

وفى « الموسوعة الميسرة » : (أن أسرته حكمت ما يقرب من قرنين من الزمان ، وأنه سرجون القديم ٢٣٤٠/٢٣٠٥ ق . م) .
وانظر فى ذلك الجدول المتقدم على ترتيب السنين فى التوراة العبرية ، ثم فى التوراة اليونانية .

(١٤) وفى كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق) لابن البطريق ، قوله
« وكان المبتدئون بعبادة الأصنام أهل مصر وبابل وافرنجيس وأهل السواحل ... » .

(١٥) « تارح بن ناحور » وفى معجم (آثار الأدهار) ، طبع سوريا سنة ١٨٧٧ م ، أن اسمه : « أز » ، وكذا فى « مروج الذهب » للمسعودى : أن أز مات وعمره مائتان وستون سنة .

ويبدو أن أصل التسمية (تارح) قد تنطق : (زارح) والنسبة « أزرحى » ، وقد تخفف إلى (زر) - انظر « قاموس الكتاب المقدس فى كلا الاسمين » .

(١٦) « صوغر » . كما فى التوراة هى « بال » ، القديمة التى هرب إليها لوط ، فى قصة هلاك سدوم وعامورة - (تكوين ١٤ و ١٩) .

ويشبه أنها « سالع » التى تسمى أيضا « البطراء » وهى من المدن القديمة الأثرية ، تقع فى وادى موسى إلى الشرق ، من وادى العربى ، وإلى الشمال من جبل هارون - انظر : خريطة (فلسطين) .

(١٧) فى التوراة : (وولد إبرام وناحور وهاران) ، ويبدو أن الذى انتخب منهم « إبرام » ، وهو الأكبر .

(١٨) كذا فى (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى ، وفى « تاريخ يوسفوس » ، اليهودى - أن الذى بنى دمشق عوص بن آرام ، من ولد سام بن نوح .

(١٩) انظر التوراة - سفر التكوين أصحاح ١٠ قال :

* ومصرائيم ولد لوديم وعناميم ولهاييم وفتروسيم وكسلوجيم ، الذين خرج منهم فلشتيم وكفتوريم *

وفى بعض المراجع تفسير يقول :

(إن كفتوريم) أو « كفتور » يعنى أهل جزيرة كريت ، وهم الفلسطينيون أصلا - اعتمادا على ما جاء فى سفر أرميا - أصحاح ٤٧ / ٧) .

غير أن نص القول فى هذا الموضع يذكر من البلاد : صور وصيدون ، ثم غزة وعسقلون ، مما يبتعد بالمعنى كثيرا عن الظن بأنه يعنى جزيرة « كريت » فى البحر المتوسط ، ويبدو أن هنالك خلطا على التشابه فى التسميات ، فإن « كريت » توجد أيضا فى فلسطين على أنها من المناطق القديمة شرقى نهر الأردن ، فى الجهة التى تعرف الآن بإسم وادى عجلون بجوار جرش أو كريت .

والذى نراه فى ما جاء بسفر التكوين ، وهو الأقدم ، عما جاء فى نبوه أرميا ، أقرب إلى العقل ، وذلك أن :

« فلشتيم هو أبو الفلسطينيين ، من نسل أولاد مصر ايم ، الذين أقاموا فى ارض ساحل فلسطين عند غزة ، قبل زمن إبراهيم الخليل » .
وأما « كفتوريم » فهو أبو القبطيين الذين نزلوا مع أولئك ، فى أول الأمر ، فبعض أقام فى ذلك الموضع من فلسطين ، والبعض الباقى واصل الهجرة جنوبا إلى وادى النيل حتى استقر فى المكان الذى يعرف الآن باسم (قفت) ، بين قنا والأقصر ، وهؤلاء لهم مدخل « فى تاريخ مصر القديم » مما يلى الأسرة السادسة .

الباب الثاني

انتشار قبائل أولاد نوح بعد الطوفان

- القبائل السامية
- القبائل الحامية
- القبائل الآرية

الفصل الخامس :

القبائل السامية

السامية : مصطلح يجمع بين اللغة والجنس ، لشعب قديم من الناس ، ينسب إلى سام بن نوح ، وفي العبرية : سام ، بمعنى حسن المنظر ، واليهود يعدونه أبا لكل بني عابر ، وعابر هذا هو الجد الخامس لإبراهيم الخليل .

وفي التوراة^(١) : بنو سام أربعة هم :

١ - (أرفكشاد) :

هو جد الساميين من قبائل ما بين النهرين جميعا ، وفي أرض العراق وشرقها ، وهم الأكاديون والآشوريون والكلدانيون .

وقيل : إن من نسله خرج اليقطينيون من أهل اليمن ، وذلك أن عابرا ولد له ابنان :

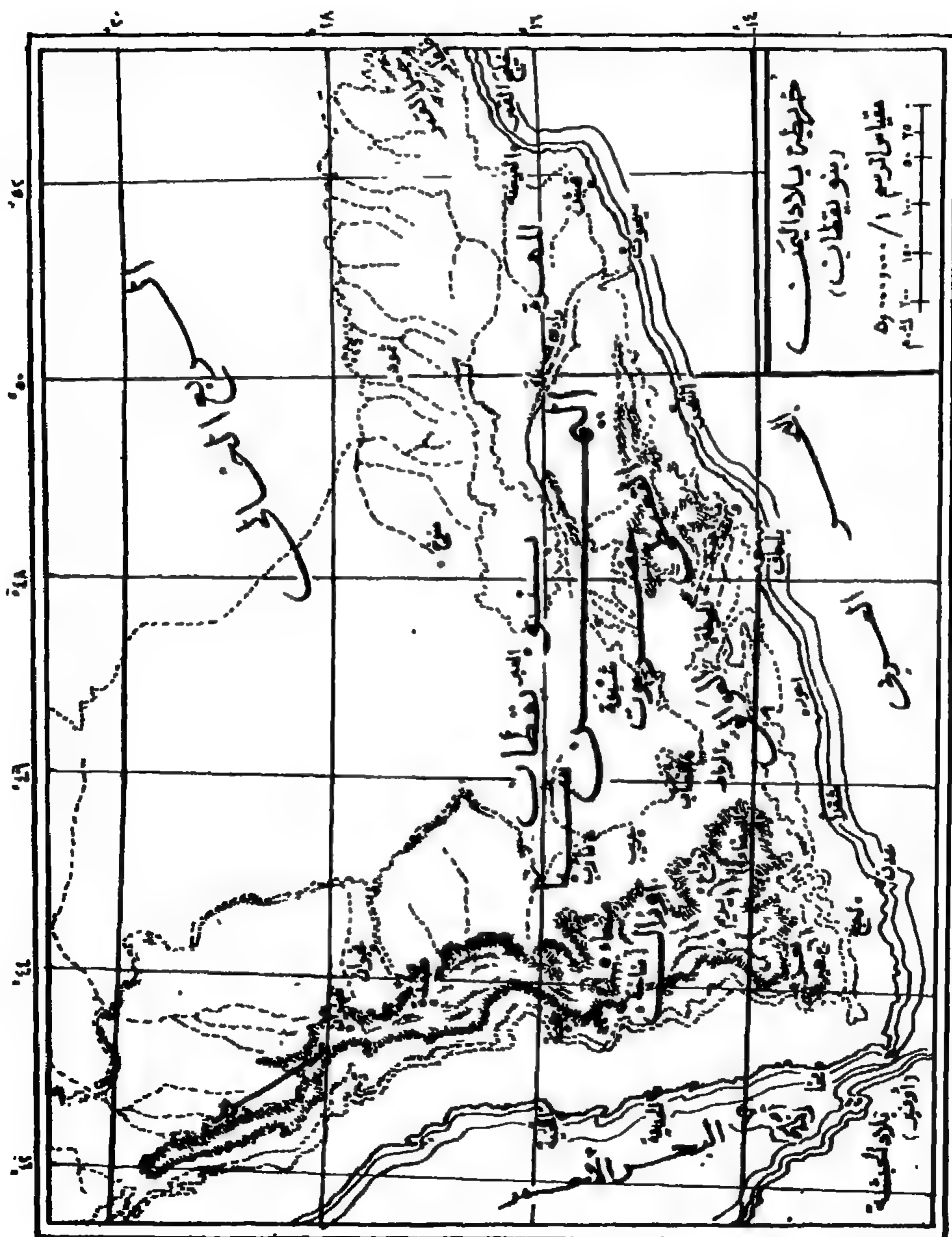
أحدهما : « فالج » وفي أيامه قسمت الأرض .

والآخر : « يقطان » ، الذي انحدر جنوبا ، فكان أبا لأهل اليمن^(٢) وصنعاء في جنوب جزيرة العرب .

وولد يقطان : الموداد ، وشالف ، وحضرموت الذي سميت به ديار عاد على بحر اليمن جنوبا .

ثم بارح ، وهدورام ، ثم أوزال ، وهو اسم صنعاء اليمن .
ثم دقلة وعوبال وأبيمال ، ثم سبا ، وبه تعرف المملكة التي بها سد مأرب القديم .

جبل المشرق *



٢ - ثم (عيلام) :

وهو أبو العيلاميين الفرس قديما ، ممن كانوا يقطنون شمال الخليج الفارسي ، وشرقي دجلة ، فيما يعرف الآن باسم : إقليم « خوزستان » في إيران ، وكانت عاصمته مدينة « سوسة »^(٥) ، على فرع نهر الكرخ ، في شرق دجلة ، وقد كانت حضارة قديمة ظلت زمانا إلى أن تغلب عليهم الآشوريون .

٣ - ثم (آشور) :

وبه سمى شعب آشور ، في أعالي دجلة والفرات ، بما في ذلك : « آرام »^(٦) بين النهرين . وكانت عاصمتهم قديما : « آشور »^(٧) ، ثم « نينوى »^(٨) ، وحضارتهم في الشرق معروفة منذ القديم ، إلى أن اتحد معهم البابليون وأنشأوا مملكتهم الواسعة التي شملت العيلاميين وأرض شنعار^(٩) ، وأطلقوا عليها اسم : بابل العظيمة ، وعاصمتها مدينة بابل ، وتعرف الآن باسم : السامرة القديمة .

وأصل التسمية : « باب رائيل » أي باب الله ، وكانت عاصمة مملكة بابل القديمة : وأطلالها بين دجلة والفرات تجاه الكوفة إلى الشرق شمالا .

وفي : (دليل مواطن الآثار في العراق) ، وصف شامل لبابل القديمة وبرجها يقول :

« تقع مدينة بابل على قريب من تسعين كيلومترا جنوبي بغداد ، واسمها السومري : (كاردنكرا) ، أما الاسم البابلي السامي فهو (باب رائيلي) ، وأقدم إشارة تاريخية للمدينة ترجع إلى عهد السلالة الأكادية ، نحو سنة ٢٣٠٠ ق . م .

ومعبدتها الرئيسي يسمى (ايساكلا) بالسومرية ، ومعناه : البيت الرفيع ، وهو المخصص لعبادة الإله ، « مردوخ » كبير الآلهة البابلية ،

وكثيرا ما يذكر مع اسم المعبد صرح بابل الشهير باسم « الزقورة » ، واسمه بالسومرية : (آى تمن أنكى) الذى يعنى : أساس السماء والأرض ، وهو صرح مدرج شاهق يحيط به سور عظيم ، ويتوسطه مجموعة من الحجرات ، ويرقى إلى أعلى السطح بثلاثة من السلالم ، أحدها فى الوسط واثنان على الجانبين^(١٠) .

٤ - ثم (آرام) :

وبه عرف الأراميون ، والأصل فيهم من عرب البادية ، وهى صحراء الشام ، بين الجزيرة العربية والفرات ، ثم استقروا فى وادى الفرات الأوسط ، واحتلوا مدينة حاران شمالا ، ثم أنشأوا دمشق جنوبا ، وزاد ضغطهم على تلك الأرض فصارت الآرامية لغتهم جميعا ، وهى لغة سوريا القديمة .

وبنو آرام هم :

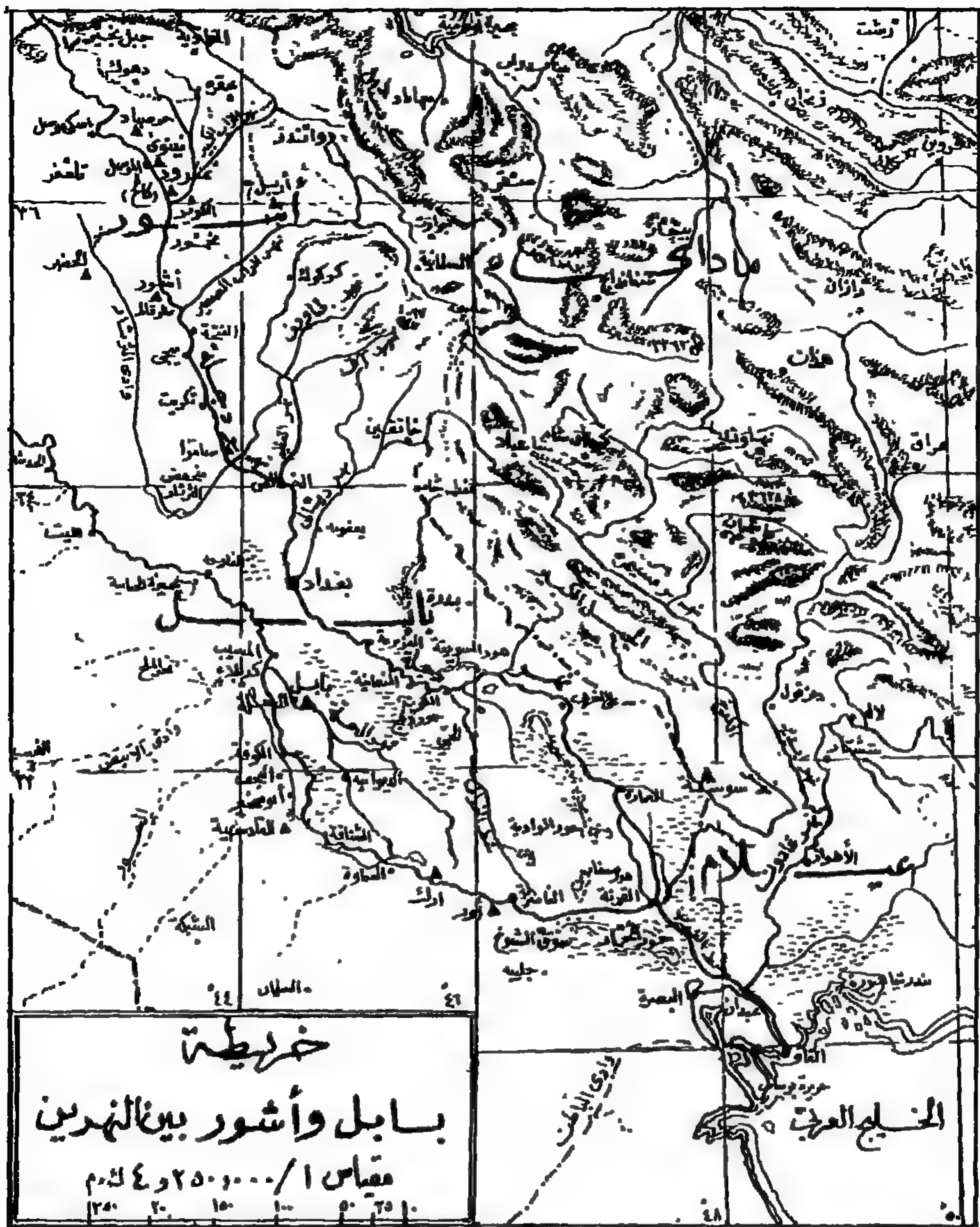
حوص^(١١) وحول وجاثر وماش ، وهؤلاء كانت مساكنهم قريبة من مواطن آبائهم ، حول سوريا والأردن وأدوم^(١٢) .

ثم (لود) :

وهو أخو « آرام » الكبير ، والأشبه أنه سكن ابتداء فى أرض « أدوم » قريبا من بحر لوط ، وهو البحر الميت .

وهناك اختلاف فى تعريف نسب اللوديين الآراميين ثم المصريين من نسل مصرائيم ، نسبة إلى « لود » بكر مصرائيم^(١٣) .

* * *



(١) انظر: سفر التكوين اصحاح / ١٠ و ١١ .

(٢) وفي (مختصر كتاب البلدان) ، لابن الفقيه الهمداني - طبع ليدن Lydin سنة ١٣٠٢ هـ ، في الكلام عن اليمن :

« قال ابن الكلبي : سميت اليمن ، لان يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح ، أقبل بعد خروج ثلاثة عشر ذكرا من ولد أبيه ، فنزل موضع اليمن ، فقال العرب . تيمن بنو يقطان ، فسميت اليمن ، ويقال . بل سميت اليمن لانها عن يمين الكعبة . »

(٣) « ميشا » . هي بلدة (مخا) باليمن ، على البحر الأحمر ، شمال بوغاز باب المنذب .

(٤) « سفار » هي (ظفار) على بحر اليمن ، شرقي حضرموت ، وبها جبل المشرق ، وهو المسمى الآن ، جبل القمر ، ويقع بين اليمن وبين سلطنة عمان - والأشبه أن بنى يقطان هم بنو قحطان عند العرب .

(٥) « سوسة » : عاصمة عيلام قديما ، تقع على نهر الكرخى ، شرقي حدود العراق ، مقابلة لمدينة (جندبسابور) بإقليم خوزستان بإيران ، وتعرف في التوراة باسم (شوشن القصر) ، دمرها الملك آشور بانيبال في القرن السابع ق . م . ثم استعادت وجودها ، وقد اكتشف حديثا فيها عالم الآثار « جاك مورجان » الحجر المنقوش عليه قانون الملك (حمورابى) ، كما عثر على كثير من النقوش باللغة العيلامية .

ومن قدماء ملوك اقليم عيلام ، الملك « كدر لعومر » ، وهو من معاصري ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

(٦) « أرام بين النهرين » يعنى الأرض المرتفعة التى تتبع أرام ، بين نهري دجلة والفرات ، فيما يسمى أرض الجزيرة ، فأما الجزء الذى يسمى في التوراة ، « فدان أرام » فيبدو أنه المحصور بين نهري الخابور والفرات في الشمال الغربى .

(٧) « آشور » . أصل التسمية (آشور) ، بالتشديد ، ثم خففت في النطق بها إلى آشور ، وهي العاصمة القديمة للآشوريين ، نسبة الى « آشور الكبير » ، الذى أسسها والأشبه أنه الذى كان يسمى أيضا - الإله (بعل) أو « بالوس » وأطلالها تعرف الآن في العراق ، باسم (قلعة شرقاط) ، جنوبي الموصل بما يقرب من مائة كيلومترا ، على الشاطئ الشرقى لنهر دجلة ، وترجع آثارها الى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد - (انظر : دليل مواطن الآثار في العراق) .

(٨) « نينوى » : العاصمة الثالثة للآشوريين ، بعد آشور القديمة ثم كالح ، التى تعرف أطلالها الآن باسم « نمرود » .

فأما (نينوى) فهي التى بناها « نينوس بن بالوس » ملك آشور بالقرب من الموصل ، وتقع أطلالها على الضفة اليسرى لنهر دجلة ، على قريب من كيلو متر واحد بإزاء الموصل ، وكانت عاصمة الآشوريين في أوج مجدهم .

(٩) « أرض شنعار » : هي أرض بابل القديمة جنوبي بغداد ، بين دجلة والفرات ، وتذكر التوراة أن أول ملوكها كان نمرود الجبار بن كوش بن حام .

(١٠) انظر التوراة - سفر التكوين ، اصحاح ١٧ (قصة بناء برج بابل وبليلة الآسن) .

(١١) ويقال أيضا « عوص » ، وفي تاريخ « يوسيفوس اليهودى » ، أنه الذى بنى مدينة (دمشق) .

(١٢) « أدوم » بادية الشام ، بما في ذلك شرقي الأردن .

(١٣) « لود » قيل أنه ابو الليديين ، في أعالي غربي العراق ، وأما لوديم فهو من نسل مصرائيم - انظر : مادة (لود) في قاموس الكتاب المقدس .

الفصل السادس :

القبائل الحامية

الحامية نسبة إلى حام بن نوح ، واللفظ بالعبرية يعنى : الأحمر أو الملفوح من الشمس .

وبنو حام ، كما فى التوراة ، أربعة وهم :

١ - (كوش) :

بمعنى الأسمر ، وقد تفرق الكوشيون ، من نسله فى عدة جهات من آسيا ، فمن هؤلاء من استقر جنوبى بحر قزوين وشارك العيلاميين فى شرقى دجلة ، ومنهم من امتد جنوبا واجتاز الفرات الى ساحل الخليج العربى ، أو غربا إلى ساحل البحر الأحمر إلى اليمن .

ومن أولاد كوش من إجتاز البحر الأحمر الى افريقيا ، من صنعاء اليمن ، عند مضيق باب المندب ، واستقر فى بلاد الأحباش ، وهؤلاء لهم صلة ما بقدمااء المصريين .

٢ - ثم (مصر ايم)^(١) :

وينسب إليه اسم مصر ، ممايلى الأسرة السادسة ، فى أواخر القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، وذلك أنه لم يكن لها اسم يخصها من قبل منسوب إلى أحد الأعلام من الملوك ، بل إنما كانت تعرف بأسماء مقاطعاتها

التي تنقسم اليها ، منسوبة إما إلى الآلهة التي تختص بها ، أو إلى ما اشتهرت به كل منها من أسماء الحيوان أو النبات ، فأما اسم مصر بوجه عام فكان وصفا لخصوبة تربتها ، فأطلق عليها اسم « الأرض السوداء » :



وكيمنت (Ckmt) The Black Land, Egypt,

ومن أولاد مصر ايم : (كفتوريم) ، وهو جد القفطيين الذين صعدوا الى مصر العليا وأنشأوا مدينة « قفط »^(٢) ، القديمة ، المسماة باللغة المصرية .



جبتيو (Gebtyw) a Town in upper Egypt,

ومنه اشتق اسم مصر في اللغة اليونانية Egyptious ، وأيضا في اللغات اللاتينية : Egypt .

ولفظ « القبط » في اللغة العربية يشير أصلا إلى المصريين القفطيين الذين اعتنقوا الدين المسيحي في بداية البشارة به ، فالقبطى هو المصرى القفطى المسيحي « Coptos » .

وهنا يجب أن ننوه إلى أن بعض علماء الآثار يظنون أن لفظ مصر والمصريين ، في اللغة اليونانية أو اللاتينية ، إنما هو مشتق من اللفظ المصرى القديم ، (هيكوبتاح) بمعنى : « معبد الإله بتاح » ، ولكنه في الحقيقة بعيد عما هو اسم علم أو اسم مدينة ، ولكن لما تصادف وجود المقطع الأوسط فيه مشابها لذاك في اللغة اللاتينية «Kopt» الصقوه به في الاشتقاق ، رغم اختلاف المعنى في كليهما .

٣ - ثم (فوط) :

أى صاحب القوس ، وهو رمز الصيد والحرب عند الفوطيين الذين نزحوا إلى ليبيا ، في شمال إفريقيا ، عن طريق الدلتا وساحل البحر الأبيض المتوسط ، وبعض هؤلاء استقروا في صحراء مصر غربى الدلتا والواحات^(٣) .

٤ - ثم (كنعان) :

وهو أصغر أولاد كوش بن حام ، الذى لعنه نوح فى وجه أبيه ، لما علم انه لم يستر عورة جده عندما رآه ، بعد أن شرب الخمر فتعري^(٤) .

وقد سكن أولا فى جنوبى لبنان ، ثم امتد مع بنيه ، وبعض بنى مصر ايم إلى الجنوب ، على ساحل البحر ، إلى غزة ، وكانت جميع أرض فلسطين إلى هذا الموضع ، تعرف قبلا بأرض كنعان .

(الكوشيون) - أولاد كوش بن حام

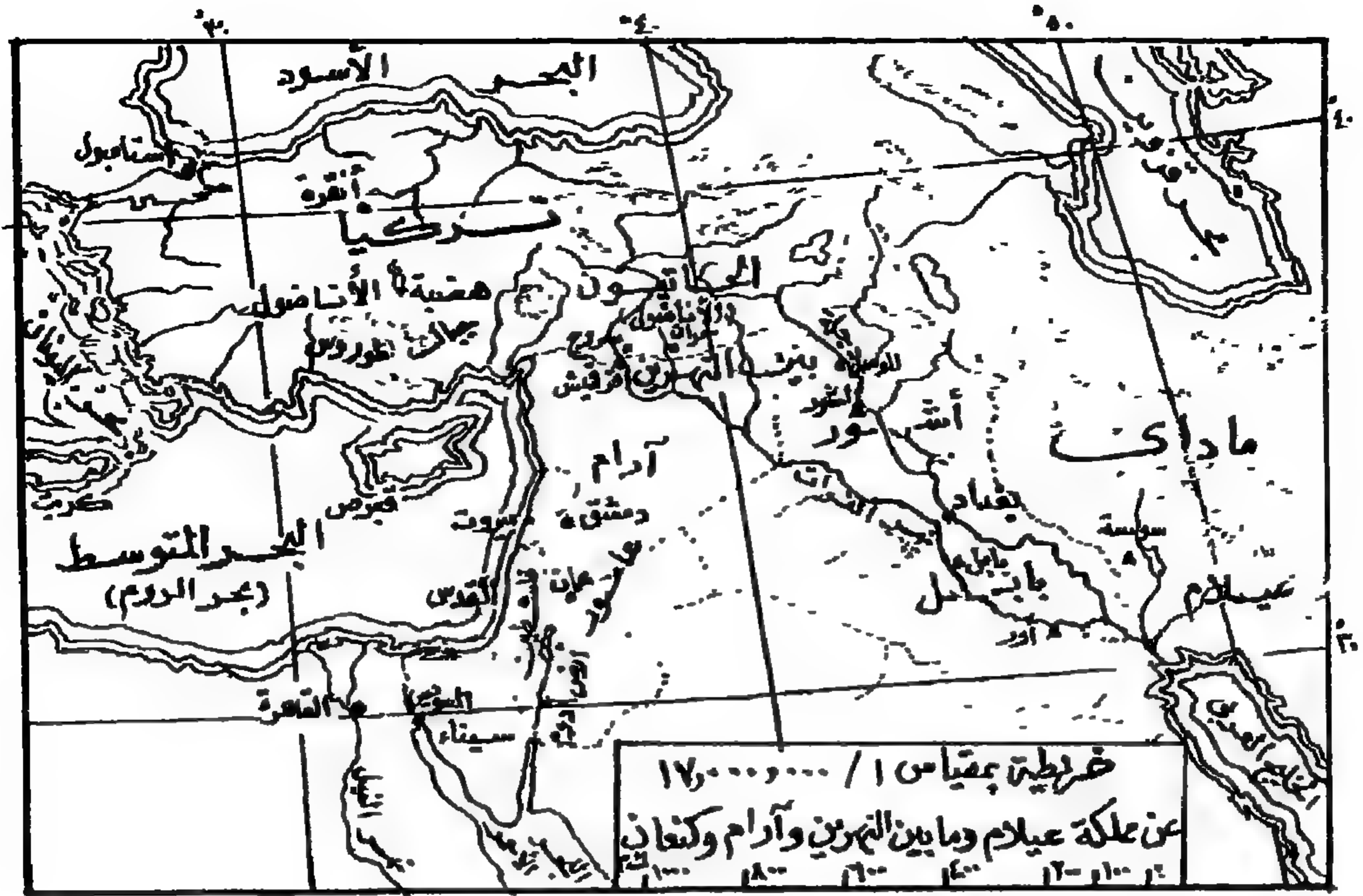
فى التوراة :

« وكوش ولد نمرود الذى ابتداء أن يكون جبّارا فى الأرض ، جبار صيد أمام الرب ، وكان ابتداء مملكته . بابل وارك وأكد وكلنه ، فى أرض شنعار ... » .

وهو الذى استقر بأرض العراق ، بين النهرين فى شنعار ، فكان أول ملك فى هذه الأرض ، وكانت عاصمتها باسمه . « نمرود » التى لاتزال اطلالها باقية للآن ، بعد أن بنيت على أنقاضها مدينة كالح .

وقد ذكر أبو الريحان البيرونى : فى كتابه : (الآثار الباقية^(٥)) ، ملوك بابل على الترتيب ابتداء من نمرود إلى ملك الآشوريون ، على الوجه التالى :

نمرود بن كوش	سط ٦٩ ستة	٢٣١٤ / ٢٢٤٥ ق ^{٢٠}
قنورش	فه ٨٥ »	٢٢٤٥ / ٢١٦٠
ساميرس ^(٦)	عب ٧٢ »	٢١٦٠ / ٢٠٨٨
أرفخشاد	ى ١٠ »	٢٠٨٨ / ٢٠٧٨
(وبنى بابل بالملك إلى أن ملك الآشوريون) هو	ه ٥ »	٢٠٧٨ / ٢٠٧٣
بالوس (بعل) أول ملوك الآشوريين سب	٦٢ »	٢٠٧٣ / ٢٠١١
نينوس (الذى بنى بالموصل نينوى) نب	٥٢ »	٢٠١١ / ١٩٥٩



ثم بعد نمرود ظهرت الدولة الأكادية التي أسسها الملك « سرجون الكبير »^(٧) ، فكانت هناك حرب بين الأكاديين والعيلاميين ، إلى أن تغلب عليهم جميعا الآشوريون وبنوا في الشمال مدينة نينوى^(٨) ، وجعلوا بابل جنوبا عاصمة للدولة الآشورية .

* وفي التوراة :

* ومن تلك الأرض خرج اشور وبنو نينوى ورحوبوث عير ، وكالح^(٩) ، ورسن بعد نينوى ، وكالح هي المدينة الكبيرة .
وأما أولاد كوش بن حام الذين تفرقوا في الأرض فهم :

سبا ، وربما قيل : « شبا » ، ثم حويلة ، ثم سبته ، ثم رعمة ، ثم سبتكا ، فأما بنو رعمة فهما : شبا ودادان .

وهؤلاء هم الذين توغلوا إلى الجنوب في بلاد العرب ، واستقر بعضهم في صنعاء اليمن ، ثم تكاثروا واجتازوا البحر ، من بوغاز باب المنذب إلى إفريقيا وبلاد الأحباش .

١ - (المصريون) : أولاد مصر ايم بن حام

المصريون كما فى التوراة نسبة إلى مصر ايم^(١٠) ، وهم الذين نزلوا إلى مصر ، ممايلى الأسرة السادسة ، واستقر بعضهم فى الدلتا وممايلىها إلى الغرب ، وبعضهم فى مصر الوسطى والجنوب ، وهم :
' لوديم وعناميم ولهاييم ، وهؤلاء استقروا فى الدلتا وامتدوا إلى الغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وخاصة بنولهاييم ، وقد يقال : لوبيم ، وهم أصل سكان ليبيا وما والاها غربا .
ثم نفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم ، وهم أجداد مصر الوسطى والفيوم ، وقد امتدوا جنوبا إلى بلاد النوبة والواحات الداخلة .

وفى التوراة : اصحاح / ١٠ سفر التكوين - قوله :

* ومصر ايم ولد لوديم وعناميم ولهاييم ونفتوحيم وفتروسيم^(١١)
وكسلوحيم ، الذين خرج منهم : فلشتيم وكفتوريم ..*
ومن هذين الأخيرين :

فأما « فلشتيم » ، فهو أبو الفلسطينيين الذين استوطنوا ساحل البحر المتوسط فيما بين يافا وغزة جنوبا ، وما والاها شرقا إلى جبل الخليل ، وبهم سميت أرض كنعان جميعا : « فلسطين » .

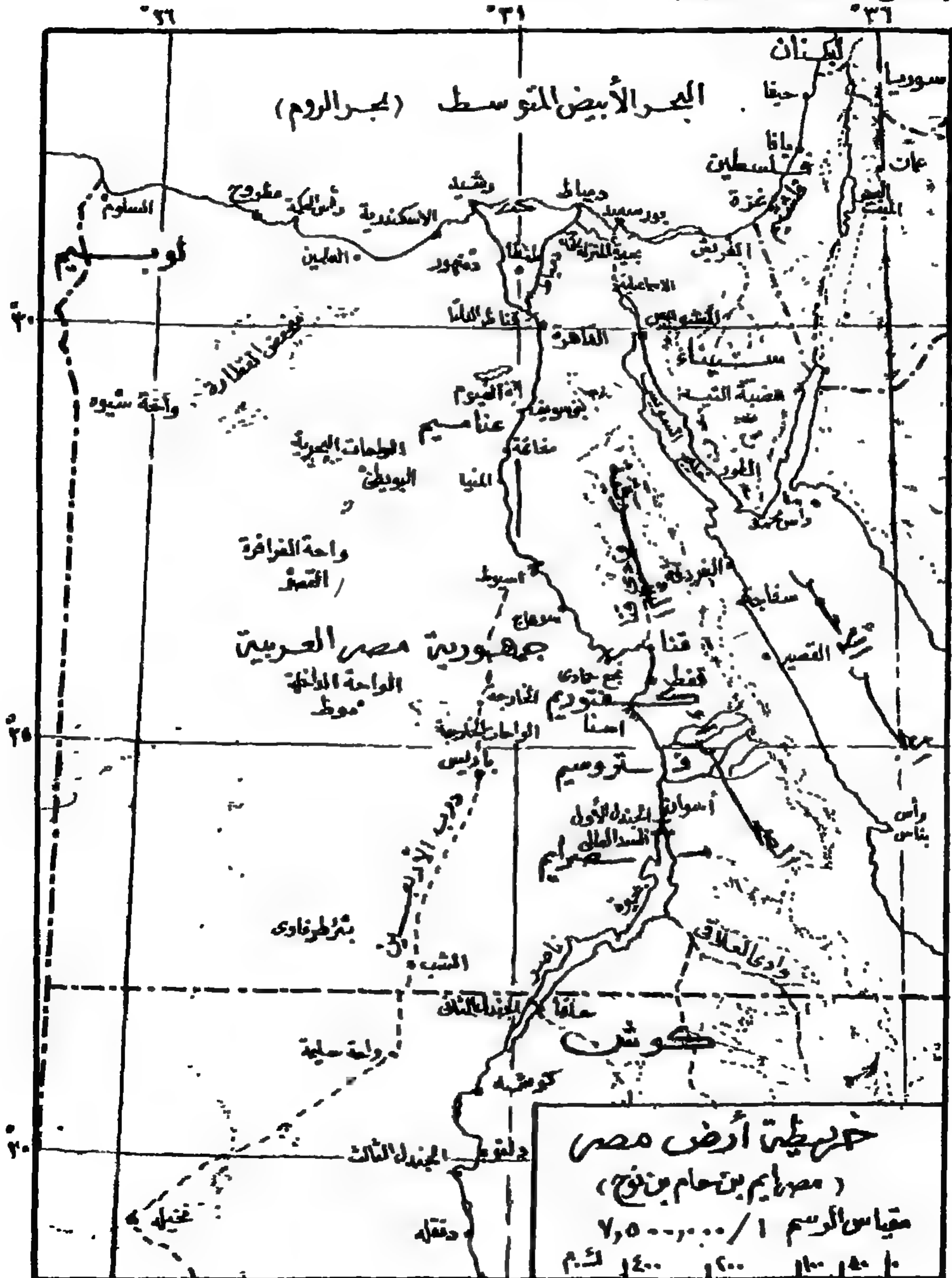
وأما « كفتوريم » فهو أبو المصريين الذين امتدوا فى وادى النيل صعودا وبنوا لهم مدينة « قفت » القديمة ، شرقى النهر على طريق القصير إلى البحر الأحمر ، وتعرف فى اللغة المصرية القديمة باسم : (جبيتو Gebtyw) ومنه اشتق اسم مصر والمصريين فى اللغتين اليونانية واللاتينية . وكان سكان هذه المدينة يسمون أيضا بالأسرة القبطية ، وهم أول من اعتنق المسيحية ، فكان اشتقاق لفظ الأقباط Coptos من تلك التسمية أصلا^(١٢) .

٢ - (الفوطيون) - أولاد فوط بن حام

لم تذكر التوراة شيئا عن نسل فوط بن حام ، والأشبه انهم اختلطوا مع أولاد مصر ايم ، فنزح بعضهم الى الغرب ممايلى ليبيا ، على ساحل البحر المتوسط ، وتوغل بعضهم إلى الجنوب فى مصر وإلى الغرب ، فى الواحات

وماحواليها ، فقد كانوا أصحاب صيد يميلون الى الصحراء .

ولفظ « قوط » ورد فى بعض أسماء الأعلام التى ذكرتها التوراة فى قصة يوسف الصديق ، ومنها « قوطيفارع » ، وهى باللغة المصرية : يوديفا بمعنى : حامل القوس (١٢) .



(الكنعانيون) - أولاد كنعان بن حام :

فى التوراة :

* وكنعان ولد صيدون بكره ، وحثا ، واليبوسى ، والأمورى ،
والجرجاشى ، والحوى ، والعرقى ، والسينى ، والأروادى والصمارى ،
والحماتى ، وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى .

وكانت تخوم الكنعانى^(١٤) ، من صيدون حينما تجىء نحو جرار الى غزة ،
وحينما تجىء نحو سدوم وعمورة ، وأدمة وصبوبيم إلى لاشع *

(صيدون)

وهو بكر كنعان ، واليه ينسب اسم مدينة « صيدون » وهى (صيدا) على
ساحل البحر المتوسط ، بين بيروت وبين صور .

ثم (حثا) أو « حث »

وهو أبو الحثيين ، الذين سكنوا ابتداء فى حبرون ، التى هى الآن مدينة
الخليل ، بين القدس وبين بئر سبع .

ويبدو أن هنالك فى التاريخ القديم خلطا بين لفظ ، (حثى) بكسر أوله ،
نسبة إلى (حثا الكنعانى) ، فى فلسطين ، وبين لفظ (حتى) أو « حاتى »
نسبة الى الحاثيين فى بلاد الأناضول ، حيث كانت عاصمة بلادهم (حات)
أو (حت) التى تدعى الآن « بوغازكوى » فى تركيا وهم من نسل يافث ، من
ترشيش .

وهؤلاء هم الغزاة لسوريا وفلسطين بعد خروج بنى إسرائيل من مصر ،
وقد حاربهم الملك رمسيس الثانى سنة ١٢٦٧ ق . م ، وهزمهم فى موقعة
قادش ، وبذلك تمت بين الحثيين وبين مصر معاهدة الصلح^(١٥) .

ثم (اليبوسى) .

اليبوسيون ، هم منذ القديم أصحاب كورة « أورشليم » ، وهذه فقد كان ملكها فى زمن ابراهيم الخليل ، يدعى . ملكيزدق ، اى الملك الصادق ، وكانت أورشليم تدعى أيضا قبل ذلك باسم « ييوس »

ثم (الأمورى) :

الأموريون^(١٦) ، ويبدو انهم الحموريون ، قديما ، والتسمية نسبة الى صفة الحمار القوى الصبور ، وكانت لهم مملكة واسعة شرقى الأردن ، وفى شمال وجنوبى فلسطين ، وربما كان منهم (حمورابى) الذى فتح بابل حوالى سنة ١٧٧٨ ق . م والعماليق بطن منهم .

ثم (الجرجاشى) :

الجرجاشيون ، يبدو أنهم كانوا يقطنون بين نهر اليرموك وجبل الشيخ ، وقد ينسبون لهم مدينة جرش التى فى وادى الزرقا ، غير أن الأرض التى بين هذه وبين نهر اليرموك كانت فى حوزة الأموريين ، استولوا عليها من الموآبيين والعمونيين .

ثم (الحوى) :

وهم الذين كانوا يسكنون شمال فلسطين إلى غرب جبال الخليل ، عند وادى صرار .

ثم (العرقى)

والعراقيون^(١٧) ، فيما نرى ، هم الذين سكنوا فى المرتفعات الشرقية ، القريبة من العراق ، عند جبال بشرى وتدمر ، إلى الشرق من الصاديون الذين سكنوا فى جبال شومر^(١٨) .

ثم (السيتى) :

والسيتيون ، على الأرجح هم الذين نزلوا منذ أول الأمر فى جبال لبنان الغربية ، من جهة الساحل بين صيدا وطرابلس الشام ، فى منطقة جبال صين .

ثم (الأروادى) :

والأرواديون نسبة إلى جزيرة أرواد ، على ساحل سوريا ، فيما بين طرابلس واللاذقية ، فهم سكان هذا الموضع منذ القديم إلى الآن ، فيما يسمون بالفينيقيين .

ثم (الصمارى) :

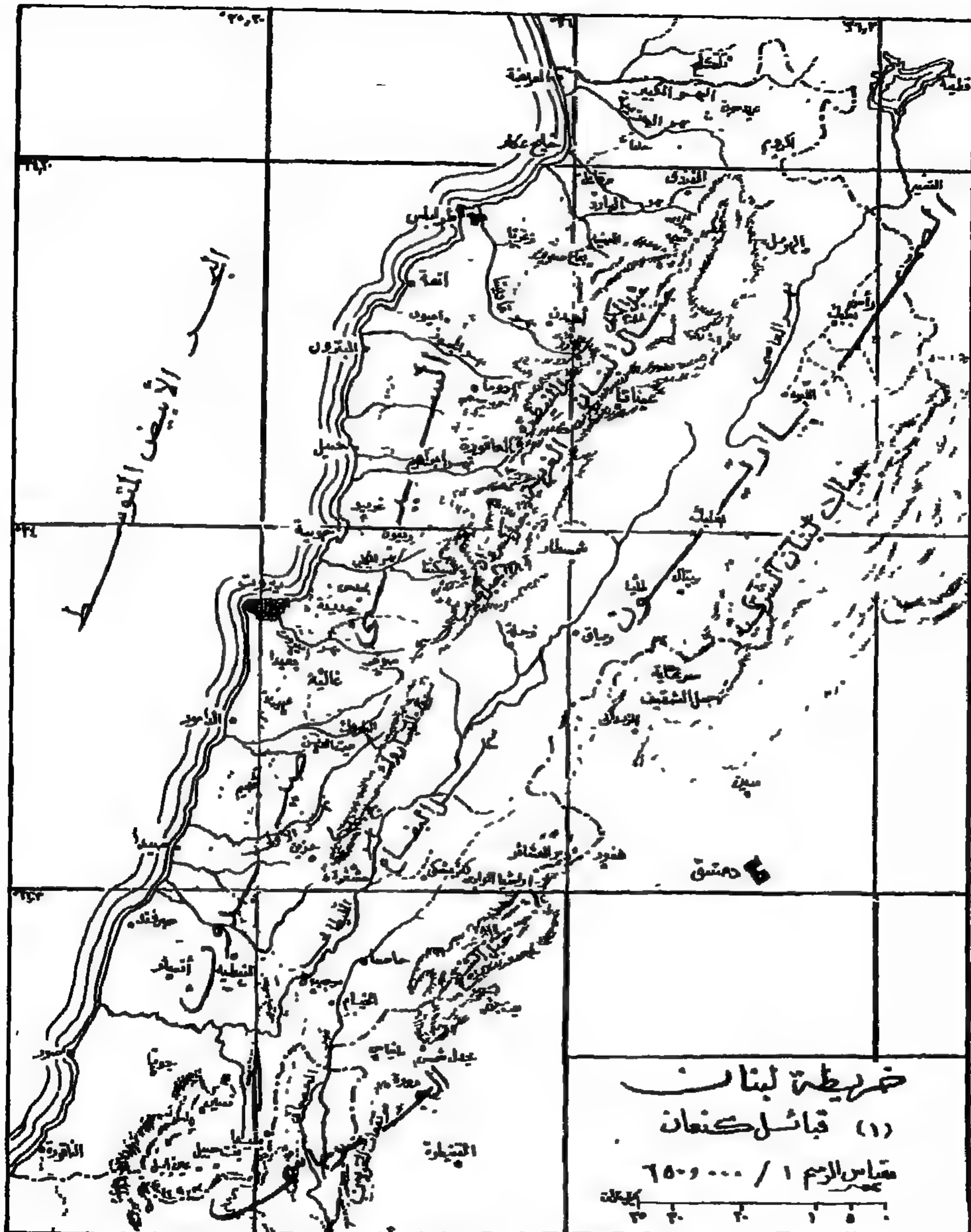
الصماريون ، فيما نراه ، هم سكان جبال شومر ، إلى الجنوب الشرقى من حماة ، غير أن البعض ينسبهم الى بلدة « صميرة » فى المنطقة التى يسكنها الأرواديون ، ولستنا من هذا على ثقة تماما .

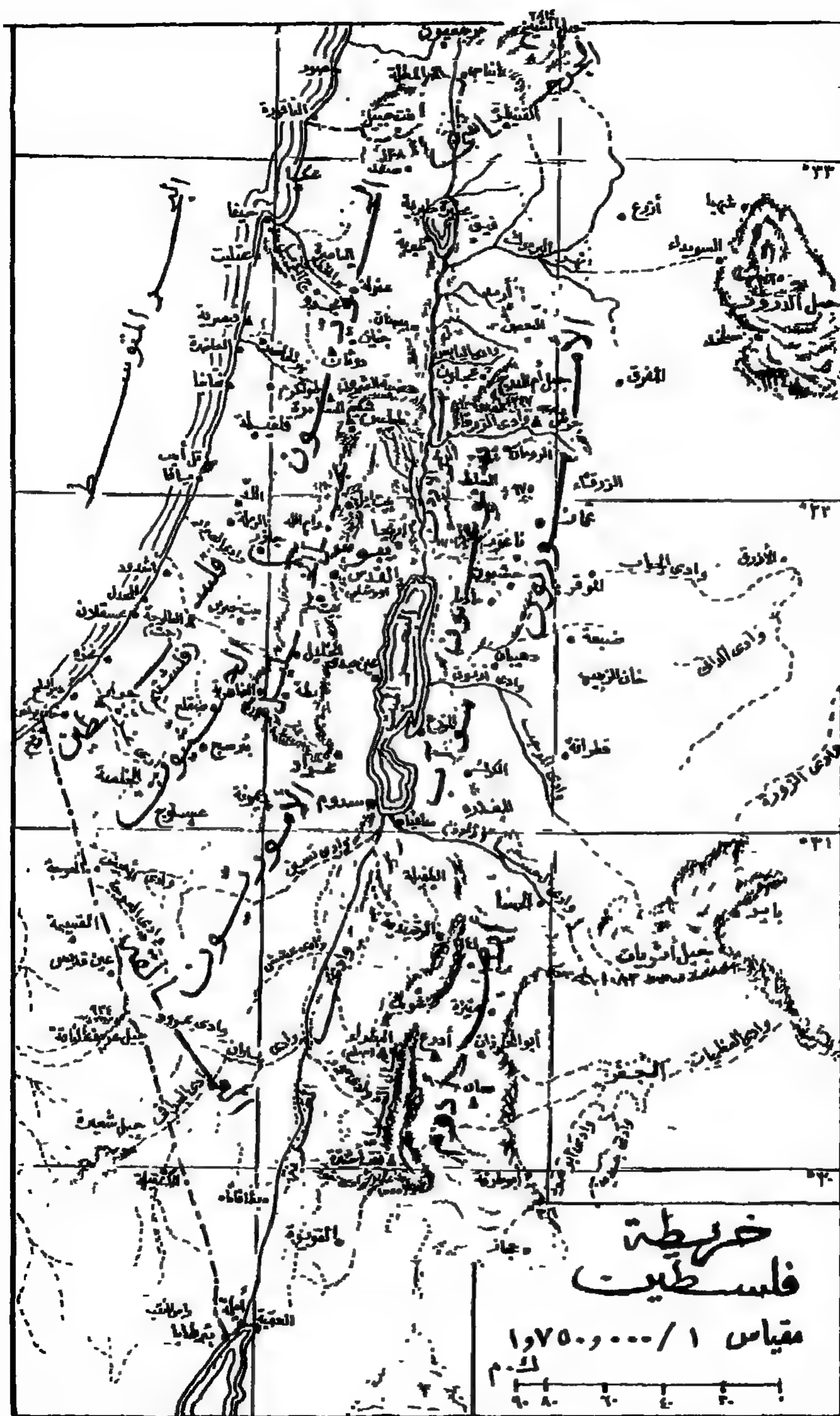
ثم (الحماتى) .

نسبة إلى مدينة حماة ، وهى عاصمة المنطقة التى تقع إلى الشرق ، والشمال الشرقى من الأرواديين .

ذلك هو ترتيب الكنعانيين ، كما جاء فى التوراة ، غير أن هؤلاء جميعا كانوا ينقسمون ، من حيث الإقامة ، إلى أماكن فى سوريا ، ولبنان وفى فلسطين ، وقد جعلنا لذلك خرائط تجمع هؤلاء جميعا ، كل فى موضعه ، على الوجه الذى تقدم ، مما أمكن تعريفه بقدر المستطاع .







(١) وقد أشار كتاب (وصف مصر) ، كما فى الترجمة العربية ، إلى أن اسم مصر ايم وجد على اثر قديم ، قطعة من الصلصال ، تعرف بشققة « سانشونيان » التى اشار اليها « يوسيدس » فى كتابه (شعائر المذهب الانجيلي) باسم « ميزور Misor وذلك فى عرض قوله عن الكتابة الهيروغليفية .

فقد قال فى الجزء الثامن ، طبعة الخانكي ص ٥٧/ هامش ٢ اليكم مانقرؤه فى شققة « سانشونيان » التى اشار اليها يوسيدس فى كتابه Pareparation Evangile Ques الخاص بالكهنوت الفينقى ص ٢٧ - يونانى ولاتينى طبع باريس سنة ١٦٢٨ .

« ... وكان لميزور Misor ابن يسمى تايوت Taout ، وهو الذى اخترع العناصر الأولية للكتابة ، والذى يسميه المصريون . تحور Thor ويطلق عليه السكندريون اسم : تحويت Thoyth ، ويسميه الأغريق هرمس » .
ثم يضيف المؤلف نفسه .

« . وبعد أن حسد الإله تايوت ، بالفعل اورانوس Uranws ، شكل كذلك صوراً لكورنوس Cornus وداجون Dagon ، والآلهة الأخرى ، ثم صنع السمات المقدسة للعناصر ، أى الهيروغليفية » .

(٢) « قفط » ؛ يضم أوله وبالكسر ، اسم مدينة قديمة فى صعيد مصر بين قنا والأقصر ، على الطريق البرى الموصل إلى ميناء القصير على البحر الأحمر ، كان حكامها قديما ، يعرفون باسم : القفطيين حكام مصر العليا .

والقفطيون هم « الكفتوريون » من نسل مصر ايم الذين نزحوا الى مصر فى أواخر الأسرة السادسة ، وهم أول من اعتنق المسيحية منذ ظهورها من القدماء المصريين وعرفوا باسم « القبط - Koptos » وأما القول بأن « كفتور » يعنى جزيرة كريت ، فى البحر المتوسط وأن أهلها يسمون بهذه التسمية ، فلسنا منه على ثقة ، حيث قد تبين من دراسة الشواهد التى اعتمدوا عليها من التوراة ، أن الأمر اما ان خلط فى الأسماء المتشابهة ، أو انه مقصود به أن يكون كذلك بالحاح ، لسبب ما ، فى القول عن الفلسطينيين والقفطيين خاصة ، ولذلك أقحم أيضا اللفظ المصرى القديم (كفتور) دالا على جزيرة كريت ، وجزر اليونان ، فى البحر المتوسط ، وليس كذلك ، وربما كان الأصح إنها على ساحل فلسطين والجزر القريبة منه انظر : (قاموس الكتاب المقدس) .

(٣) ومن أقرب الأسماء المصرية إلى لفظ « فوط » اسم رئيس شرطة فرعون مصر ، الذى اشترى يوسف عندما نزل الى مصر مع قافلة من الاسماعيليين ، فقد كان يدعى « فوطيفا » أى حامل القوس ، « يودتيفا » . وفى كتاب (العقد الثمين) لأحمد كمال ، (ص ٧٧) فى الكلام عن يوسف فى الأسرة السادسة عشرة قوله :
« . . وزير مصر (فطفير) ويسمى بالقلم القديم . (بدوفو) أى .

« هدية الشمس ... » أى عطية الإله .
والأشبه أن يقال : إن التسمية (يودتى فا) ، أى حامل القوس لأنه رئيس الشرطة ، فإذا
أضيف لفظ (رع) كان المعنى دالا على حامل قوس الإله فينطق « فودتى فا رع » .
(٤) انظر التوراة - سفر التكوين أصحاح ٩/ .

(٥) كتاب . (الآثار الباقية عن القرون الخالية) - طبع ليبسك بألمانيا ، ص ٨٥/ ، ٨٧ .

(٦) وفى (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري
« .. وساميروس ، ملك الكلدانيين أبدع المكايل والموازين ، ونسج الابريسم واخترع
الأصباغ ، وجاء فى الخرافات أنه كان له ثلاث عيون وقرنان » .

(٧) « سرجون الكبير » : يبدو أنه المسمى (شاروكين) - الذى بنى دور شاروكين ، المسماة
الآن ، تل خرصباه ، فى شمال الموصل - (انظر دليل الآثار فى العراق)

(٨) أول من بنى نينوى هو الملك « نيتوس بن بالوس » بعد أبيه ، فى أوائل القرن الحادى
والعشرين ، ق . م . كما فى جدول ملوك آشور - (انظر « الآثار الباقية ، للبيرونى ») .

(٩) « كالح » : هى مدينة نمرود اطلال تقع جنوبى الموصل ، كما فى دليل الآثار فى العراق
قأما « دحوبوث » فهى فى اطراف نينوى

(١٠) مصرام بن حام بن نوح ، وهو أقرب الأسماء التى يمكن أن يشتق منها اسم مصر
والمصريين .

هذا على الرغم من أنه كانت لمصر قديما عدة تسميات منها ماهو اشارة الى سواد تربتها
وخصوبتها فيقال (كمت Kmt ومنها ماهو بالنسبة لظاهرة فيضان النيل ، فيقال : (تاميرى
Tamery فيما يسمى « الدميرة » بمعنى فصل الفيضان .

(١١) « فتروسيم » : وينسب إليه سكان مصر العليا ، فيما يسمى : صعيد مصر .

(١٢) والمشاهد فى المراجع التى اختصت بالنظر فى تفسير دينك الاسمين ، وهما :
« فلشتيم وكتفوريم » ، أن هنالك تبدو محاولة متعمدة للخلط بينهما ، بحيث يرجعا جميعا الى
قبيلة واحدة لشعب غريب أو دخیل خرج من « كفتور » الذى معناها فى نظرهم جزيرة « كريت » ،
فصار غير حامى العنصر .

ونحن لم نأخذ بمثل هذا الرأى لأن الشواهد التى قيل عنها كذلك عن التوراة ، انما هى
صريحة واضحة والتأويل فيها مستحدث مكشوف فالتوراة التى ذكرت الفلسطينيين قبل دخول
بنى اسرائيل الى كنعان بما يقرب من خمسمائة سنة ، وذلك فى زمن ابراهيم الخليل ، نصت
على ان « فلشتيم » هو الاسم العبرى الذى اشتق منه لفظ فلسطين بالعربية ، فقد جاء فى سفر
التكوين - اصحاح ٣٢/٢١ - قوله :

* ... فقطعا ميثاقا فى بئر سبع ، ثم قام اييمالك ونيكول رئيس جيشه ورجعا الى ارض
فلسطين ... وتغرب إبراهيم فى ارض الفلسطينيين اياما كثيرة * *

وفى الهامش بإزاء فلسطين ؛ أنها فى التوراة العبرية . (فلشتيم) .

فأما « كفتوريم » فالواضح فيه أنه اسم علم ، وليس هو اسم مكان يدعى (كفتور) ويقترب اسمه مع فلشتيم على قياس أنهما قبيلتان خرجتا من بين أولاد مصرائيم الستة ، ولهما وضع محدود فالخروج هنا لايعنى أن « كفتوريم » اسم مكان بل إنما يعنى شعبا بعينه اشتهر بهذه التسمية ، التى كانت تطلق على الموضع ، أو الأرض عن طريق الملكية ، ورغم ما فى المراجع ، من كلام كثير ، فإنه غير مترابط يبين الشك فيه ، ولذلك لم نأخذ به ، واعتمدنا على ما فى التوراة ، باعتبارها الأصل فى التسميات .

(١٣) وفى كتاب « العقد الثمين » لأحمد كمال : أن أصل التسمية « بدوفر » يعنى . هدية إله الشمس .

غير أن الملاحظ أن التسمية تختص برئيس الشرطة ، ويشبه أنها تنطق (بودتى فا) أى ، قواس ، أو حامل القوس ، وهذه غير اسم (قوطيفارح) رئيس كهنة مدينة أون ، التى ذكرها قاموس الكتاب المقدس ، وهذه ربما كانت تعنى عطية الإله ، وليست تلك .

(١٤) قوله « تخوم الكنعانى . » يعنى الأماكن التى سكنها أولاد كنعان الكبير ، ابتداء من بكره صيدور ، وهى من شمال فلسطين إلى غزة
و« حرار » بلدة قديمة كانت إلى الشرق فى طريق وادى غزة - اطر خريطة فلسطين

(١٥) وفى كتاب (تاريخ فلسطين) - طبع القدس سنة ١٩٢٢ م
« الحثيون قبيلة انفصلت عن تركستان نحو ١٧٠٠ سنة ق م وأبهاالت على فلسطين ، وهم فرع شجرة من مملكتهم المؤسسة فى شمال سوريا وآسيا الصغرى ، حيث كانت عاصمتهم « حثى » التى تسمى اليوم بوغازكوى » .

وهذا القول واضح فيه أنه يعنى الحاثيين الأتراك ، وهو يخالف ما فى التوراة عن أصل الحثيين ، وفيما أن حثا من أولاد كنعان ، ولسنا مما قيل فى الخلط بينهما على ثقة ، من قبل أنه لا توجد علاقة واضحة بين الحاثيين الأناضول وبين أولاد (حثا) الكنعانى ، منذ أول الأمر

ويبدو فى ذلك اختلاف فى التسمية ، عن طريق التشابه اللفظى ، بينما هنالك فرق بين لفظ « حاثى » بمعنى تركى أناضولى وبين « الحثى » الكنعانى الأصل .

(١٦) انظر . « قاموس الكتاب المقدس » - مادة أمورى

والذى يراه أن الأموريين والحموريين جميعا لفظ واحد الأصل فيه « حمورى » بمعنى شديد ، وكانوا فى بادىء الأمر يمتلكون شرقى وجنوبى فلسطين ، ثم تملكوا فى سوريا والعراق ، ثم اندثروا عند ظهور الآشوريين واجتياح الحاثيين الأناضول سوريا فى القرن السابع عشر قبل الميلاد

(١٧) لم نجد فيما ذكره « قاموس الكتاب المقدس » عن مادة (عرقى) مانقنح به فى نسبة هذا اللفظ إلى مدينة « عرقة » ، حيث قال

« عرقى ، اسرة كنعانية - تك ١٧/٨٠ وأخبار أول ١٥/٨ - وربما هم سكان عرقة ، البلدة الكنعانية التى تعد اتى عشر ميلا شمالى طرابلس ، وقد كان لها أهميتها فى التاريخ العيبقى ، وتنازع عليها المصريون والآشوريون ، وكانت احدى المدن التى ورد ذكرها فى لوحات تل العمارنة ، بين سوريا ومصر ، فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وفى آثار فرعون تحتمس الثالث فى القرن ١٥ ق م ، وتغلت فلاسر الثالث ملك آشور فى القرن ٨ ق م »
ونحن ، لم نجد فى تاريخ تحتمس الثالث وفى حروبه فى فلسطين والشم ، اسم هذه المدينة ، رغم انه ذكر جزيرة الأرواد قرب طرابلس ، وفى الحرائط الطبوغرافية نجد فى الموضع الذى أسار اليه ، اسم مدينة (عريصة ، وليست . عرقة شمالى طرابلس بقريب من اتى عشر ميلا)

(١٨) « شومر » وقد تنطق (سومر) أو « صومر » ويبدو أنه نسبة الى « السومريون » ، وهم « الصماريون » ، نسبة الى بلدة صميرة ، أو شميرة .

الفصل السابع :

القبائل الآرية

الآرية ، صفة للتأصيل والتفوق ، واللفظ هندوسى أو إيرانى ، يراد به تلك القبائل من البشر الذين كانوا يتعارفون بتلك اللغة ، أو ماهو مشتق منها .

والأصل فيهم ، كما فى التوراة ، أنهم من نسل يافث بن نوح ، فهو أبو الصقالبة والترك والروم واليونان ، وما والاها إلى الشرق والغرب ، ثم إلى الشمال والشرق من بحر قزوين ، فيما كان يعرف باسم (ماجوج) ، وهى بلاد المغول القريبة من الروس .

وعلى الزعم الذى يقول : إن الشعوب السامية سكنت فى آسيا منذ أول الأمر ، وإن الشعوب الحامية استقرت فى إفريقيا ، فأما الشعوب الآرية فهم بنو يافث بن نوح ، الذين سكنوا ابتداء فى آسيا الصغرى ، ثم انتشروا فى أوروبا نزوحا إليها من حوض البحر الأبيض المتوسط ، فإن أولاد يافث ، كما ذكرتهم التوراة^(١) ، سبعة وهم :

* جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس ، ومن هؤلاء تفرقت جزائر الأمم^(٢) ، بأراضيهـم ، كل إنسان بلسانه ، حسب قبائلهم بأممهم ..*

١ - (جومر بن يافث) .

وهو أبو الأرمن والفرس ، وأهل شمال تركيا ، جنوبى جبال القوقاز ، والفرس ، فى تاريخهم القديم ، كانوا يسمونه « كيومرث كلشاه » يعنى ملك

الأرض والجبال ، ويعدونه بمثابة الإنسان (الأول) على الأرض ، ولهم فى ذلك قصة « ميشا وميشانة »^(٢) ، على أنها تحكى خلق آدم وحواء .

ولد جومر بن يافث ثلاثة بنين ، وهم :

(أشكناز) :

وهذا اللفظ كان يطلق على اليهود الذين كانوا يقطنون آسيا الصغرى ، على سبيل الصفة ، فيقال « أشكانيزم » ، ويبدو أنه فى لهجة أقرب إلى التركية والفارسية ، بمعنى « الجميل الباكي » أو الحزين .

فأما الموضع الذى أقام فيه ، فالأشبه أنه منطقة شمال جبال القوقاز عند الطرف الشرقى للبحر الأسود ، كان يضم شعبا من الفرسان البدو الرحالة ، ويبدو أن هؤلاء كانوا ضمن الغزاة الذين اقتحموا أراضى بين النهرين وسوريا فى أوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد .

ثم (ريفاث) .

فى « قاموس الكتاب المقدس »^(٤) ، نقلا عن المؤرخ (يوسيفوس اليهودى ، أن الريفاثيين سكنوا ابتداء فى شمال تركيا على الساحل جنوبى البحر الأسود ، فى الأرض التى كانت تضم شعب (بفلاجونيا) ، وهم سلالة من الروم القصار الغلاظ الرعوس ، وكانت لهم هناك سلسلة من المستوطنات أهمها « سينوب » .

ثم (توجرمة) .

ويبدو أنه رأس إجرمانيين القوط الشرقيين فى منطقة بين أبيه وأخيه تقع شرقى البحر الأسود ، ومساكنهم ابتداء كانت الى الشرق من الريفاثيين .

٢ - (ماجوج بن يافث بن نوح) :

أرض ماجوج هي التي تمتد من شمال بحر قزوين إلى ناحية الشرق ، وهي مقاطعة تركستان ، وهم أهل خوارزم وبلاد المغول الروس ، وقد نرح إليها الناس من شمال وشرق بلاد ميديا وأشور وأرمينيا .

وقد جاء ذكر « ياجوج وماجوج » في القرآن الكريم ، وهناك اعتقاد اسطوري قديم ، على أنه من علامات الساعة اذا اكتسح هؤلاء العالم أجمع .

٣ - (ماداي بن يافث بن نوح) :

وهو أبو الماديين الفرس الذين سكنوا ابتداء الأرض الجبلية جنوبى بحر قزوين وهم أهل خراسان وماجاورها إلى الغرب ، وقد كانت لهم مملكة قديمة تمتد من بحر قزوين الى جبال الاناضول ، وقد ضمها « قورش » الكبير الى الامبراطورية الفارسية .

٤ - (ياولان بن يافث بن نوح) :

ياوان ، أبو اليونان الإغريق القدماء ، وعنه اشتق اسم (ايونيا) وأطلق على جزر اليونان التي سكنوا فيها منذ أول الأمر ، فى بحر ايجيه والبحر الأدرياتي ، وبحر الروم .

وولد ياولان أربعة بنين ، وهم :

(أليشه) :

أكبر أولاد ياولان بن يافث ، ويبدو أنه سكن بجوار أبيه ، فاختص بجزيرة كريت ، ثم الجزر الصغار القريبة إلى الساحل الغربى من بحر إيجيه .

ثم (ترشيش) .

هو أبو الترك ، والأشبه أن التسمية هي الأصل الذي انحدر عنه إلى الآن ، صفة التركي Turkish ، ولم يبق منها غير اسم « طرسوس » إشارة إلى عاصمة بلاد الأناضول .

وتركيا أصلا هي شبه الجزيرة بين البحرين الأسود والأبيض ، شمالا وجنوبا ، ثم إلى بحر إيجه ، وهو بحر اليونان ، غربا ، وعاصمتها : أنقرة ، فإذا اختص الأناضول منها بالجزء الجنوبي على البحر الأبيض ، والريفاثيون الروم بساحل البحر الأسود شمالا ، بقيت تركيا الوسطى ، هي التي أصلا باسم « ترشيس »

ثم (كتيمة) :

في أكثر المراجع المتاحة ، أن « كتيمة » هي جزيرة قبرص ، وهي منذ أول الأمر يقطنها اليونانيون .

ثم (رودانيمة)^(٥) :

وقد تنسب إليه جزيرة رودس ، ومايليا من الجزر الصغار في الجهة الشرقية من بحر إيجه .

٥ - (توبال بن يافت بن نوح) :

ويبدو أنه كان يقطن إلى الغرب من البحر الأسود ، في أرض البلقان ، فيما بين ياون وبين ماشك ، وقد ذكر مع « ياون » في أكثر من موضع^(٦) .

٦ - (ماشك بن يافت بن نوح) :

وإليه ينسب المسكوفيين الروس ، شمالي البحر الأسود ، غربي بحر قزوين في سهل أوروبا الشرقية .

٧ - (تيراس بن يافت بن نوح) :

تيراس ، فيما نرى ، أنها طوروس ، فى أرض الأناضول على ساحل البحر الأبيض ، ثم بحر إيجه غربا ، وهى الجزء الجنوبي المكمل لتركيا الان^(٧) .

وقد ذكر المؤرخ « يوسيفوس Yosephus اليهودى^(٨) ، قبائل يافت بن نوح ، والمواضع التى سكنوا فيها فقال .
« بنو يافت :

(ماداي) ومحلّه الشمال من بلاد العجم .

(ياوان) ، ومحلّه اليونانيون الذين يسكنون بأرض مكدونيا .

(توبال) ومحلّه بجوار (ماجوج) ، بين البحر الأسود وبحر الخزر^(٩) ،

وقد سكن بعض نسله على شط بحر البلطيق ، ومنه تسلسل بعض المسكوبيين^(١٠) .

(ماشك)^(١١) ، ومحلّه بجوار « ماجوج »^(١٢)

ثم ذكر قصة غريبة ركيكة ، ملخصها :

« أن الله لما فرق أهل الأرض بعد الطوفان وخالف ألسنتهم فانتشروا فى الأرض ، مضى بنو « كتيتم » ، من أولاد ياوان بن يافت إلى أسبانيا ، وبنوا لهم مدينة سموها كذلك ، على اسم البناء الذى بناها ، ومضى بنو « توبال » إلى أرض (يوسيبيا)^(١٣) ، وأقاموا بها ، وكانوا يرغبون فى مصاهرة أولاد أعمامهم ، ولكن هؤلاء كانوا يكبرون عليهم ولا يريدون أن يزوجهم .

وفى بعض السنين احتال بنو « توبال » ودخلوا إلى أسبانيا وسبوا من وجدوا فيها من الفتيات ، ومضوا بهن الى حصون لهم فى الجبل ، ولم يقدر بنو « كتيتم » على محاربتهم لأنهم وضعوا لهم الأطفال الذين رزقوا بهم من الفتيات على أسوار الحصون ، فكفوا حينئذ عن محاربتهم .. » .

ثم أكمل المؤرخ ، « يوسيفوس » اليهودى ، ذلك بقصة أخرى أغرب من تلك ، أراد أن يقول فيها أن صفو بن أليفاز بن عيسو صار فيما بعد ملكا على بلاد الكتيتم .

[illegible]

- (١) انظر « التوراة » - سفر التكوين ، أصحاح ١٠/
- (٢) جزائر الأمم فصائلهم ، تبعاً لمواقعهم من الأرض
- (٣) (انظر - تاريخ ملوك الفرس القديم ، فى كتاب (الآثار الباقية من القرون الخالية) - للبيرونى ، طبع أوروبا .
- (٤) انظر (قاموس الكتاب المقدس) - مادة « ريفاث »
- (٥) كذا فى هامش الأصحاح الأول من سفر (أخبار الأيام الأول) - أصحاح ٧/٨ فى التوراة - ويبدو أنها أصبح لفظاً من « دودانيم » .
- (٦) انظر « قاموس الكتاب المقدس » - مادة توبال
- (٧) فى « قاموس الكتاب المقدس » - مادة « تيراس » ، عن هيرودوت المؤرخ الاغريقى « أن التيراسيون ، ربما كانوا قراصنة « تروشا » ، الذين عزوا مصر وسوريا فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد - ولسنا من هذا على ثقة تماماً
- (٨) انظر. (تاريخ اليهود القديم) ليوسيفوس ، الجزء الأول
- (٩) بحر الخزر هو بحر قزوين الآن
- (١٠) المسكوب ، أو المسكوف يراد بهم الروس الذين عاصمة بلادهم « موسكو » فى سهل أوروبا الشرقى .
- (١١) « ماشك » : هو أيضاً . ماسك أو « موسك » ، ويراد به أبو المسكوبيين .
- (١٢) « ماجوج » أخو « ماشك » ، ويبدو أن نسله كان يقطن مع المسكوبيين ، وإنما الى الشرق من بحر الخزر فى آسيا .
- (١٣) كذا فى الأصل المطبوع . (يوسيبيا) ، ونحن لم نعتز على هذا الاسم ، غير أن التشبه انه يعنى بلاد البلقان ، وعاصمتها صوفيا ، وهى المنطقة التى نزل فيه بنو توبال .
- وأما القصة فإن فيها اختلافاً ، إلا إذا فرضنا أن أسبانيا هى بلاد الكتيم ، بدلاً من قبرص .

الباب الثالث

فى المدخل إلى تاريخ مصر القديم والوسيط الأول

- العصر المتيق فى مصر .
- الأسرات الملكية فى الدولة
القديمة والعهد الوسيط الأول .
- نسل إبراهيم الخليل (إبرام)

العصر العتيق فى مصر

اختلفت آراء المؤرخين فى أصل المصريين فى العصر العتيق ، قبل عهد الأسرات الملكية ، فبعض يرى أن المصريين الأوائل قدموا من الجنوب عند منابع النيل ، على الزعم الذى يحكيه الأحباش بأن المصريين . بطن منهم .

وبعض يرى أن السلالات البشرية انحدرت جميعا عن القوقازيين ، بين بحر قزوين والبحر الأسود ، وهذا قول صحيح ، غير أنه ناقص التعريف ، فهو بعينه ماجاء فى التوراة ، ولكن بوجه آخر ، فالساميون هم العرب واليهود وسكان آسيا الصغرى ، والحاميون هم المصريون والكوشيون فى افريقيا ، وأما الآريون فهم القوقازيون والأرمن والصقالبة .

ومع ذلك فالأقرب إلى العقل ، أن يقال : إن المصريين نسل من العرب الأدوميين أولاد قايين بن آدم ، قبل الطوفان ، ثم إنهم من نسل حام بن نوح بعد ذلك ، وإنهم نزلوا إلى مصر من جهة الشرق عن طريق فلسطين وشمال سيناء ، ثم إلى وادى النيل ، ومن هؤلاء المصريون القفطيون ، أولاد « كفتوريم » من ولد مصرايم ، أصحاب مدينة (قفت) المسماة فى المصرية القديمة (جبتيو Gebtyw) ، وهم أحدثهم عهدا ، وقد لايتجاوز تاريخ العصر العتيق فى مصر أول التقويم العبرى سنة ٣٧٦٠ ق . م .

فلما هبط الأوائل إلى مصر واستوطنوا الأرض ، وأقاموا المدن طردوا أمامهم نحو الشرق والغرب والجنوب من كان فيها من قبائل الرعاة والقناصين الذين وفدوا إليها من قبل عن ذلك الطريق ، ثم صارت لهم عقائدهم وحضارتهم ، فكان أكابرهم يلقبون إذ ذاك باسم الميجلين ، أتباع الآلهة ، ثم لما استكملوا وجودهم اتبعوا بعد ذلك نظام الأسرات الملكية بالتوارث .

فأما الفترة التي سبقت حكم الأسرات ، فالقول فيها ، من جهة التاريخ ، لا يزال في أوله ، ويكاد يكون مغلقا تماما ، مما فتح أمام الذين نظروا فيه باب اجتهاد عن طريق التصور والتقدير ، فكان في بعض ذلك خروج عن المقبول .

وقد ذكر عالم المصريات (جيمس بيكي) في كتابه^(١) ، بعض أسماء ممن يظن أنهم من أعلام ما قبل الأسرات ، قال إنهم من ملوك الوجه البحرى ، وهم :

١ - (سكا) وهذه التسمية قد تعنى في العربية ما يقابل لفظ : الحارث .

٢ - (خاو) ، أو (خايو) ، وكلاهما بمعنى : الصابر .

٣ - (تيو) : وهى في العبرية بمعنى : المرثل أو المنشد ، وربما كان هذا اللفظ (ثيو) ، وهذا يعنى على الأرجح : الحاكم .

٤ - (أونسكا) ، ومعناها : أبوالحارث .

٥ - (تش) ، أى الكاتب .

٦ - (وازن) بمعنى : الغض أو النضر .

ثم ذكر اسم : (الملك العقرب) ، من ملوك الوجه القبلى . وقد تكون تلك التسميات بمعان أخر غير ما أشرنا إليه ، غير أن الواضح فيها أنها أسماء قريبة في معانيها من أسماء العرب والآسيويين ، مما يدعو إلى الشك بأنها محدثة وليست من مسميات العصر العتيق .

فأما من تقدم عن زمان هؤلاء ، فيما كان يطلق عليهم صفة أنصاف الآلهة ، من أتباع حور ، فالتاريخ يجهلهم تماما وليس في القول عنهم مذهب صدق .

وأما الذين وجدت أسماؤهم على نقوش في الآثار تدل على معان لهم ، دون أن تذكر صراحة وبالتفصيل ، ممن قيل إنهم من ملوك العصر العتيق ، أو خلال الفترة التي تسبق عهد الأسرات مباشرة ، فالمعروف منهم حتى الآن اثنان .

أحدهما : سماء علماء الآثار : « الملك العقرب - King Lcorpion » .

وذلك أنه وجد له أثر في مقبرة الكوم الأحمر^(٢) ، وهو يلبس تاج الوجه القبلي ، وأمامه صورة « عقرب »^(٣) ، في أعلاها علامة رمزية كالزهرة^(٤) ، بينما هو يمسك بكلتا يديه علامة أخرى على هيئة العزاقة ، أو سلاح المحراث ، يمتد أحد ضلعَيْها بذراع طويل يقف عليه شخصان كأنهما يحملان شعارا ، وأسفل الملك الواقف ، يجثو شخص عند قدميه يبدو كأنه يلتقط ما يتساقط منه في سلة :



FIGURE 50 Relief on the Macehead of King-Scorpion. (Ashmolean Museum, Oxford)

وهذا الأثر محفوظ فى متحف (أشموليان) - بأكسفورد ، وتوجد صورته فى كتاب (تاريخ العاديات فى الشرق الأوسط القديم) - تأليف « جاك فينجان » :

Archaeological History of the Ancient Middle East - by Jack Finesan.
168 - 172.

وقد ذكر المؤلف بإزائه معلوماته من المنخيلة ، فقال ، ما ترجمته باختصار : (الملك عقرب King Scorpion) :

« إتقان الزخرفة فى مقبرة الكوم الأحمر » هيراكنبوليس ، يشير إلى أن بها رفاة شخصية بارزة ، ربما كانت لأحد الملوك الأوائل فى الوجه القبلى ، والاسم الحقيقى لهذا الملك وجد منقوشا على حجر جبرى ، على هيئة كمثرأة فى رأس عصا صولجان ، وجد فى حالة مهشمة فى المقبرة التى فى تخوم الكوم الأحمر ، وعند إعادة الأثر إلى حالته الأصلية وجد أن ارتفاعه ٢٣,٠٠ سم ، وبه رسم بارز فى ثلاثة مواضع أفقية ، يظهر الملك بأكمله فى الوسط منها ، وهو يرتدى قميصا طويلا مثبتا بحزام فوق كتفه الأيسر ، وذيل ثور مثبتا فى خصره كأنه الشعار للأسرة المالكة ، وعلى رأسه خوذة طويلة ، تشبه التاج الأبيض لملوك الوجه القبلى .

وهو يقف على حافة جسر للماء ، يبدو كأنه شاطيء النيل فى وقت انخفاض المياه ، وهذا النهر ينحنى على استدارة حول جزيرة وقف عليها رجلان منهمكان فى أعمال الزراعة ، مع اثنين من حاملى المراوح إلى الخلف من الملك وهو يقبض على عزاقة أو ما يماثلها ، وأمامه شخص آخر يمد إليه بسلة كأنه يستقبل الرذاذ المتساقط عنه ، وهذا ربما يصور الطقوس الزراعية فى فصل الزرع الجديد بعد الفيضان ، بينما أحد العمال المختصين يعود بالسلة وهى مملوءة بالطمى .

وفى الأعلى ، فوق صورة الملك ، نجمة سباعية الأطراف ، وأمامه صورة عقرب ، والعقرب هنا ، على الأرجح تشير إلى الاسم الهيروغلىفى للملك ، فأما النجمة فيمكن أن تشير إلى إله السماء ، وغالبا أنها تخص الإله « حورس » ، وذلك يؤكد أن الملك كان فى أواخر عهد ما قبل الأسرات الملكية » .

وفى الجهة العليا من الرسم يوجد شخصان منتصبان يحملان الأعلام ، ويشبه أن يكونا وقوفا على قوارب من الخزف ، ويظهران فى الرسم كأنهما يرفعان شعارا ، وبينما هذه الأفكار لا تكاد تبين فى الرسم ، فيمكن أن يكون للملك (منا) ، أو للإله (مين)^(٥) »

فأما علماء الآثار ، لما وجدوا أن هذا الملك يلبس تاج الوجه القبلى وأن بإزائه صورة العقرب ، قالوا فيه :

إن اسمه : « عقرب Scorpion » ، وإن انتصاراته على أهل الشمال وسكان الصحراء لم تكل بالنجاح ، وذلك أنه يلبس التاج الأبيض فقط ، فجاء من بعده الملك ، المسمى فى أثر آخر : « نعرمر - Ner Mar » ، وحارب أهل الدلتا وقام بتوحيد البلاد .

وفى الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديم^(٦) :

« فقد عثر المنقبون على آثار لملكين ، يغلب الظن أنهما سبقا مباشرة الملك (منا) :

أولهما : وقد ظهر اسمه : « العقرب » على دبوس للقتال يحوى مناظر تسجل انتصاراته فى حرب ضد أهل الدلتا وسكان الصحراء ، إلا أنه قد زين رأسه بالتاج الأبيض فقط ، ومعنى هذا أن انتصاراته كانت جزئية ولم يستطع إخضاع أهل الشمال وضم الدلتا إليه .

أما الثانى : واسمه « نعرمر » ، فقد وصلت إلينا لوحته الكبيرة التى حوت مناظر كثيرة على وجهيها تثبت أنه أتم ما بدأ به أسلافه ، وأنه أخضع الدلتا إخضاعا تاما ، فكان بذلك أول من استحق تلقب نفسه : ملك الجنوب والشمال » .

ثم انتهى إلى قوله :

« ويحار المؤرخون بين حقيقتين ، أولاهما : أن المصريين ، منذ عصر الدولة الحديثة ، يذكرون فى قوائم ملوكهم ملكا اسمه : « منا » كأول من استحق لقب : موحد القطرين ، كما ذكره (هيرودوت) ، ونص عليه (مانتون) أيضا ، ولكن هذا الاسم لم يرد مرة واحدة على آثار ملوك

الأسرة الأولى ، أما الحقيقة الثانية فهي أن « نعرمر » قد سجل لنفسه على آثاره ما يدل على أنه وحد القطرين ، ومن أجل ذلك يقرن بعض المؤرخين الأسمين ويطلقونهما على شخصية واحدة ، وهي أن (نعرمر) هو الملك « منا » ..

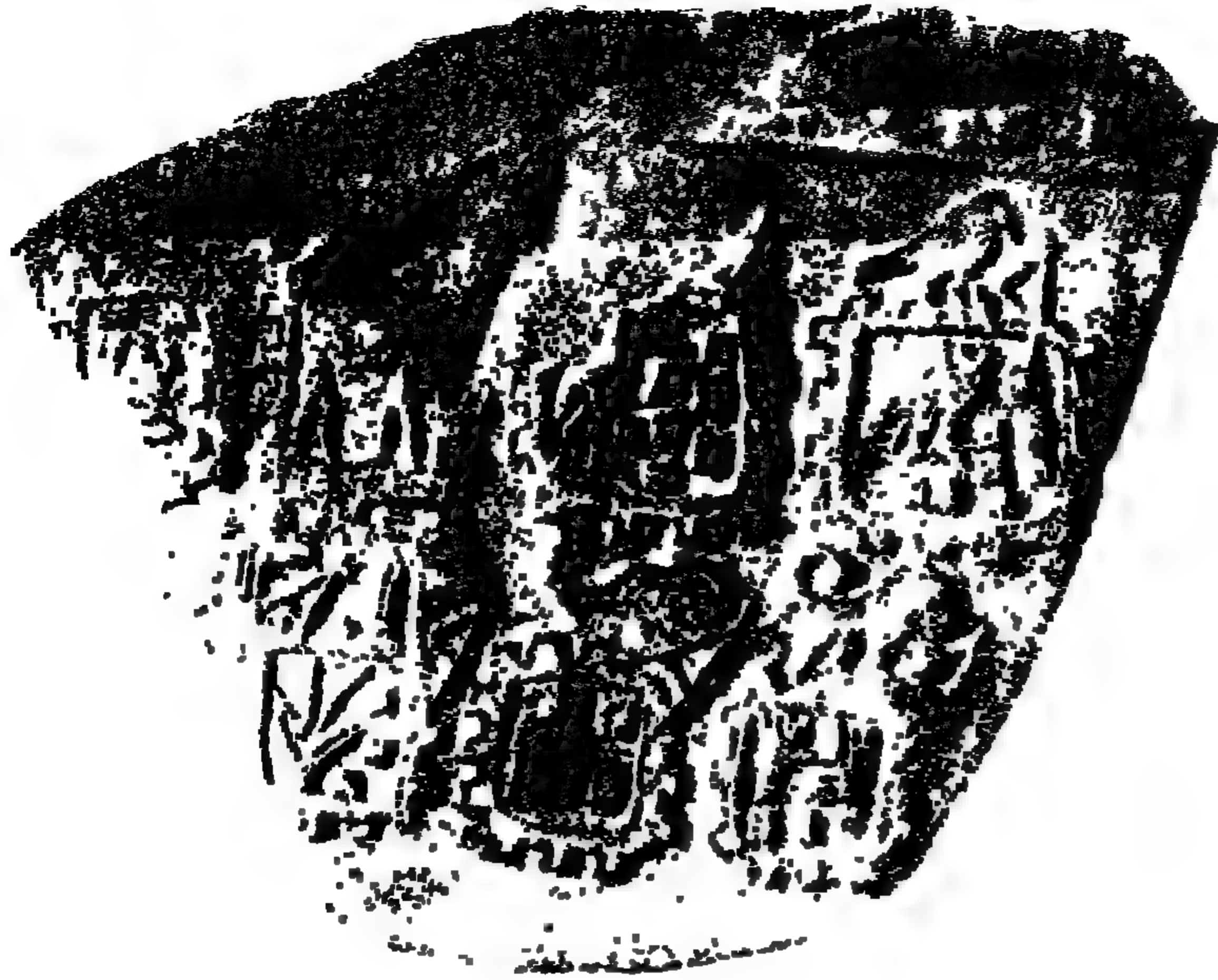
ونحن نشك في مثل هذا التفسير ، ولسنا منه على يقين تماما ، فالقول بأن صاحب الأثر الأول اسمه (عقرب Scorpion) ، وأنه كان يحارب أهل الدلتا غير صحيح ، فليس في الرسم ما يدل على الحرب أصلا ، بل إنما هو بالزراعة أخص وأشمل ، كما أن صورة العقرب في ذاتها ومعناها ليست من أسماء الملوك والأمراء ، بل هي في الأصل إما أنها اسم للعقرب في ذاتها ، وإما أنها اسم إلهة لحراسة الجسد المتوفى حتى يعود الهواء إلى رئتيه ثانية فترجع إليه الحياة ، كما في عقائد المصريين ، واسمها : « سركت » .

الاله (سركت)


(the scorpion-goddess) SrKt 



وأسماء الآلهة وصورها يجوز إطلاقها على الأقاليم والاقطاعات والامارات ، كما لو جعل الإله « حور » مصورا في هيئة الصقر شعارا لاقطاعه تحمل هذا الاسم .

وفي المتحف المصري بالقاهرة لوحة أردوازية مرممة^(٧) ، أشار إليها العالم الآثارى : (جاردنر A . H . Gardiner) ، باسم لوحة (تحنو) ، تحمل شعارات جميع الاقطاعات السبع في صعيد مصر ، ومن بينها : شعار إقطاعة الإله « حور » ، في صورة الصقر الملكى ، ثم شعار إقطاعة الإله (سركت) في صورة العقرب ، وهذا بعينه يحمل الأثر الذى قيل عنه : إنه الملك « عقرب » يحارب أهل الشمال^(٨) :



وعلى هذا الوجه البسيط من النظر ، نرى أن الأثر ليس فيه أكثر مما يدل على أن الملك ، أو الأمير ، إنما يتفقد الزراعة في الإقطاع التي يشرف عليها أو يملكها ، وليست هنالك إشارات دالة على الحرب .

فأما العلامة  على شكل الزهرة ، فهي بعينها الرمز الهيروغليفي للزهرة الرباعية الأطراف ، وكلاهما مقطع بصوت ينطق عادة (ون) ، بما يفيد الصحة وصفة الشباب .

وأما العلامة  فهي الرمز الهيروغليفي : «  » مكتوبا من اليمين إلى اليسار ، وكلاهما ينطق : (مري) ، أو (مر Mer) ، وأكثر استعمالاته في غير الزراعة ، بمعنى : المحبوب ، وإنما زاد طول الذراع الأعلى لكي يقف عليه شخصان يرفعان الأعلام أو الشعار ، فيبدو على هيئة المعزقة أو المحراث ، في الآلات الزراعية ، ويفرض أن هاتين العلامتين تمثلان اسم الملك أو الأمير ، فإنه يمكن أن ينطق : (ون مري) ، بمعنى : الشاب المحبوب .

كما أن ظهور علامة في الرسم على شكل العزاقة ، ثم وجود شخص جاث أمام الملك كأنه يلتقط الحبوب ، ثم الوقوف بجوار مجرى ماء كأنه النهر ، كل ذلك يشير إلى الخير ، وسعة العيش ، في هذه الإقطاع من الأرض التي تروى بماء النيل ، وليست فيه إشارة للحرب ، كما ذكر بإزائه

فى الموسوعة المصرية .

فأما الأثر الثانى ، فقد أطلق عليه علماء الآثار اسم : الملك (نعرمر - NerMer) .

وذلك أنه وجد على لوحة قديمة فى مقبرة الكوم الأحمر أيضا ، يلبس التاج المزدوج فى أحد وجهيهما ، وفى الوجه الآخر يلبس تاج الوجه القبلى ، وفى كليهما يحمل اسمه فى أعلى الرسم هكذا^(٩) :

نعر Ner
مر Mer



صورة السمكة تقرأ فى اللغة المصرية بلفظ : (نعر - Ner) ، وهو الاسم العام فى الأسماك ، دون تخصيص فى النوع .

وأن العلامة الرمزية التى تشبه الوتد ، أسفل من تلك ، لفظ مصوت مختصر ينطق (مر Mer) ، ويعنى غالبا : المحبوب أو المقرب .

وباجتماعهما ، بإضافة الثانى إلى الأول ، يصير الاسم الكامل (نعرمر NerMer) ، وهو فى ذاته على هذا الوجه ترجمة حرفية غير صحيحة تماما ، لكونها لا تحمل المعنى الذى يتمثل عادة فى أسماء الملوك الفراعنة والأمراء ، فإن أسماءهم تبدو دائما ذات معان فخمة مقبولة .

فلما وجدوه فى الرسم يلبس التاج المزدوج فى جانب منه ويلبس تاج الصعيد فى الجانب الآخر ، قالوا : « إنه تمكن من توحيد شطرى البلاد بعد ثورة عارمة ، وأنه أول من قام بذلك » .

وسريعا ، دون مناقشة علمية أو موضوعية ، جعلوا اسم الملك (منا) ، الذى ذكرت المراجع القديمة أنه أول ملوك الأسرات ، محرفا عن ذاك ، حتى يبدو للناظر ، فى غاية البساطة من القول ، أن كليهما ملك واحد ، هو صاحب مدينة « منف » ومؤسس الأسرة الأولى^(١٠) .

وقد ذكر العلامة (جاردنر Gardiner) ، فى كتابه : « مصر الفراعنة »^(١١) : أن قراءة كلمة « نعرمر NerMer » ، ليست مؤكدة تماما .

والأشبه أن صورة السمكة ، لما كانت من النوع المسمى « بلطى

النيل » ، فهي تنطق (ون) ، فيبدو الاسم الصحيح : (أونمر-Wn Mer- وهذا هو بعينه اسم الملك في الأثر الأول المسمى « عقرب » ، مما يخيل أن الأثرين كليهما لملك واحد يدعى (أونمر - Wn Mer) ، والفرق بينهما اختلاف في دقة الرسم وموضوعه في كل منهما .

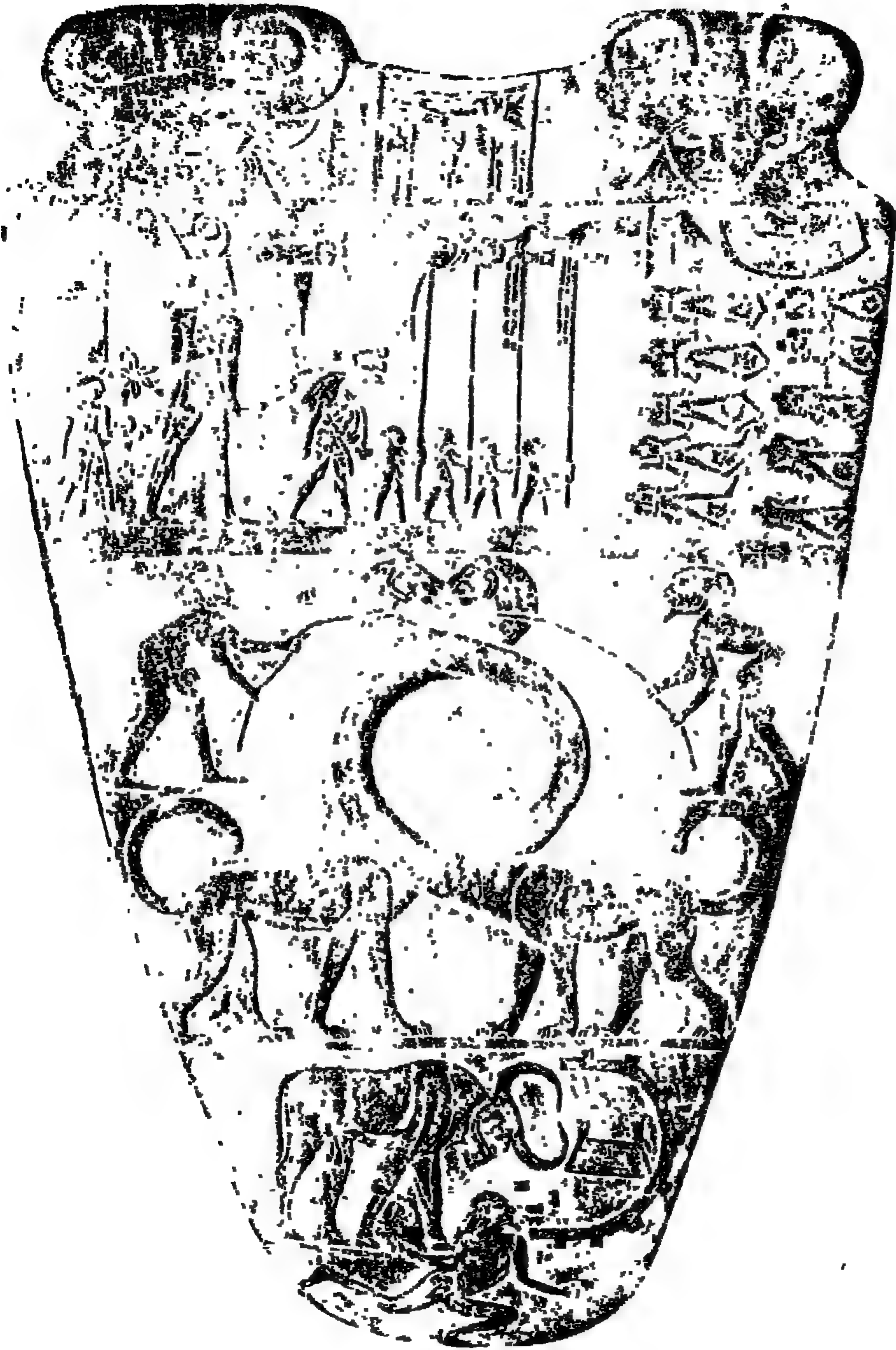
والرسم في ذاته ، في أحد وجهيه ، وهو الأمامي ، يمثل الملك يلبس تاج الوجه القبلي ، وهو يؤدب زعيم الغزاة ، الذي يبدو أنه أمير ليبي ، أشير إليه باسم^(١٢) « داسبت Daspit » ، أخذاً بناصيته ، وخلف الملك خادمة يحمل حذاءه ، وأمامه الإله « حورس » في هيئة الصقر الملكي مستقرا على ستة أعواد من نبات البردي مغروسة في ظهر العدو ، وقد سحبه من أنفه رغما ، مشيرا إلى أنه أعان الملك في الحرب فأسر من الأعداء ستة آلاف ، بفرض أن كل ساق من نبات البردي ، الذي يركز عليه الإله « حورس » يمثل في العدد ألفا من الأسرى الليبيين .

وفي أسفل الرسم من هذا الوجه ، يبدو اثنان آخران من الزعماء يحاولان الفرار ، أحدهما إلى اليسار يدعى . (ذا Za) ، والآخر إلى اليمين يدعى . (أومت Wmit) :



وفى الوجه الآخر ، الخلفى من الأثر ، يرى الملك يلبس التاج المزدوج ،
وخلفه خادمه بعينه يحمل الحذاء ، وأمام الملك قائد الحرب (ست) يتقدمه

حاملو الأعلام ، وأمامهم صفان من الأسرى ، وقد قطعت رءوسهم بين أرجلهم .



وتحت هذا المنظر صورة خيالية ، ذات مغزى ، كمن يقول : « نحن قوم نركب الأسد ونقودها من أعناقها » .

وفى الأسفل ، من هذا الوجه منظر يمثل بطش ثور قوى هائج بالعدو الليبي ، وقد حاصره فى إمارة (الأسد)^(١٢) عند منفذ ضيق ليقضى عليه .

وهذا الأثر بوجهيه ، كسابقه خال من أية إشارة إلى أن حربا كانت بين أهل الشمال والجنوب من مصر ، بقصد توحيد شطرى الوادى ، فالواضح أن هيئة الأسرى تدل على أنهم ليبيون ملتحمون وليسوا هم من المصريين ، كما أن فيه من دقة الصناعة وقوة التخيل ما يجعل الأمر غير قابل للتصديق أنه من آثار الفترة التى سبقت عهد الأسرات بزمان طويل ، وأيضا ليس بين الاسم الذى أدعوه وهو « نعرمر NerMer » ، وبين اسم الملك (منا) ما يجعل التحريف من أحدهما إلى الآخر ممكنا بسهولة .

وما أرتأيناه نحن فى هذا الأثر ، وفى ذاك ، فنحن لا نجزم أنه صحيح تماما ، ولكن الذى نقطع به عن يقين ، أن كل ما قيل فى كليهما من حيث الخلط فى الموضوع ومن جهة أن أحدهما ، أو غيرهما ، هو الملك (منا) مؤسس الأسرة الأولى ، فهو بعيد عن التصديق وليس بمقبول أصلا ، وإنما يلزم أن يعاد النظر فى ذلك على استقصاء .

والزمان الذى بين أول نظام الأسرات الملكية وبين ما تقدم نحو نسل آدم وهو ما يسمى بالعصر العتيق^(١٤) ، وينحصر فيما بين منتصف القرن الثالث والأربعين إلى أوائل القرن الثالث والثلاثين ، قبل الميلاد ، وأقرب هذا إلى التاريخ بداية التقويم العبرى سنة ٣٧٦٠ ق . م ، أو قبل ذلك بقليل ، وجميعه حقبة من الزمان موهلة فى القدم تحتاج إلى دراسات دقيقة يدخل فى تصحيحها شواهد من الآثار المصرية والتاريخ القديم .

فأما ابتداء تاريخ الأسرات الملكية فقد حاولنا قدر المستطاع أن نعيد النظر فيه مرارا عن طريق التحليل من الأواخر إلى البدايات ، ثم عن طريق ترتيب أزمنة الأسرات المتصلة فى الزمان والمتداخلة ، كل منها فرادى على حدة ، وذلك على ضوء أكثر المراجع التاريخية ، مع مراعاة اختلافاتها وما حاول بعض أن يقتضيه من المجموع ، فى بعض الأسرات المتقدمة ، من الأولى إلى السادسة ، ثم من الفترة التى غزا فيها العمالقة الهكسوس

مصر ، ثم فيما تداخل من الزمان بين بعض الأسرات ، عند انتقال الحكم فيما بينها ، على زعم أنه لا توجد لبعض الملوك آثار ظاهرة .

(١) انظر كتاب (الآثار المصرية فى وادى النيل) - ترجمة عربية ، طبع القاهرة سنة ١٩٦٣ م - جزء أول

(٢) الكوم الأحمر . قرية بصعيد مصر الأعلى ، شمالى مدينة إدفو ، تقع على الشاطئ الغربى للنيل ، تجاه قرية « الكاب » ، والمصريون قديما كانوا يسمونها : « نخن » ، وسمّاها اليونانيون « هيراكنبوليس » ، أى مدينة الصقر الذى يرمز إلى الإله (حور)

(٣) صورة « العقرب » فى اللغة المصرية ، لفظ تام ، قد يجعل اسما دالا على إحدى آلهات الوجه القبلى تدعى (سركت Sirt) ، تختص بالمحافظة على أعضاء التنفس فى الانسان ، وقد تطلق التسمية والصورة ، كلاهما معا ، كشعار ، أو اسم إقليم ، على سبيل الانتساب

(٤) صورة « الزهرة » ، وهى رباعية الأطراف أو سباعية ، تستعمل فى اللغة المصرية لفظا أو مقطعا فى كلمة ، ينطق (أون) ، وتارة « حون » ، ويعنى الشباب والفتوة ، فى أكثر استعمالاته

(٥) وهنا عرج المؤلف على كلام يتعلق بشعار الإله « ست » الذى يصورونه فى هيئة حيوان غريب يرتبط فى صفاته بهيئة الحمار أو الخنزير ، وغالبا ما يتسبه الكلب الصياد ... - وهو قول لا يدخل فى موضوع الأثر فأهملناه

(٦) انظر (الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديم) - مقال للدكتور عبد المنعم أبوبكر - ص ٢٦

(٧) انظر لوحة رقم (١٩) من كتاب (مصر الفراعنة) لجاردنر - الترجمة العربية ، قال فيها .

إنها لوحة (تحنو) ، بالمتحف المصرى بالقاهرة ، غير أن المعروف بهذه التسمية غالبا هم أهل الواحات ، وهؤلاء لا يخصهم مثل هذا الشعار ، لأنه وجد فى مقبرة الكوم الأحمر بصعيد مصر ، والمرجح أن اللوحة تعنى شعارات مقاطعات الوجه القبلى ، ومنها إقطاعة الإلهة « سركت » .

(٨) والشعار الذى يخص مقاطعة الإله « سركت » ، وعليه صورة العقرب والمعزقة ، يبدو واضحا فى أسفل اللوحة وسطا منه .

(٩) انظر الأثر رقم ٢٠٥٥ - بالمتحف المصرى بالقاهرة .

(١٠) وقد زاد الأمر تعقيدا ما ذكره - (والتر . ب . امرى) ، فى كتابه (مصر فى العهد العتيق) - ترجمة عربية ص / ١٢ - قال
« وقد وجد فى مقبرة « نبت حتب » والددة الملك « حورعنا » - وهو ثانى ملوك الأسرة الأولى فى قوائم الملوك ، عن « مانيتون » - لوحة صغيرة من العاج ، منقوش عليها اسم الملك « حورعنا » ، ومعه اسم الملك (منا) ، ومن تم يكون « حورعنا » هو اسم الملك (منا) »^{١١}
وليس لدينا تعليق على ذلك أكثر من أن « مانيتون » هو صاحب تاريخ ملوك الأسرات ، وقد ذكرهما تباعا ، أولهما (منا) والثانى (حورعنا) ، وأنه من الخطورة تغيير التاريخ بمثل هذه البساطة من النظر
والآن أصبح ، تبعا لذلك ، أول ملوك الأسرة الأولى أحد ثلاثة وهم (منا) - نعرمر - حورعنا ، ثم رابعهم « عقرب »

(١١) انظر كتاب (مصر الفراعنة) لجاردنر gardiner ، الترجمة العربية ، فى القول عن العصر العتيق وملوك الأسرة الأولى .

(١٢) ذكر د أحمد فخرى فى كتابه (مصر الفرعونية) ان اسمه (واع شى) ، غير ان هيئة الخط الهيروغليفى تمثل اسم أمير الإقليم (رات سبت) ، ولسنا من ذلك على ثقة تماما .

(١٣) إمارة « الأسد » ، هى إحدى الإقطاعات السبعة ، فى اللوحة التى أشرنا إليها قبلاً ذات الشعارات ، فيما يسميه (جاردنر) لوحة تحنو وموقع إقطاع هذه فى أسفل اللوحة إلى اليمين من إمارة « العقرب » التى سبق القول فيها .

(١٤) العصر العتيق يراد به منذ أول الأمر عصر ما قبل تاريخ الأسرات ، غير أن بعض المؤرخين يرى استقطاع فترة زمان الأسرتين الأولى والثانية ، من الدولة القديمة وإضافتها إلى ذاك ، أو اعتبار هاتين بأنهما العصر العتيق ، والواضح أن هذا الاجراء غير لائق فى التسلسل التاريخى لترتيب الأسرات ، فالأصل الذى وضعه « مانيتون » هو الأصح .

الأسرات الملكية فى الدولة القديمة والعهد الوسيط الأول

تبيين تواريخ الأسرات الفرعونية لم يكن منذ أول الأمر فى منهج كتابنا هذا ، ولكننا رأينا أن القول فى موضوع الكتاب إما أن يكون بعضه مبنيًا على تواريخ غير يقينية تتعارض مع مصادر أخرى ، وإما أن يكون ناقصا إذا نحن أغفلنا ذلك ، أو أخذنا به من غير تصحيح مقبول ، وذلك لضرورة فى سياق القول تختص بتنسيق التواريخ تباعا على أطراف الأسرات الفرعونية بوجه عام ، ثم لتوضيح الأزمنة المتداخلة فيما بين غزو الهكسوس لمصر وطردهم منها ، وعلاقة التاريخ بين هؤلاء وبين بنى إسرائيل ، وأيضا لتحديد أسماء الملوك الفراعنة الذين عاصروا الحوادث تباعا حتى الخروج ، وضبط أزمنة لها تكون صحيحة على أقرب ما يكون بالقياس إلى التواريخ العامة المعهودة عن يقين .

١ - الدولة القديمة

وهى الأسرات من الأولى إلى السادسة ، ومجموعها ٩٥٥ سنة ، تبدأ من أول حكم الأسرات الملكية سنة ٣٢٣٤ إلى سنة ٢٢٧٩ ق . م ، تقريبا .

وفى المراجع القديمة عن المؤرخ المصرى « مانيتون » أن عدد ملوك الأسرات الست الأول ، تسعة وأربعون ملكا ، وفى بردية « تورين » ، اثنان وخمسون ، وقد ملكوا جميعا ١٥٥٦ سنة تقريبا .

وفى (الموسوعة المصرية لتاريخ مصر القديم) ، لا يتعدى مجموع سننى هذه الأسرات الست ٩٢٠ سنة ، رغم التخليط فى بعض التواريخ

فيما بين أطرافها ، مع اعتبار أن أول سنى العصر الملكى الفرعونى ابتداء من سنة ٣٢٣٤ ق . م ، تقريبا .

ورغم أنا جعلنا مجموع سنى هذه الفترة قريبا مما هو عند المحدثين الآن ، نرى أيضا لزوم إعادة النظر على استقصاء فى تحديد سنى الأسرات ومفرداتها ، مع مراعاة اعتماد تواريخ الأسرات مما يلى السادسة على ضوء ما هو قريب من المعهود فى التاريخ العام .

فأما تفصيل ذلك ، فيما أخذنا به ، فهو على الوجه التالى .

الأسرة الأولى : ٢٥٦ سنة ، من ٣٢٣٤ - ٢٩٧٨ ق . م .
وفى المراجع عن « مانيتون » ٣٠٥ سنوات .

الأسرة الثانية : ١٧٩ سنة ، من ٢٩٧٨ - ٢٧٩٩ ق . م .
وفى المراجع عن « مانيتون » ٣٠٢ سنة .

وهاتان الأسرتان كان مركزهما مدينة « ثينس » وهى : « طينة » ، بالقرب من أبيدوس ، ومجموع ملوكها سبعة عشر ، ثمانية فى الأولى وتسعة فى الثانية .

الأسرة الثالثة : ١٢٠ سنة ، من ٢٧٩٩ - ٢٦٧٩ ق . م .
وفى المراجع عن « مانيتون » ٢١٤ سنة .

الأسرة الرابعة : ١٣١ سنة ، من ٢٦٧٩ - ٢٥٤٨ ق . م .
وفى المراجع عن « مانيتون » ٢٨٤ سنة .

وهاتان الأسرتان ، قد كان مركزهما « منف » بالقرب من سقارة ، مركز الجيزة ، حيث أعدت هذه المدينة لتكون عاصمة للبلاد ، ومجموع ملوكهما سبعة عشر ، تسعة فى الثالثة ، وثمانية فى الرابعة .

وملوك الأسرة الرابعة ، من هاتين ، يقول عنهم العالم الآثارى (جاردنر Gardiner) ، : « إنهم ثمانية ينتسبون لفرع مختلف » ، وربما يريد هنا بذلك أنهم لا يدينون للإله (حور Horis) .

الأسرة الخامسة : ١٢٤ سنة ، من ٢٥٤٨ - ٢٤٢٤ ق . م .
وفى المراجع عن « مانيتون » ٢٤٨ سنة .

الأسرة السادسة : ١٤٤ سنة و ٧ شهور ، من ٢٤٢٤ - ٢٢٧٩ ق . م .
وفى المراجع عن « مانيتون » ٢٠٣ سنوات .

وهاتان الأسرتان كان مركزهما : جزيرة فيلة ، بأسوان ، وجميعهم من
أتباع الإله « رع » غير أن أسماءهم يغلب فى بعضها صفة ما فى أسماء
بدو الشام ، وخاصة فى الأسرة السادسة .

٢ - الدولة الوسطى

(أ) العهد الوسيط الأول :

ويشتمل على الأسرات من السابعة إلى الثانية عشرة ، وهى فترة لم
يبد الاستقرار إلا فى نهايتها ، فأما الخمس الأسرات الأولى ، من السابعة
إلى الحادية عشرة ، فقد كانت الحرب فيها بين ملوك منف ، وطيبة جنوبا ،
وبين الاهناسيين شمالا قائمة ، وليس فى الآثار مصدر علم بمفرداتها عن
يقين .

ونحن هنا فقد حاولنا قدر المستطاع ، من خلال الأقاويل فى المراجع
القديمة ، عن « مانيتون » ، أن نربط بين أطرافها فقط ، دون أن نعرف
شيئا عن مفردات أزمنة كل منها بحسب ترتيب ملوكها ، فاكثفينا بما أمكن
أن نحتاج إليه فى كتابنا هذا ، من العلم به ، من جهة تحديد أزمنة أطرافها
جملة ، كما اتبعنا فى القول على الأسرات الست فى الدولة القديمة .

فأما تفصيل ما أرتأيناه ، وأخذنا به هنا ، فهو على الوجه التالى :

الأسرتان السابعة والثامنة^(١)

ومجموع زمانيهما ٥٩ سنة ، تبدأ من سنة ٢٢٧٩ إلى ٢٢٢٠ ق . م ،
ومركزهما جميعا مدينة « منف » ، فأما عدد الملوك فى كليهما فهو غير
واضح فى المراجع ، حيث كانتا جميعا امتداد مضطرب لأواخر الأسرة
السادسة .

الأسرتان التاسعة والعاشره :

ومدة حكمهما ١٨٥ سنة ، ابتداء من سنة ٢٢٢٠ إلى ٢٠٣٥ ق . م ،

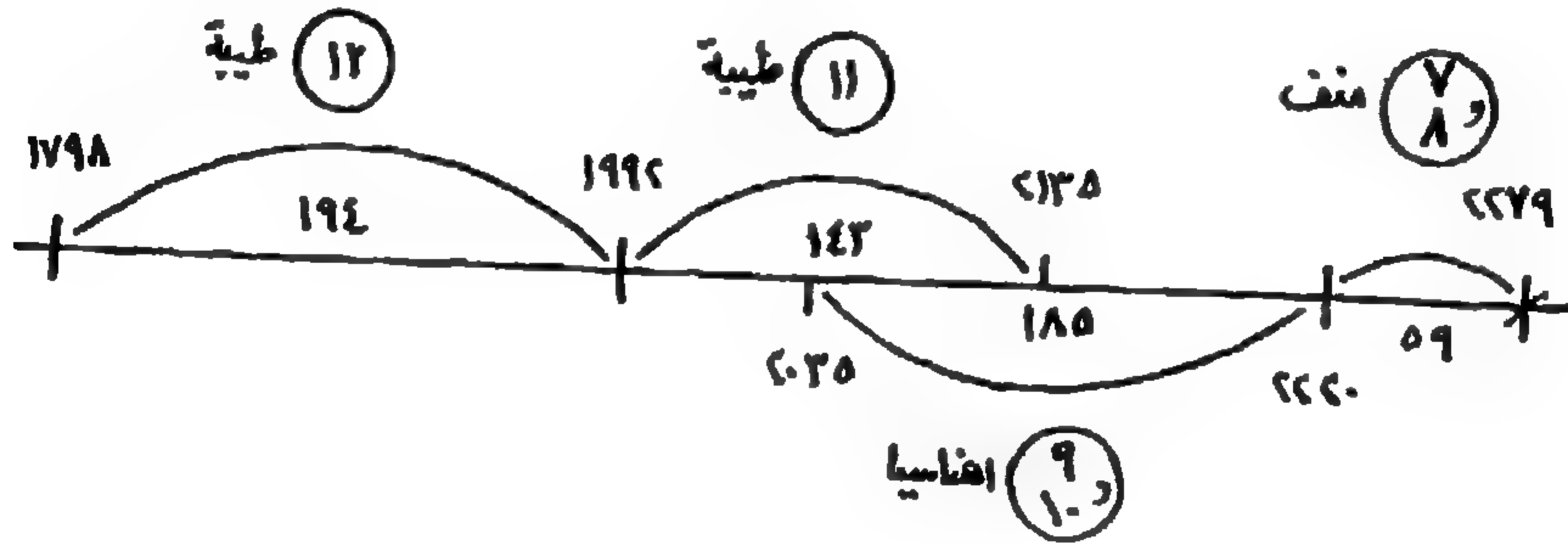
ومركزهما كان فى مدينة « اهناسيا » بمركز بنى سويف ، وعدد الملوك فيها أيضا مختلف فيه كذلك .

الأسرة الحادية عشرة :

وهى الأسرة التى تغلب فيها ملوك « طيبة » على الاهناسيين فى الشمال ، وأمكن أن ينتزعوا الحكم منهم ، بعد أن كانوا موالين لهم ، ومدة حكمها ١٤٣ سنة ، تبدأ من سنة ٢١٣٥ الى ١٩٩٢ ق . م ، وتتداخل مع هاتين الأسرتين بمقدار مائة سنة .

وأما عدد ملوكها فقليل أنه ستة عشر ملكا ، عرف منهم تسعة قد ذكروا فى المراجع ، وبعض هؤلاء كان يحكم بالتبعية للاهناسيين حتى تغلب ملوك طيبة عليهم سنة ٢٠٣٥ ق . م .

ونبين فى الرسم فيما يلى (٢) ، تداخل الأزمنة بين الأسرات الخمس ، من السابعة إلى الحادية عشرة :



الأسرة الثانية عشرة :

وهى الأسرة التى استقر فيها الحكم عقب الاضطرابات التى حدثت بين الاهناسيين وبين ملوك « طيبة » ، وعدد ملوكها ثمانية ، حكموا ، على ما فى بردية « تورين » ستة عشر يوما وشهرا ومائتين وثلاث عشرة سنة ، يدخلها ، بالمشاركة تسع عشرة سنة .

وهناك احتمال قوى أن إبراهيم الخليل نزل إلى مصر ، على رأس جماعة من عرب الشام ، وفى عهد « سنوسرت الثانى » رابع ملوك هذه الأسرة ، فى السنة السادسة من حكمه ، سنة ١٨٩٢ ق . م .

وفى كتاب : (العقد الثمين) (٢) :

« أن عائلة من بنى (عامو) القاطنين بآسيا ، وكانوا سبعة وثلاثين نفسا ، قدموا إلى مصر وأحضروا معهم معدنا يسمى : (مستموت) (٤) هدية للملك ، وكان مرغوبا عند المصريين ، ولذا كانت عرب البقيع (٥) تأتي به إلى مصر ، فأمر « خنوم حتب » وكان مقربا إلى الملك ومن مشاهير المصريين ، كاتبه « نفرحتب » أن يرسم هذه العائلة في مقبرته بصورة أنهم قيام بين يديه يلتمسون الإذن لهم بالإقامة فى مصر »

والتاريخ الذى أشرنا إليه ينطبق على الزمان الذى نزل فيه إبراهيم الخليل إلى مصر ، هو وامراته : سارة وابن أخيه : لوط ، كما فى « التوراة » (٦) ، والأشبه هنا أنه كان رئيس القافلة وكان يدعو نفسه : (أبشا Abi Sha) .

وفيما يلى مفردات الأسرة الثانية عشرة (٧) ، فى جدول روجع على كتب الآثار والموسوعة المصرية ، وقوبل على الترتيب الذى جاء به (جاردنر Gardiner) ، فى كتابه : « مصر الفراعنة » ، وروعى فيه اسقاط المدد المشتركة .

(مجموع ملوك العاصمة (أتوى) ، ومدنها ٢١٣ سنة)

الاسم واللقب فى قوائم الملوك	مدة الحكم	التاريخ ق م	مدة مشتركة
امنمحات الأول منحتب اب رع	٣٠	١٩٩٢ - ١٩٦٢	
سنوسرت الأول خير كا رع	٤٥	١٩٧٢ - ١٩٢٧	١٠
امنمحات الثانى نوب كاو رع	٣٨	١٩٢٧ - ١٨٨٩	
سنوسرت الثانى خع خير رع	١٩	١٨٩٨ - ١٨٧٩	٩
سنوسرت الثالث خع كلو رع	٢٦	١٨٧٩ - ١٨٥٣	
امنمحات الثالث نى ماعت رع	٤٢	١٨٥٣ - ١٨١١	
امنمحات الرابع ماعت خرو رع	٩	١٨١١ - ١٨٠٢	
سوبك نفروالملكة - سبك كا رع	٤	١٨٠٢ - ١٧٩٨	
المجموع	٢١٣		١٩ -

= ١٩٤ سنة

(١) الأسرة السابعة ، عن « مانيتون » ، قال إنها حكمت سبعين يوما ، وقيل بل سبعين سنة ، ويخيل إنها كانت بوجه ما بداية الحرب مع الاهناسيين .
فأما الأسرة الثامنة فقال إن ملوكها سبعة وعشرون ملكا ، حكموا ١٤٦ سنة ، والأشبه أن هذا المقدار من السنين يشتمل على الأسرتين السابعة والثامنة إلى ابتداء الأسرة الحادية عشرة سنة ٢١٣٥ ق م

(٢) والتداخل في السنين يبدو واضحا في الأسرات من السابعة إلى الحادية عشرة ، مما يؤكد أن الحرب بين الاهناسيين وملوك الجنوب كانت من العنف بحيث لم تدع مجالا للاستقرار ، حتى تغلب ملوك طيبة في الأسرة الحادية عشرة .

(٣) انظر كتاب « العقد الثمين في آثار الأقدمين » لأحمد كمال - طبع بولاق سنة ١٣٠٠ هـ

(٤) « مستموت » يبدو أنه الكحل الأسود ، من حجر الاتمد (Antimony)

(٥) « البقيع » يريد وادي البقاع في الشام ، وأهل الشمال هناك يسميهم المصريون قديما (عامو Aumu) .

(٦) انظر سفر التكوين أصحاح / ١٢ - وانظر الفصل العاشر فيما يلي :

(٧) وهذه المقادير من مفردات السنين ، هي كما جاءت في بردية « تورين » غير أن الذين نظموا ترتيب ملوك هذه الأسرة في كتب الآثار لم يستنزلوا السنين المشتركة في الحكم بين ملك وآخر ، وقدرها تسع عشرة سنة ، مما دعا إلى تخلخل في المدة من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة .

نسل إبراهيم الخليل

إبراهيم الخليل هو : إبرام بن تارح بن ناحور بن فالج بن عابر الكلداني ، من سلالة سام بن نوح .

ولد حوالي سنة ١٩٦٨ ق . م ، في السنة الثالثة والأربعين من حكم الملك نينوس بن يالوس الأشوري ، الذي بنى نينوى بالموصل^(١) .

فلما تولى الملك « زاميس بن نينوس » الحكم سنة ١٩١٧ ق . م ، بعد أمه « اشمعرام^(٢) » ، وأبيه من قبل ، ورأى أن إبراهيم لا يعبد نجم الثريا ، ويعيب على الناس عبادة الأوثان^(٣) ، اضطهده مع إخوته وأبيه ، ففروا من بلاد الكلدانيين إلى حاران بين النهرين ، وظلوا بها أربع عشرة سنة .

وفي التوراة :

ومات أبوه في حاران : فترأى له الرب قائلا : اذهب من أرضك وعشيرتك إلى الأرض التي أريك ، فأجعلك أمة عظيمة مباركة ، فأخذ إبراهيم امراته ساراي ولوطا ابن أخيه هاران ، وكل مقتنياتهما وعبروا الفرات^(٤) ، في طريقهم إلى أرض كنعان ، وكان له إذ ذاك من العمر أربع وسبعون سنة .

واجتاز إبراهيم في الأرض إلى « شكيم^(٥) » ، ورأى أنها حسنة ، والكنعانيون لا يزالون في الأرض ، فانتقل إلى الجبل وبنى هناك مذبحا للرب دعاه : « بيت إيل^(٦) » ، فترأى له قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، ثم ارتحل إبراهيم ومن معه ارتحالا متواليا نحو الجنوب .

(نزول إبراهيم إلى مصر) :

وحدث أن كان فى الأرض قحط فانحدر إبراهيم إلى مصر ، ليتغرب هناك ، ومعه لوط ابن أخيه ، وذلك سنة ١٨٩٢ ق . م ، فى عهد الملك « سنوسرت الثانى » ١٨٧٩/١٨٩٨ ق . م رابع ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وفى عهده نزلت جماعة من الساميين الى مصر ، ليتغربوا فيها عندما حدث جوع فى أرض كنعان ، وليس أحد من أهل الشام أو كنعان زار مصر فى مثل ذلك الوقت بعينه ، غير إبراهيم ومن معه ، وقد ذكر فى التوراة ما هو قريب من ذلك (٧) .

ويفهم من رواية « التوراة » :

أن إبراهيم لما قارب أن يدخل مصر خشى فى نفسه أن المصريين ربما يقتلونه ويستولون على ساراي امرأته ، فقال لها : إني أعلم أنك حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك والخير أن تقولى : إنك أختى ، فتحيا نفسى لأجلك ويكون لى خير بسببك (٨) .

فلما دخلوا مصر ، رأى المصريون المرأة فإذا هى حسنة المنظر جدا ، وراها رؤساء بيت فرعون ومدحوها عنده ، فأخذت إلى قصر الملك زوجة له ، فصنع إلى إبراهيم خيرا لأجلها ، وصار له غنم وبقر ودواب واماء .

وحدث بعد ذلك أن فرعون علم أنها امرأته ، فغضب ودعا إبراهيم وقال له : ما هذا الذى صنعت بى ، لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك ؟ خذها الآن واذهب ، وأوصى عليه رجالا فشيّعوه هو وامرأته ولوط ابن أخيه وجواريهما وكل من كان معه ، بعد أن قضى إبراهيم فى مصر ما يقرب من سنتين .

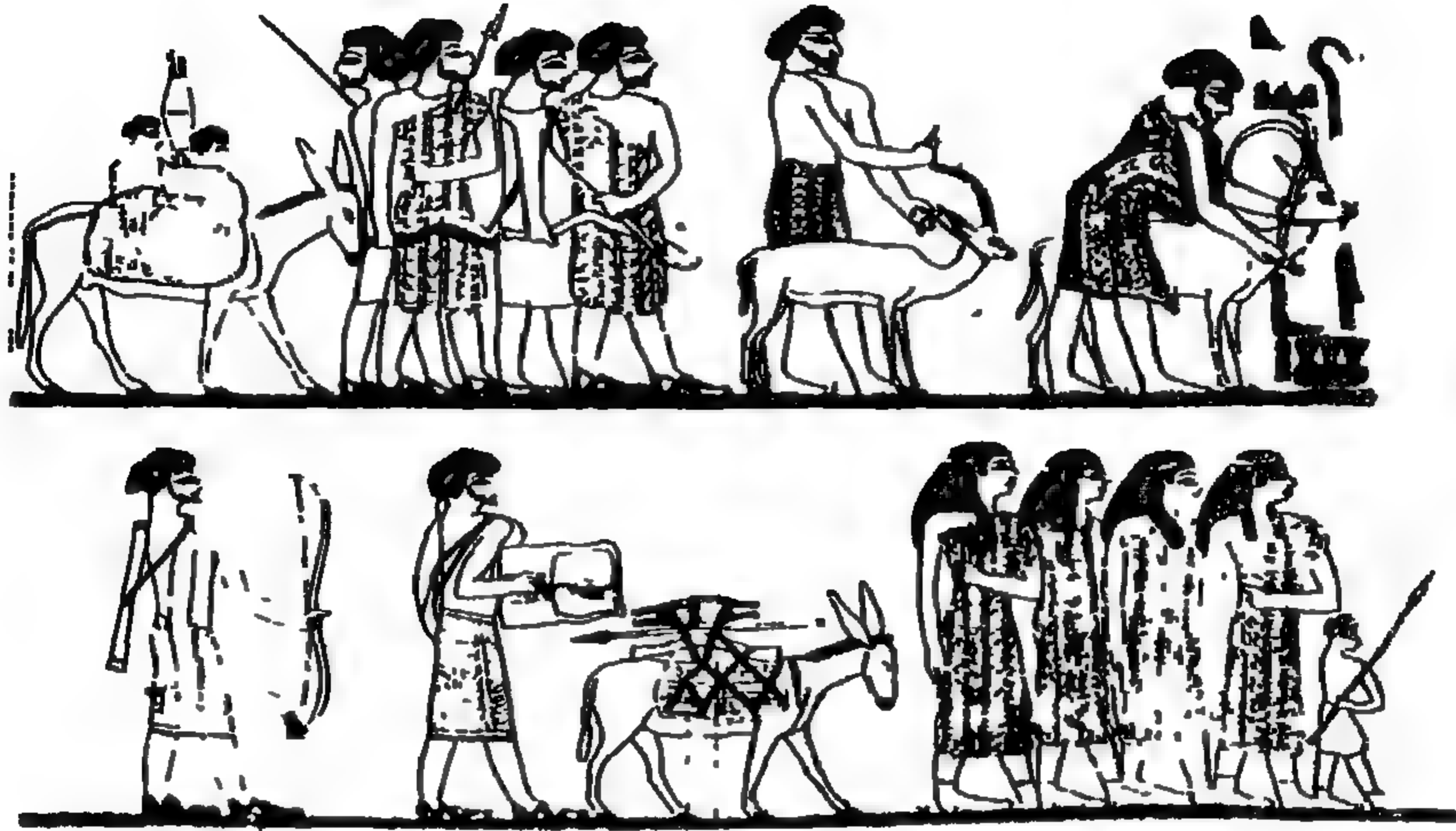
ويوجد فى مقبرة (خنوم حتب) من مقابر « بنى حسن » منظر (٩) ، يمثل جماعة من أهل الشام (عامو) ، يزورون مصر لأول مرة ، وعددهم سبعة

وثلاثون شخصا من الرجال والنساء والأطفال ، وذلك في السنة السادسة من حكم الملك « سنوسرت الثاني » ، وهم يحملون الهدايا ، وهذا التاريخ بعينه هو الذى نزل فيه إبراهيم ومن معه إلى مصر ، ويبدو أنه كان على رأس تلك الجماعة ، وقد سمي نفسه : « أبشا Abisha » :

SENEH HABAN

TOMB No. 2

PLATE XXXI



THE AAMU GROUP.

Row 3. Shows a procession of foreigners [E] which is headed by the royal scribe Neferhotep, who is represented holding in his hand a papyrus roll (see Pl. xxxviii, 2), upon which is the following inscription:—*Rapt vi hr hn n Hrw sm tirt stn bht (H-hpr-R) rht n smu in n s: hr Hnmhtp hr msdmt m smw n Šw iht iri*, xxxvii, "The year vi. under the majesty of Horus, the guide of the two lands, the King of Upper and Lower Egypt, Userkenu II, the number of Aamu brought by the son of the *ha*-prince, Chnemhotep, on account of the *mesdmt* (eye-paint, stibium or kohl), Aamu of Shu, number amounting to 37." Immediately following the royal scribe is Cheti, "the superintendent of the huntsmen," and behind him the party of foreigners (see Pl. xxvi.) headed by the *hk: st 'Nsh:*, "hak-prince of the desert, Abesha" (see Pl. xxvii.). Above is a line of inscription, reading *i hr int msdmt in nf "m xxxvii*, "arrival bringing kohl which 37 Aamu bring to him"

والاسم فى ذاته يبدو أنه كنية عامة عند أهل سوريا وفلسطين ، قبل أن يكون اسم علم بالحقيقة ، وتفسيره بالعربية قريب من « أبى الشام^(١٠) » ، والأرجح أن إبراهيم لم يشأ أن يذكر اسمه صراحة ، لأنه كان يتوجس شرا من المصريين ، خشية أن يبلغ أمره ملك نينوى فيأمر بقتله ، ولذلك انتحل هذه الكنية العامة : « أبى الشا » اسما له ، وهى بعينها تلك بالتخفيف .



THE A'AMU SHEYKH ABSHA

وفى التوراة :

وكان إبراهيم غنيا جدا ، وله مال وفير من الماشية ، وكذلك كان لوط أيضا ، فلما صعدا إلى كنعان لم تحتلها الأرض فى بقعة واحدة ، فافترقا فاختر لوط لنفسه دائرة الأردن ، ونقل خيامه إلى « سدوم » وسكن إبراهيم

شرقى بيت إيل ، فى المكان الذى بنى فيه المذبح من قبل ، عند بلوطات ممرا الأمورى^(١١) .

(إسماعيل بن إبراهيم) :

وكانت ساراي امرأة إبراهيم عاقرا فلم تلد له ، فقالت لرجلها : لقد أمسكنى الرب عن الولادة ، وهذه هاجر المصرية جاريتى أهبها لك زوجة فتدخل بها فأبنى منها ولدا ، فسمع إبراهيم لها ، فدخل على هاجر فحبلت ، فلما رأت أنها حامل ، صغرت مولاتها فى عينيها وتمردت عليها ، فغضبت ساراي وأذلتها ، فهربت هاجر من وجهها إلى عين بئر فى البرية التى فى طريق شور^(١٢) ، ثم تراءى لها ملاك الرب فقال لها : ارجعى إلى مولاتك واخضعى لها ، فإنك سوف تلدين ابنا وتدعيه : إسماعيل ، وانه يكون إنسانا برياً ، يده على الجميع ويد الجميع عليه .

ثم ولدت هاجر لإبراهيم ابنا ودعا اسمه : إسماعيل ، وكان مولده عندما بلغ إبراهيم من العمر ستا وثمانين سنة .

(إسحاق بن إبراهيم) :

ولما كانت لإبراهيم من العمر تسع وتسعون سنة ، تراءى له الرب ، فقال له : أنا الله القدير ، سوف أجعلك أبا لجمهور من الأمم ، فيدعى الآن اسمك : « إبراهيم » وليس « إبرام » ، وامراتك تدعى « سارة » وليس « ساراي » ، إنى أباركها وأعطيك منها نسلا ، فغطى إبراهيم وجهه وقال فى قلبه : وهل يلد ابن مائة سنة ، وهل تلد سارة وقد بلغت التسعين ، ليت إسماعيل يعيش أمامك ، فقال له الرب : بل سارة تلد لك ابنا وتدعو اسمه : إسحاق ، وأما إسماعيل فإنى أباركه وأجعله أمة كبيرة ، اثنى عشر رئيسا يلد ، ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق ، الذى تلده لك سارة ، فى مثل هذا

الوقت من العام المقبل ، ففرح إبراهيم وختن نفسه فى ذلك الوقت ، وختن ابنه إسماعيل ، لما كان له من عمره ثلاث عشرة سنة ، ثم أمر بأن يختن جميع ولدان بيته .

وانتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب فى كنعان ، وسكن بين قادش^(١٣) ، وبين شور ، ثم تغرب فى جرار^(١٤) ، وافتقد الرب سارة فحبلت وولدت لإبراهيم ابنا فى شيخوخته ، وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له ابنه إسحاق ، وقالت سارة : لقد صنع الرب لى ضحكا ، فكل من سمع يضحك لى ، وكبر الولد وقطم وعمل له إبراهيم وليمة عظيمة .
(طرد هاجر وابنها إسماعيل) :

ورأت سارة إسماعيل بن هاجر المصرية يمزح : فقالت لإبراهيم : اطرده هذه الجارية وابنها ، لأن ابن الجارية لا يرث مع ابنى اسحاق ، فغضب إبراهيم وقبح الكلام فى عينيه ، فأوحى اليه الرب قائلا : لا يقبح هذا فى عينيك من أجل الغلام والجارية ، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا أباركه واجعله أمة عظيمة لأنه نسلك .

وبكر إبراهيم فأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر ، وصرفها مع الغلام ، فتاهت فى برية بئر سبع ، فلما فرغ الماء طرحت الغلام تحت شجرة ومضت فجلست مقابلة له حتى لا تنظر إلى موته ، ورفعت صوتها تبكى ، فسمع الله صوت الغلام وبكاءها ، فنادها قائلا : لاتخافى ، وفتح عينها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت إليها وملأت القربة وسقت الغلام ، وكان الله معه فكبر وسكن فى برية فاران^(١٥) ، وشب الغلام رامى قوس ، وأخذت له أمه زوجة من مصر .

(تجربة الرب لإبراهيم) :

وحدث فى هذه الأيام أن الله أراد أن يمتحن إبراهيم ، فقال له : خذ ابنك وحيدك وأصعده محرقة لى على الجبل ، فبكر إبراهيم وشد على أتانته ، ثم

أخذ ابنه خلفه ، وأمر اثنين من غلمانه أن يتبعاه ، وقصد الموضع من الجبل ، فقال لغلّاميه : اجلسا هاهنا ، فأما أنا وإسحاق فنذهب الى هناك ونسجد لله ثم نعود إليكما ، وحمل إسحاق حطب المحرقة وأخذ إبراهيم سكيناً وناراً ، ومضيا .

فلما بلغا الموضع ورتب إبراهيم المذبح ، قال إسحاق لأبيه : ياأبت هوذا النار والحطب فأين الذبيح للمحرقة ؟ قال إبراهيم : الله سوف يرى له ، ثم ربط إسحاق ووضعاه على المذبح ، ولما هم أن يرفع يده بالسكين ليذبح إسحاق ناداه ملاك الرب السماء قائلاً : لاتمد يدك الى الغلام ، فإنى قد علمت انك تخاف الله فلم تمسك وحيدك عنه ، وفتح الرب عينى إبراهيم فنظر فرأى كبشاً ممسكاً فى الغابة بقرنيه ، فذهب إليه وأخذ الكبش وأصعده محرقة للرب عوضاً عن ابنه إسحاق ، ثم رجع إبراهيم مع ابنه الى الغلامين ، ومضوا جميعاً الى بئر سبع ، وأقام إبراهيم هناك .

(وفاة سارة) :

ثم ماتت سارة امرأة إبراهيم فى أرض كنعان ، وكان لها من العمر مائة وسبعاً وعشرون سنة ، فأتى إبراهيم يندبها ويبيكها ، وكلم بنى حث واشترى لها مغارة أمام ممرا ، ودفنها هناك^(١٦) .

(وفاة إبراهيم)

وشاخ إبراهيم وتقدم فى العمر ، فدعا عبده كبير بيته وقال له : استحلفك بالله رب السماء والأرض ، ألا تأخذ زوجة لإسحاق ابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا بينهم ، بل الى أرضى وعشيرتى تذهب وتأخذ له زوجة من هناك ، فقال له العبد ، ربما لاتشاء المرأة أن تتبعنى الى هذه الأرض ، فقال له : الله سوف يرسل ملاكه أمامك ، فحلف العبد لإبراهيم ، وذهب الى آرام

النهرين الى مدينة ناحور^(١٧) ، وصادف هناك رفقة بنت نتوئيل بن ناحور بن ملكة فلكم أباهما وأخاها فى الأمر ، فأخذ رفقة زوجة لإسحاق بن إبراهيم ، وأتى بها إلى الجنوب ، وسكن إسحاق عند بئر لحي رثى^(١٨) .

ومات إبراهيم عن مائة وخمس وسبعين سنة^(١٩) ، ودفنه إسحاق وإسماعيل فى مغارة المكفيلة ، التى أمام ممرا ، مع سارة زوجته ، وكانت وفاته حوالى سنة ١٧٩٢ ق . م .

وفاة إسماعيل :

وأما مواليد إسماعيل بن إبراهيم ، الذين ولدتهم هاجر المصرية ، جارية سارة ، فهم :

نبايوت ، بكر إسماعيل ، ثم قيدار ، وأدبئيل ، وميسام ، ثم مسماع ، ودومة ، ومساء ، وحداد ، ثم تيماء ، وبطور ، ونافيش ، وقدمه ، فهؤلاء هم بنو إسماعيل ، اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم .

ومات إسماعيل وانضم الى قومه من حويله^(٢٠) ، إلى شور ، التى أمام مصر ، وكانت سنو حياته مائة وسبعا وثلاثين سنة .

ونبين فيما يلى جدولا بالتواريخ التى ذكرناها آنفا :

اسماء الاعلام والموضوعات	التاريخ الميلادى	التاريخ العبرى	تواريخ فى التوراة غير يقينية
أول التاريخ العبرى ، فى العصر العتيق	ق . م ٢٧٦٠	عبرية ٠١	ق . م٠٠٠٠٠
بداية الأسرات الفرعونية فى الدولة القديمة	٣٢٢٤	٥٢٦٠٠٠٠
بداية العهد الوسيط الأول فى الدولة الوسطى	٢٢٧٩	١٤٨١٠٠٠٠

.....	١٧٦٨	١٩٩٢	أول الأسرة الثانية عشرة
١٩٩٦	١٧٩٢	١٩٦٨	ميلاد إبراهيم الخليل
١٩٢٠	١٨٦٨	١٨٩٢	نزول إبراهيم الى مصر
١٩١٠	١٨٧٧	١٨٨٣	ميلاد إسماعيل بن إبراهيم
١٨٩٧	١٨٨٩	١٨٧١	ميلاد إسحاق بن إبراهيم
١٨٦٠	١٩٢٠	١٨٣٤	وفاة سارة زوجة إبراهيم
.....	١٩٦٢	١٧٩٨	أول الأسرة الثالثة عشرة
١٨٢٢	١٩٦٨	١٧٩٢	وفاة إبراهيم الخليل
١٧٧٣	٢٠١١	١٧٤٩	وفاة اسماعيل بن إبراهيم

(١) انظر كتاب . (الآثار الباقية للبيروني) - طبع ألمانيا سنة ١٨٧٥ م ص ٨٥/

(٢) « اشمعرام » : زوجة نينوس الأول ملك آشور ، وقد يحرف الاسم الى « سميراميس » .

(٣) وفي كتاب (تاريخ مختصر الدول) ، لابن العبري - قوله :

« وأحرق إبراهيم هيكل الأصنام بأور الكلدانيين ، ودخل هاران أخوه ليطفئ النار فاحترق ، ولذلك فر إبراهيم ، وعمره يومئذ ستون سنة ، مع أبيه تارح ، وناحور أخيه ، ولوط ابن أخيه ، الى مدينة حران ، وسكنها أربع عشرة سنة .. »

(٤) وإبراهيم الخليل يقال له أيضا : إبرام العبري ، إما نسبة الى عبوره الفرات ، عند نزوله الى أرض كنعان ، وإما صفة منسوبة الى عابر بن شالح ، وهو الجد الخامس لإبراهيم والأشبه أن النسبة الأولى أقرب وأعم عند اليهود .

(٥) « شكيم » : بلدة قديمة كانت بجوار نابلس الآن ، شمالي أورشليم .

(٦) « بيت إيل » : لفظ عبري بمعنى . بيت الله ، والمدينة التي كانت تعرف بهذا الاسم تقع فيما بين القدس وشكيم القديمة .

(٧) انظر التوراة : سفر التكوين - اصحاح ١٢/٨٢ .

(٨) وقول إبراهيم لامراته بمثل ذلك ينبىء عن خوفه وسوء ظنه بالمصريين ، فقد كان هاربا من وجه زاميس ملك نينوى الذي كان يطلبه ليقطله لأنه سبق أن حرق هيكل الأصنام بأور الكلدانيين ، ومع ذلك فقد كانت هنالك اعتبارات أخرى يلزم مراعاتها . لأن ذلك لا يقدم ولا يؤخر في موقفه من ملك آشور .

(٩) وهذا المنظر يوجد ضمن نقوش مقبرة (خنوم حتب) رقم ٢ فى بنى حسن ، وهى تحوى

مناظر كثيرة تشير إلى أن صاحبها كان شخصية مشهورة عند المصريين .

(١٠) ويبدو أن لفظ « شام » هنا لغة أخرى عن اسم (سام بن نوح) ، والمعنى واضح ، فى أنه من بلاد الشام ، أى (سام) فالبدو الساميون يراد بهم عرب الشام ، والنطق بينهما مع اختلاف الحرف الأول ، جائز وصحيح

(١١) وهذا المكان يقع فى مدينة أربع قديما ، التى هى حبرون ، وهى الآن مدينة الخليل ، فى أرض فلسطين

(١٢) فى طريق شور أى فى الطريق العام الموصل من سوريا الى مصر ، وبالعكس عبر فلسطين وشمال سيناء وهو الطريق الصحراوى .
وعين البئر التى لجأت إليها هاجر وصفت فى التوراة بأنها بين « قادش وبارد » ويشبه انها : « بئر عين » ، التى تقع جنوبى شرقى العوجا ، بمقدار ١١,٠٠ كيلو تقريبا

(١٣) « قادش » : يعنى ، عين قديس ، التى فى سيناء ، داخل الحدود المصرية ، وهى من رفح . فى اتجاه رأس النقب على خليج العقبة ، بمقدار ٨٨,٠٠ كيلو مترا تقريبا ، وتسمى فى التوراة : « قادش برنيح » .
وقوله « بين قادش وبين شور .. » يعنى بينها وبين برية شور فى اتجاه بئر سبع .

(١٤) « جرار » هى خربة أم جرار ، تقع جنوبى فلسطين الى الجنوب من غزة .

(١٥) برية فاران . هى منطقة وادى (باران) ، ومايكتنفه من الجانبين ويقع الى الغرب من وادى العربى الممتد من البحر الميت الى خليج العقبة ، وجميعها ضمن صحراء ادوم .

(١٦) « هناك » أى فى مغارة « المكفيلة » فى مدينة أربع ، التى سميت (حبرون) وهى التى تعرف الآن باسم مدينة الخليل .

(١٧) مدينة (ناحور) يعنى بها « حاران » وهى التى كان إبراهيم وأخوه قد هربا إليها فى آرام بين النهرين ، فرارا من أور الكلدانيين .

(١٨) « بئر لحي رؤى » : وفى التوراة انها بين قادش وبارد ، وهى البئر التى هربت إليها قبلا جاريته (هاجر المصرية) أم اسماعيل بن إبراهيم ، ويشبه انها كانت قرب العوجة على الطريق الى مصر .

(١٩) توفى إبراهيم سنة ١٧٩٢ ق . م . وهذه يقابلها فى التقويم العبرى سنة ١٩٦٨ ، عبرية ، وهذه أيضا تاريخ ميلاده فى التقويم العام قبل الميلاد ، وكانت سنوحياته ١٧٥ سنة .

(٢٠) « من حويلة إلى شور التى أمام مصر » : يعنى من أرض الحجاز ، شرقى خليج العقبة ، الى برية شور التى تجاه مصر ، ويريد بذلك الوادى الممتد شمالا الى البحر الميت المسمى وادى العربى

الباب الرابع

تاريخ مصر فى العهد الوسيط الثانى من الدولة الوسطى وغزوة الهكسوس

- بنو اسرائيل (الأسباط الاثنا عشر)
- غزو الهكسوس لمصر ، فى العهد للوسيط الثانى
- يوسف الصديق ودخول بنى اسرائيل مصر

الفصل الحادى عشر :

بنو إسرائيل الأسباط الاثنا عشر

وفى التوراة^(١) :

فأما إسحاق ، فإنه تزوج رفقة بنت بتوئيل الآرامى ، أخت لابان بن بتوئيل بن ناحور أخى إبراهيم الخليل ، وكانت عاقرا ، فصلى إسحاق إلى الله أن يهبه ولدا ، فاستجاب لها وحبلت ، بعد عشرين سنة ، فلما كملت أيامها ، لتلد ، إذا فى بطنها توأمان ، وتزاحم الولدان فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر ، فدعوا اسمه : « عيسو » ، وخرج الثانى ويده قابضة على عقب أخيه ، فدعى اسمه : « يعقوب » ، وكان عمر اسحاق ستين سنة ، لما ولدتهما .

فكبر الولدان ، وكان عيسو إنسان صيد فى البرية ، أما يعقوب فكان إنسانا كاملا يسكن الخيام ، فأحب إسحاق ابنه عيسو ، لأن فى يده صيدا فأما رفقة فكانت تحب يعقوب .

وعاد عيسو يوما من البرية متعبا ، فوجد أخاه يأكل من طبيخ عدس صنعه ، فقال له عيسو : اطعمنى من هذا الأحمر ، فقال له يعقوب : وهل تبعنى بكوريتك ؟ قال : إنى ماض إلى الموت ، فلا معنى للبكورية ، وباع ليعقوب بكوريته وحلف له ، فأكل عيسو وشرب ، ثم قام فمضى إلى سبيله ، وهو يحتقر البكورية^(٢) .

فلما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر ، دعا عيسو ، ابنه الأكبر وقال له : تصيد لى صيدا واصنع لى أطعمة مما أحب ، حتى تباركك نفسى قبل

أن أموت ، وكانت أمه رفقة تسمع إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه ، فكلمت يعقوب بما سمعت وقالت له : اذهب الى الغنم وتخبر ماشئت لأبيك أطعمه مما يحب ، حتى يباركك قبل وفاته ، فقال لها يعقوب : عيسو رجل أشعر وأنا أملس ، وأنه سوف يجسنى فأظهر أمامه ، كالمتهاون فأجلب على نفسه لعنة لابركة ، فقالت له أمه ، لاتخف ، وصنعت أطعمة ، كما يحبها ابوه ، وألبست يعقوب ثياب عيسو وغطت يديه وملمس عنقه بفرو خفيف من جلد ، وأعطت الخبز والأطعمة ليعقوب ، فدخل بها على أبيه اسحاق وقال له : هاأنذا ياأبتي ، عيسو بركك ، قد فعلت كما أردت ، قم فأجلس وكل من صيدى ، فقال اسحاق : ما هذا الذى أسرعت أن تجد ! قال : إن الرب إلهك يسرلى ، فقال إسحاق : تقدم الى يابنى أباركك ، فتقدم اليه يعقوب ، فجسه أبوه وقال : صوت يعقوب ومجسة عيسو ، هل أنت عيسو ؟ قال : أنا هو ، وقدم له فأكل ، وأحضر له خمرا فشرب ، وقبله إسحاق وباركه وقال : رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب ، فليعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ، ولتكن سيدا لإخوتك .

وكان لما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ، أن عيسو أخاه أتى من صيده وقد صنع له أيضا أطعمة ، ودخل بها على أبيه وقال له : قم ياأبتي كل من صيد ابنك البكر عيسو ، حتى تباركنى نفسك ، فانزعج إسحاق وقال : فمن هو الذى اصطاد صيدا وقدم لى فأكلت قبل أن تجيء وباركته ؟ ، فلما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة بمرارة وقال : ألا لأنه دعى يعقوب فهو يتعقبنى ، حتى أخذ منى بكوريتى وبركتى من أبى ! ثم رفع صوته وبكى ، وقال : أما بقيت لى بركة ؟ فأجاب إسحاق : إنى جعلته سيدا لك ، ودفعت إليه جميع إخوته ، وعضدته بحنطة ، وخمر ، فماذا أصنع لك ياابنى ؟ قال عيسو : ألك بركة واحدة فقط ياأبتي ! فقال إسحاق : هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك ، وبسيفك تعيش ، فحقد عيسو على أخيه ، ثم ولى نظره شطر أدوم^(٣) ، وتزوج هناك ابنة إسماعيل بن إبراهيم ، أخت نبايوت .

وخاف يعقوب من أخيه فهرب إلى حاران فى أرض آرام^(٤) ، وأقام عند خاله لابان يخدمه حتى يزوجه راحيل ابنة خاله الصغرى ، فقد أوصاه

إسحاق ألا يتخذ لنفسه زوجة من بنات كتعان أو الحثيين .

فقضى فى خدمة لابان سبع سنوات ، فزوجه ابنته الكبرى « ليئة » وقال له : لا تتزوج الصغرى من البنات قبل الكبيرة .

فظل يعقوب يخدمه سبع سنوات آخر ، ثم تزوج « راحيل » ، وكان يحبها أكثر من « ليئة » ، ولكنها كانت عاقرا فلم تلد له .

وولدت « ليئة » ، ابنا ليعقوب ودعت اسمه : (راؤبين) ، لأنها قالت : إن الله نظر إلى مذلتى .

ثم حبلت وولدت ابنا ثانيا ودعت اسمه : (شمعون) وقالت : إن الرب علم أنى مكروهة فأعطانى هذا أيضا .

ثم حبلت وولدت له ابنا ثالثا ، فدعت اسمه : (لاوى)^(٥) ، لأنها قالت : هذه المرة يقترب بى رجلي ويحببنى .

ثم ولدت ليعقوب ابنا رابعا ، ودعت اسمه : (يهوذا) ، وقالت : الآن أحمد الرب ، وتوقفت عن الولادة .

فأما راحيل ، لما رأت انها لم تلد ليعقوب ، فقد اعطته جاريتها ، « بلهة » زوجة له ، فدخل بها يعقوب وحبلت وولدت ابنا اسمه : (دان) .

ثم عادت « بلهة » فولدت له ابنا آخر ، ودعت اسمه : (نفتالى) ، لأن راحيل قالت : قد صارعت أختى فغلبت .

وأما « ليئة » ، فإنها لما رأت انها توقفت عن الولادة ، أخذت جاريتها « زلفة » فأعطتها ليعقوب زوجة ، فولدت ابنا اسمه : (جاد) .

ثم عادت « زلفة » فولدت له ابنا آخر اسمه : (أشير) .

وسمع الله الى « ليئة » فحبلت وولدت ليعقوب ابنا دعت اسمه (يساكر) .

ثم عادت فولدت له ابنا سادسا ودعت اسمه : (زيولون) ، لأنها قالت :
لقد وهبني الله هبة حسنة ، ثم ولدت ابنة ودعت اسمها : « دينة » .

وذكر الله « راحيل » وسمع لها ، فحبلت وولدت ابنا دعت اسمه :
(يوسف) لأنها قالت : نزع الله عاري ، وليزيدني الرب ابنا ثانيا ، وكانت
ولادة يوسف في شيخوخته يعقوب ، عندما كان له من العمر تسعون سنة .

ولما ولدت راحيل عاد يعقوب من آرام الى أرض كنعان ، وأرسل رسلا
إلى أخيه عيسو ، رهبة منه ، وجهاز له هدايا ، وقسم أولاده الأحد عشر مع
أمهاتهم ، فلما أقبل عيسو تقدمهم يعقوب وسجدوا له وصافحوه ، فرضى
عنه عيسو ، ثم عاد ومن معه الى سكير^(٦) .

فأما يعقوب فإنه نزل الى الجنوب وبني لنفسه مسكنا ، وصنع لمواشيه
مظلات ، ودعا اسم المكان : « سكوت^(٧) » ، ثم ظهر له ملاك الرب وقال له :
قم فاصعد الآن الى « بيت إيل^(٨) » ، وأقم هناك مذبحا في المكان الذي
هربت منه إلى حاران من وجه أخيك ، وليكن من الآن اسمك (إسرائيل) ،
فصعد وبني مذبحا للرب كما أمره .

ثم ارتحلوا من هناك إلى « أفراتة » ، وهي بيت لحم ، وفي الطريق
تعسرت ولادة راحيل ، فقالت لها القابلة ، لاتخافى ، لأن هذا أيضا ابن لك ،
وكان عند خروج نفسها مع ولادته انها دعت اسمه : (بن أوني) ، فأما
يعقوب فدعاه : (بنيامين) ، وهو الابن الثانى عشر ليعقوب ، ثم ماتت
راحيل وهي تلد ودفنها يعقوب في طريق بيت لحم ، ونصب على قبرها
حجرا ، وهو عامود قبر راحيل الى اليوم^(٩) .

فأولئك هم بنو يعقوب الاثنا عشر ، أسباط بني إسرائيل ، فأكبرهم راؤبين
وشمعون ، وأصغرهم : يوسف وبنيامين .

ثم جاء يعقوب إلى أبيه إسحاق في « ممرا » التي هي حبرون ، حيث كان
قد تغرب فيها إبراهيم ، وشاخ إسحاق ومات واتضم الى قومه ، ودفنه

يعقوب وعيسو ، وكانت أيام إسحاق مائة وثمانين سنة ، وسكن يعقوب في أرض كنعان ، في الأرض التي تغرب فيها أبوه وجده إبراهيم .

أسياطُ بني إسرائيل الإثنا عشر

أسماء الأعلام وتواريخ الموضوعات	التاريخ الميلادي	التاريخ العبري	تواريخ فيها مش التوراة عبرية قديمة
ميلاد عيسو ويعقوب ولدى إسحاق	١٨١٣	عبرية ١٩٤٧	ق ٢٠ ١٨٣٧
وفاة إبراهيم الخليل	١٧٩٢	١٩٦٨	١٨٢٢
ابتداء الأسرة الثالثة عشرة في مصر	١٧٩٨	١٩٦٢
وفاة إسما عيل بن إبراهيم الخليل	١٧٤٩	٢٠١١	١٧٧٣
(١) راوبين بن يعقوب، من زوجته ليئة بنت لابان	١٧٣٦	٢٠٢٤	١٧٥١
(٢) شمعون » » » » » »	١٧٣٤	٢٠٢٦	١٧٥٠
لاوي » » » » » »	١٧٣٢	٢٠٢٨	١٧٤٩
(٣) يهوذا » » » » » »	١٧٣٠	٢٠٣٠	١٧٤٨
(٤) دان بن يعقوب، من بلهة جارية راحيل	١٧٢٩	٢٠٣١	١٧٤٧
(٥) نفتالي » » » » » »	١٧٢٧	٢٠٣٣
(٦) جاد بن يعقوب، من زلفة جارية ليئة	١٧٢٥	٢٠٣٥
(٧) أشير بن » » » » » »	١٧٢٣	٢٠٣٧
(٨) يساكر بن يعقوب، من زوجته ليئة	١٧٢٠	٢٠٤٠
(٩) زبولون » » » » » »	١٧١٨	٢٠٤٢	١٧٤٦
يوسف بن يعقوب، من زوجته راحيل	١٧١٦	٢٠٤٤	١٧٤٥
(١٠) بنيامين » » » » » »	١٧٠١	٢٠٥٩	١٧٢٩
(١١) منسى بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق	١٦٨٤	٢٠٧٦
(١٢) أفرايم » » » » » »	١٦٨١	٢٠٧٩

(أولاد عيسو بن يعقوب) :

تزوج عيسو بسمة بنت إسماعيل ، أخت نبايوت ، وقد ولدت لعيسو : ابنه
رعوئيل ، وكان بنو رعوئيل ، نحث ، وزارح ، وشمة ومزة .

ثم تزوج نساء من بنات كنعان ، وهن :

« عدا » بنت أليون الحثي ، وقد ولدت لعيسو : (أليفاز) ، الجبار .
وكان بنو أليفاز : تيمان ، وأومار ، وصفوان ، وجعثام ، وفناز .
وكانت « تمناع » سرية لأليفاز بن عيسو فولدت له : (عماليق) .
ثم « أهوليامة » بنت عنى الحوي ، وقد ولدت لعيسو : (يعوش ويعلام
وقودح) .

هؤلاء جميعا ، أولاد عيسو بن يعقوب ، الذين ولدوا في أرض كنعان ، ثم
مضى عيسو وأولاده وأهل بيته إلى جبل سعير ، في أرض أدوم .

وكان ملوك أدوم ، قبل ذلك ، هم :

بالع بن بعور ، وكان اسم مدينته : « دنهاية » .
ثم مات فملك مكانه : يوباب بن زارح ، من بصرة .
ثم مات يوباب فملك مكانه : حوشام ، من أرض التيمانى .

ومات حوشام فملك مكانه : هداد بن بداد ، الذي كسر مايان في أرض
مؤاب ، وكان اسم مدينته : « عويت » .

ومات هداد فملك مكانه : سملة بن مسريقة .

ومات سملة فملك مكانه : هدار ، وكان اسم مدينته ، « فاعو » واسم
امراته . مهبطنيل بنت مطرد بنت ماء الذهب .

فأما أمراء أدوم ، من أولاد عيسو ، فهم :

أمير تمناع ، وأمير علوة ، وأمير تيبيت ، وأمير أهوليامة ، وأمير أيلة ،
وأمير فينون ، وأمير قناز ، وأمير مبصار ، وأمير مجدئيل ، وأمير عيرام .

هؤلاء هم : أمراء أدوم من بنى عيسو بن يعقوب ، وعيسو هو الذى اسمه
أيضا : أدوم .

* * *

(١) انظر : (التوراة ، سفر التكوين) أصحاح من ٢٥ إلى ٢٨ - منقول بتصريف للاختصار .

(٢) « البكورية » . نسبة إلى الابن الأكبر البكر ، فقد كان أهل المشرق خاصة يعدونها من
المميزات له من بين إخوته ، فى كثير من الأحوال ، فالدعوات الصالحات من الوالدين تكون
للأبن البكر ابتداء ، بفرض أنه رأس إخوته جميعا والمقدم عليهم .

(٣) « أدوم » . أرض الأردن وصحراء الشام .

(٤) « أرام » : يعنى (أرام بين النهرين) ، فى أعالي الفرات .

(٥) « لاوى بن يعقوب » : هو الجد الثانى لموسى النبى .

(٦) « سعير » أرض أدوم التى الى الجنوب من البحر الميت والى الشرق من وادى عربة حتى
خليج العقبة .

(٧) « سكوت » يعنى الخيام ، أو المباني المؤقتة والتى تعرف بهذا الاسم فى الخرائط
القديمة تقع الى الجنوب من اورشليم تقرب من ١٤ كيلو مترا والى الغرب من البحر
الميت .

(٨) « بيت ايل » تقع فيما بين القدس وأورشليم التى هى قرية من نابلس الحالية على قرب
من منتصف المسافة بينهما .

(٩) « الى اليوم » يعنى : الى الزمان الذى كتب فيه التوراة ، أو فيما بعده قليل ، ولا يظن أن
مثل تلك العلامة تظل باقية كشاهد على القدر بعد ذلك الى زماننا هذا .

غزو الهكسوس مصر فى العهد الوسيط الثانى

العهد الوسيط الثانى ، من الدولة الوسطى ، يشتمل على تاريخ الأسرات الملكية ، ابتداء من الأسرة الثالثة عشرة إلى نهاية الأسرة السابعة عشرة ، ومجموع سننى الحكم فى هذه الأسرات الخمس ٢٢٥ سنة ، تبدأ من سنة ١٧٩٨ ق . م ، إلى تاريخ طرد الغزاة من مصر فى أول حكم الملك « أحمس الأول » سنة ١٥٧٣ ق . م .

وهذه المدة ، رغم قصرها ، قد يتعذر تفصيلها ، وذلك لتداخل سننى الحكم بين الأسرات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة ، ثم بينها وبين الأسرة الرابعة عشرة ، التى كان مركزها (سخا) فى الدلتا ، حيث اكتنف هذه وتلك حكم العمالق الهكسوس الذين غزوا مصر فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة ، سنة ١٧٥٦ ق . م ، فى عهد الملك « منحم سوازتاوى » المسمى أيضا . (سبك حتب الثالث^(١)) ومن هذه فالاسرات من الثالثة عشرة الى السابعة عشرة^(٢) ، كان مقرها مدينة « طيبة » فى الجنوب ، والأسرة الرابعة عشرة أقيمت فى الشمال مع ابتداء الأسرة الثالثة عشرة ، عقب انتهاء حكم الأسرة الثانية عشرة .

فأما العمالق الغزاة ، وهم من البدو الساميين والعرب ، فقد بنوا للجند حصنا فى « هواريس » شرقى الدلتا ، ثم جعلوا مقر الحكم فى « منف » ، كى يتوغلوا نحو الجنوب .

١ - (الأسرات الفرعونية) :

عدد السنين :

٤٢ سنة منذ أول الأسرة الثالثة عشرة ، فى « طيبة » إلى بداية غزو الهكسوس^(٢) سنة ١٧٥٦ ق . م .

١١٤ سنة ، مجموع سنى الأسرة الرابعة عشرة ، بفرض أنها تبدأ مع الأسرة الثالثة عشرة ، ممايلى الثانية عشرة ، من ١٧٩٨ إلى ١٦٨٤ ق . م ، خلال حكم الهكسوس ، ومركزها (سخا) فى شمال الدلتا .

٢٢٥ سنة مجموع^(٤) سنى الأسرات من الثالثة عشرة إلى أول الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٥٧٣ ق . م .

١٨٨ سنة ، مدة حكم الهكسوس فى مصر^(٥) ، اعتبارا من بداية الغزو سنة ١٧٥٦ ق . م إلى تاريخ مطاردتهم إلى فلسطين فى السنة الخامسة من حكم الملك أحمس الأول ، سنة ١٥٦٨ ق . م .

٧٤ سنة ، مدة حكم الأسرة السابعة عشرة فى « طيبة » بفرض أنها تنحصر فيما بين حكم الملك (خيان) سنة ١٦٤٧ ق . م ، المسمى (ساوسرن رع) ، إلى أول حكم الملك (أحمس الأول) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٥٧٣ ق . م ، وهى المدة التى بدأت فيها المناوشات والحرب بين الهكسوس وبين ملوك « طيبة » فى الجنوب ، وانتهت بطردهم من مصر فى السنة الخامسة من حكم الملك أحمس الأول .

٢ - (ملوك الرعاة) - الهكسوس :

لم يكن الغزاة الهكسوس يعرفون نظام حكم الأسرات الملوكية بالتوارث ، كما هو عند الفراعنة المصريين ، بل إنما كان الحكم عندهم ، منذ أول

الأمر ، عرفيا ، شبيها بتقاليد قبائل البدو الآسيويين ، ثم تطبعوا بعد ذلك على بعض من تقاليد المصريين وعاداتهم .

وقد حكم الهكسوس مصر مائة وثمانى وثمانين سنة تقريبا ، تبدأ منذ غزوهم لمصر ، فى اوائل الأسرة الثالثة عشرة ١٧٥٦ ق . م ، وتنتهى بمحاصرتهم فى قلعة « أواريس » ثم مطاردتهم إلى فلسطين ، فى السنة الخامسة من استيلاء الملك (أحمس الأول) على الحكم ، سنة ١٥٦٨ ق . م .

وكان الرؤساء الكبار منهم ، ستة ، وهم الذين حكموا فعلا طيلة هذه المدة ، وكانت تخضع لهم البلاد شمالا وجنوبا ، وتدفع لهم الجزية ، وفيما عدا هؤلاء من الأسماء التى وردت بالمراجع^(٦) ، فهم إما من القواد العسكريين أو نوابا وسندا لهم عند الحاجة .

فأما اسمائهم ، على ما ذكره المؤرخ اليهودى (يوسيفوس Yosephus ، عن « مانيتون » الكاهن المصرى ، فهى على الوجه التالى بالترتيب .

الأول : (ست شلاتيس Sutchlatis) 

وهو قائد حملة الهكسوس ، وقد حكم تسع عشرة سنة ، ابتداء من سنة ١٧٥٦ إلى سنة ١٧٣٧ ق . م ، وكان الجيش خليطا من عرب فلسطين وشمال سوريا وشرقى الأردن ، ويبدو أن العنف الذى اقتحموا به البلاد كان له أثر شديد عند المصريين ، فظلوا يمقتون البدو الرعاة أجيالا طويلة ويصفونهم بأنهم قوم أنجاس .

وكان مقر حكمه مدينة « منف » فى أول الأمر ، ثم أنشأ حصن « هواريس^(٧) Howaris فى شرق الدلتا ، وفرض الجزية على فراعنة مصر فى الجنوب .

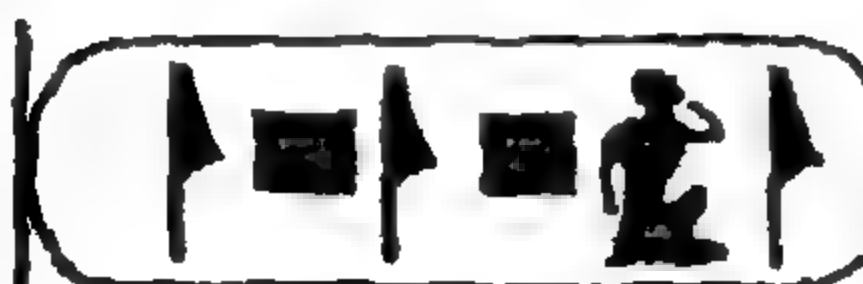
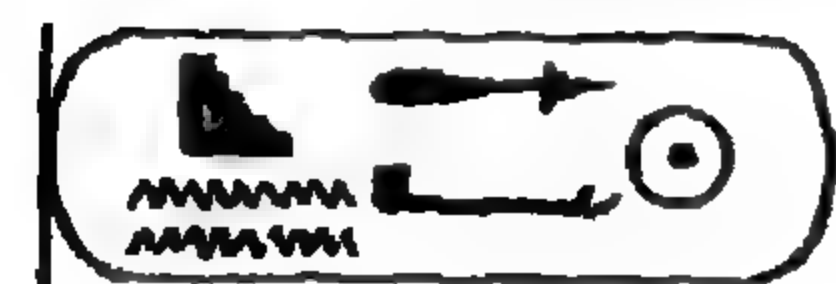
والثاني : (بنون Benon) أو « بنيم » ، وهو المسمى فى الآثار .

« سكا » ، أى : الحارث^(٨) .



وقد ظل فى الحكم خلفا للأول مدة اثنين وعشرين^(٩) عاما ، من سنة ١٧٣٧ إلى سنة ١٧١٥ ق . م ، وكان مقر حكومته مدينة « منف » .

والثالث : (ابخناس Ibikhnas)^(١٠) ، ويعرف فى الآثار باسم : « أبى



خنس - نب خبش رع » ..

وقد حكم سبعا وعشرين^(١١) سنة من سنة ١٧١٥ الى ١٦٨٨ ق . م ، وفى عهده نزل يوسف بن يعقوب إلى مصر ، وله من العمر سبع عشرة سنة عندما باعه إخوته إلى قافلة من الاسماعيليين^(١٢) كانت فى طريقها إلى مصر ، فاشتراه « فوطى فارع » رئيس شرطة فرعون سنة ١٦٩٩ ق . م .

والرابع : (إببى Epipi) ، ويسمى باليونانية : « ابوفيس Ibuphis » ويعرف

فى الآثار باسم : « عاقن رع » ، معطى الحياة :



وهو أشهر الحكام الستة الكبار ، من الهكسوس ، وله عدة ألقاب إضافية ، وظل فى الحكم فى إحدى وأربعين سنة^(١٣) ، ابتداء من ١٦٨٨ إلى ١٦٤٧ ق . م .

وقد قام فى أول عهده سنة ١٦٨٨ ق . م ، ببناء معبد الإله ، « سوتخ » فى مدينة « صان الحجر - ثانیس » ، بعد أن فتح معابدها للمصريين وعمرها فصارت مركزا هاما ، وجعل الإله « سوتخ » ، فى مرتبة الإله (ست) عند المصريين ، بفرض أن كليهما واحد ، هو إله الحرب .

وفى السنة الثالثة من حكمه ، سنة ١٦٨٦ ق . م أمر بإخراج يوسف بن يعقوب من السجن ، حتى يقوم بتفسير حلمه فى السبع البقرات السمان

والأخرى العجاف ، الذى تكرر معه ثانية فى هيئة سنابل من القمح مملوءة
وأخرى ملفوحة بالريح فارغة ، ومنذ ذلك العهد استولى يوسف بأمره على
خزائن مصر من القمح^(١٤) .

وفى سنة ١٦٧٨ ق . م ، نزل بنو إسرائيل ، وهم أولاد يعقوب بن إبراهيم
الخليل إلى مصر بأمره ، ليقطنوا فى أرض « جاسان » ، وهى منطقة « صان
الحجر » ، وكانت إذ ذاك أحسن أراض للرعى فى إقليم شرقى الدلتا ، وهى
التي كانوا يسمونها أرض (رع مسس) ، أى أرض أبناء الإله (رع) .

ثم مات يعقوب فى مصر حوالى سنة ١٦٦٢ ق . م ، بعد أن رأى فرعون
ودعا له وبارك أولاده ، فأمر يوسف بتحنيطه ، ثم صعد مع إخوته وجماعة
من المصريين إلى كنعان ليدفنوه هناك ، كما أوصى ، فى المكان الذى دفن
فيه أبوه إبراهيم الخليل .

والخامس : (خيان Khayan) ، ويسميه « مانيتون » : (يانا أو چايناس
Jayanas) ، والعرب يسمونه : (الريان^(١٥) بن الوليد) ، وهو المعروف لدى
الآثار باسم : (ساو سرن رع) :



وكانت مدة حكمه أربعين^(١٦) سنة وشهرا واحدا ، من ١٦٤٧ إلى ١٦٠٧
ق . م ، وفى أول عهده تغلب على فراعنة « طيبة » واستولى على كافة أنحاء
مصر ، فتوغل الهكسوس جنوبا حتى الإقليم الرابع ، بمحافظة « قنا » .

ثم حاول الهكسوس القضاء على فراعنة الجنوب ، فقامت الحرب فى عهد
الفرعون « سقنن رع » الكبير ، ثم طالت وتطورت من بعده لصالح
المصريين ، فكانت سببا فى طرد الهكسوس من مصر الى غير رجعة .

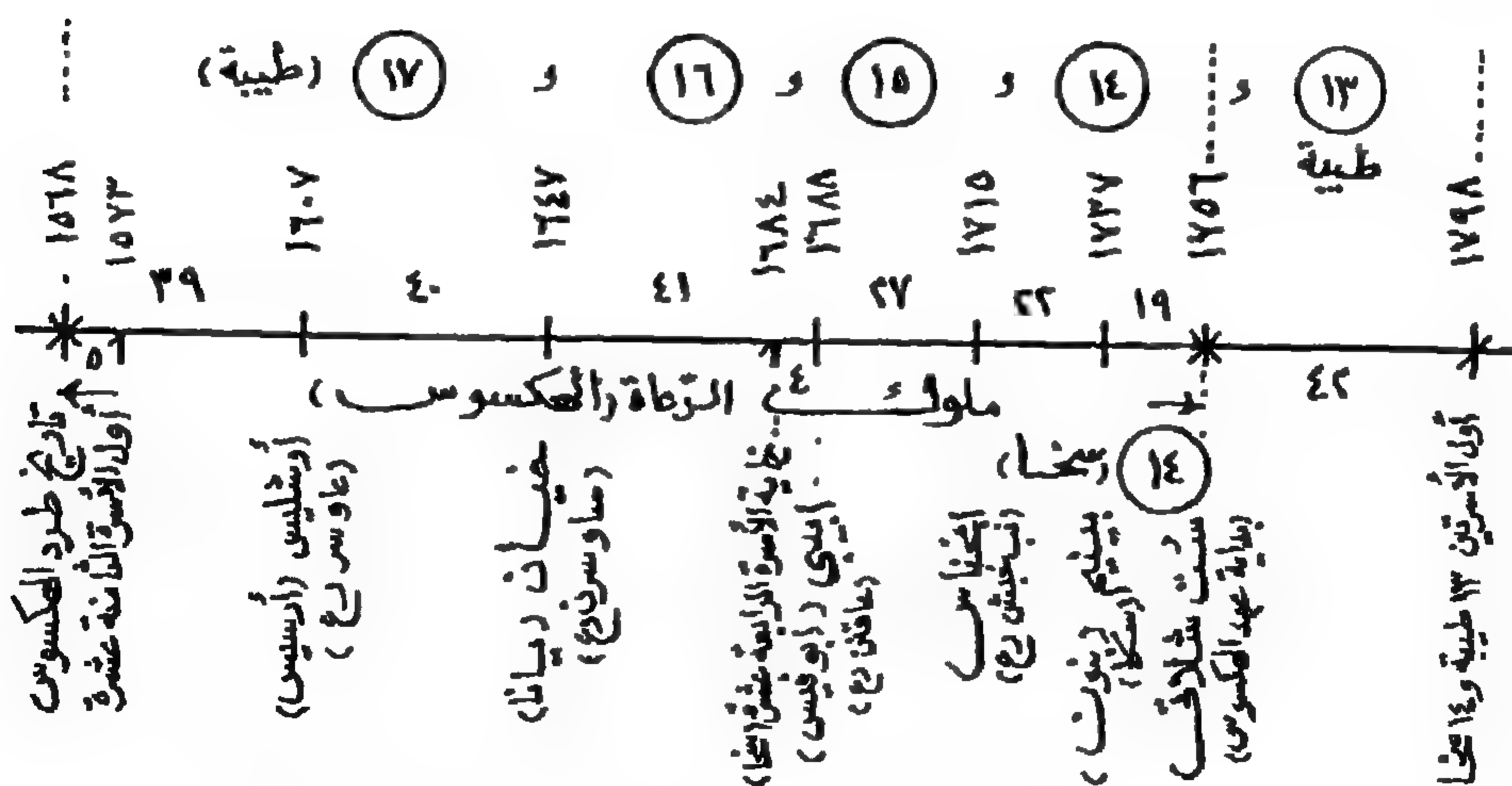
والسادس (إشيس^(١٧) Echis) أو « اسيس » ويسميه (أفريكانو) نقلا

عن « مانيتون » : (إرشليس Erchlis ، ويعرف في الآثار باسم (عاو سر

رع) - رب الأرضين :  

وهو آخر الحكام الهكسوس الستة العظام ، وقد حكم^(١٨) تسعا وثلاثين سنة وشهرين ، من ١٦٠٧ إلى ١٥٦٨ ق . م ، وهي آخر عهدهم بالوجود في مصر ، وذلك في السنة الخامسة من حكم الفرعون « أحمس الأول » مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، في طيبة .

وفي عهد « إشييس » هذا لما قام فراعنة الأسرة السابعة عشرة في « طيبة » ، تحت زعامة « سقنن رع - الكبير » بالعمل على طرد الهكسوس من الجنوب ، قام (اشيس) بتدبير مؤامرة اغتيال فيها الفرعون « سقنن رع - الثاني » ، مما دعا ابنه « وازخبر رع - كامس^(١٩) » إلى تجهيز جيش قوى لإجلانهم عن البلاد ، فظل يحاربهم بعنف وهم يتقهقرون شمالا حتى التجأوا إلى حصن « هواريس » واحتموا فيه ، ثم جاء من بعده أخوه الفرعون « أحمس الأول » فأخذ يحاصرهم ، حتى اضطروهم إلى الفرار إلى فلسطين ، في السنة الخامسة من ملكه سنة ١٥٦٨ ق . م .



رسم تفصيلي عن الأسرات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة
بما في ذلك حكم الملوك الهكسوس

فأما قصة غزو الهكسوس لمصر ، فقد رواها المؤرخ « يوسفوس اليهودي (Jewish Iosephus) » حكاية عن الكاهن مانيتون المصرى الذى يقول :

« فى عهد توتيمايوس^(٢٠) Tutimaesus أحد ملوكنا ، نزلت علينا لعنة من غضب الإله دون أن نعرف لذلك سببا ، فقد تجرأ قوم ليست لهم أية شهرة ، على غزو بلادنا بجيش كبير ، جاء من ناحية الشرق فجأة ، فسيطروا على البلاد بسهولة ، وقتلوا بعض أمرائنا ووضعوا السلاسل فى أيدي آخرين ، وأحرقوا المدن والمعابد ، وعاملوا السكان بقسوة فقتلوا عددا كبيرا منهم ، وسبوا النساء والأطفال ، ثم نصبوا واحدا من أمتهم ملكا علينا يدعى « شلاتيس » .

وقد جاء هذا الحاكم واستقر فى « ممفيس » وفرض ضريبة على أقاليم الوجهين البحرى والقبلى على السواء ، وأقام فيها حاميات قوية ، وخاصة فى جهة الشرق ، لأنه كان يرى أن الأشوريين إذا ما أحسوا بأنهم أقوىاء ، سوف يسعون لهزيمة هذه المملكة ، وعندما بدا له أن بلدة « أفارس^(٢١) » ، فى إقليم (سترويتس) إلى الشرق من الفرع البوباسطى^(٢٢) ، ذات موقع مناسب ، فقد قام بتحسينها تحصينا قويا ، ووضع فيها وفيما حولها كثيرا من المحاربين بلغ عددهم ٢٤,٠٠٠ مقاتل ، وكان يأتى إلى هناك فى أوقات الحصاد كى يباشر جمع المحصول ويوزع الجرايات على الجنود ، ويستعرض انضباطهم تماما ، كى يطمئن على ان الاجانب لايجرءون على التحرش به بغية امتلاك دولته .

وقد سيطر هذا الحاكم على البلاد ١٩ سنة .
ثم جاء بعده (بنون) فحكم ٤٤ سنة .
ثم أعقبه (ابخناس) فقضى فى الحكم ٧ أشهر و٢٦ سنة^(٢٣) .
وجاء بعد هذا (ايبى) فحكم ٦١ سنة .
ثم تلاه (خيان) فحكم شهرا و٥٠ سنة .
ثم خلفه (اشيس) وهو آخرهم فحكم شهرين و٤٩ سنة .

وكان هؤلاء الرؤساء الستة يطمعون فى محو عناصر الشعب المصرى ، فلم يتركوا وسيلة للقضاء على المصريين الا استعملوها ، وهم جميعا يسمون : « الهكسوس » ، أى ملوك الرعاة ، ويقول البعض إنهم من العرب .. » .

ثم يضيف « يوسيفوس ^{٢٤} Iosphus اليهودى ، الذى نقل هذا النص عن « مانيتون » ، أن هذا المؤرخ المصرى يقرر بأن الملوك الفراعنة فى صعيد مصر ، لما لم يكن قد تم اخضاعهم تماما ، فقد خاضوا حروبا طويلة ضد هؤلاء الغزاة ، ثم هزمهم وطردوهم فى النهاية من مصر التى كانوا قد احتلوها خمس^(٢٤) مائة وإحدى عشرة سنة ، وأن هؤلاء الرعاة انسحبوا الى الصحراء ثم انقضوا على سوريا ، وانتهى بهم الأمر إلى أن استولوا على اقليم يسمى « يهوذا »^(٢٥) حيث أسسوا مدينة « اورشليم »^(٢٦) Ierusalin . وقال الآثارى أحمد كمال ، فى كتابه^(٢٧) :

« إن (مانيتون) يذكر أن هؤلاء الملوك يدعون باللغة اليونانية . (هكسوس - Hyksous ، بمعنى ملوك الرعاة ، وأن هذا الاسم يوافقه بالقلم البريائى^(٢٨) ، كلمة : (حقا شاسو) أى ملوك البادية » .

وذكر (ماسيرو Maspero : أن لفظ (شاسو) يعنى عرب البوادرى الرحل ، فسماهم المصريون بهذا الاسم .

وقال (مارييت Mariette) :

« إن قبائل الهكسوس كانوا أخلاطا من العرب وأهل الشام ، وأكثرهم من الكنعانيين ، كما ذكره (مانيتون) ، وقد كانت أكبر قبيلة حاکمة عليهم تسمى بالقلم الهرمسى^(٢٩) : (خيتا) ، وفى التوراة هم الحثيون ، وفى التواريخ العربية : العمالقة ... » .

والواضح فى ذلك أن لفظ : (هكسوس Hyksous) إغريقى ، يعنى رؤساء قبائل البدو ، ويقابله فى اللغة المصرية كلمة :

(حقخاستيو) ، 

وهم حكام البدو الرعاة ، من العرب الآسيويين ، الذين يقطنون الصحراء جماعات فى قبائل تحت حكم عرقى قد ارتضوه فيما بينهم تقليدا بالتوارث ، وربما يختلف بوجه ما بين قبيلة وأخرى ، ولكنه واحد فى جوهره ، ومن صفات البدو عامة الميل الى السطو وقطع الطريق ، غير أنه مع ذلك فإن لهم جوانب أخرى حميدة .

وفى (تاريخ بابل وأشور^(٢٠)) :

« أن أولئك الذين اجتاحتهم مصر فجأة فى منتصف القرن الثامن عشر ق . م . كانوا أشتاتاً من البابليين وغيرهم ، الفارين من الفتك الذى أعمله فيهم (أزدريخت المادى^(٢١)) عندما فتح بابل عنوة بعد حصار عنيف ، وذلك أنهم لجأوا إلى مهاجرة البلاد فرارا وخرجوا هائمين على وجوههم ، فكان من حديثهم أنهم تآلفوا جماعة واحدة ، وجعلوا دأبهم العبث فى الأرض ، لا يدخلون مدينة الا استباحوا أهلها وأرزاقها ، حتى بلغ معظم سوادهم إلى الديار الشامية ، فأنزلوا بأهلها البلاء والقتل والنهب والسبى زمانا ، ثم زحفوا إلى مصر ، وقد زاد لفيفهم بمن انضم إليهم من بلاد الشام ، فانتشروا فى الأرض وانزعج منهم المصريون ، ثم هبوا لقتالهم ، فكانت بين الفريقين ، وقائع تواترت زمانا ، حتى جاء عهد أثوتمس^(٢٢) المصرى الذى فرق شملهم وأجلاهم عن أرض مصر .. » .

وكيف يكون أمر هؤلاء ، فإن العنصر المدبر الفعال ، هم البدو العرب العماليق ، أبوهم الضحاك^(٢٣) بن علوان ، أبو العرب العاربة ، فقد كان هؤلاء فى أكثر من مكان واحد ، فى العراق والشام وفلسطين ، وشرقى الأردن ، وفى سيناء واليمن ، فهم أشداء هذه البلاد ، وصناعتهم الغزو والحرب والتنقل من مكان إلى آخر ، لا يقيمون تحت ظل نظام مدنى أصلا ، والذين هاجموا مصر كانوا خليطا من البدو السوريين ، والكوشيين وأشتات الكنعانيين ، ولكن تحت زعامة قبائل قوية من العماليق .

والعماليق ، أو العمالقة ، واحداهم : عملاق وعمليق ، يعنى الجبار الشديد البأس ، ممن له فى ذاته كمال فى الخلقة مع شموخ وهيبة ، والأصل فى

الجبابرة من الناس قديم يرجع الى سلالة من نسل شيث بن آدم ، والمعروف منهم بعد الطوفان طائفتان .

العمالقة الكوشيون ، وكان يقطنون أعالي دجلة والفرات ، وبين النهرين وهم من نسل نمرود بن كوش بن حام بن نوح ، وهؤلاء كان البابليون قديما يسمونهم : « ماليق » ثم تفرقوا في أنحاء العراق وجزيرة العرب .

ثم العمالقة السوريون ، من نسل عوص بن آرام بن سام بن نوح ، وهؤلاء هم الأخص عند العرب باسم « العمالق » ، وكانوا يقطنون أرض قادش^(٣٤) ، جنوبي أرض فلسطين ، ومنهم خرج عمليق بن أليفاز بن عيسو الأدومي ، أخى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، وكان ملوك العرب في الجاهلية من العمالق .

وفي « لسان العرب » :

« عملاق : أسماء العمالقة من عاد ، وهم بنو عملاق ، قال الأزهري : عملاق أبو العمالقة ، وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام على عهد موسى ، وقال الجوهري : العمالق والعمالقة قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن آرام بن سام بن نوح ، وهم أمم تفرقوا في البلاد . »

وفي (مختصر كتاب البلدان) لابن الفقيه الهمداني ، قوله^(٣٥) :

« وكانت منازل العمالق في موضع صنعاء اليوم ، ثم خرجوا فنزلوا مكة ولحقت طائفة منهم بالشام ومصر ، وتفرقت طائفة في جزيرة العرب والعراق ، ويقال : إن فراعنة مصر كانوا من العمالق .. » .

ويبدو أن غزو الهكسوس لمصر إنما كان خلال الوقت الذي ظهرت فيه دولة الحاتيين الاناضول الذين هاجموا آشور وبابل وشمال سوريا في القرن الثامن عشر ق . م . فلما عمت الفوضى وانتشر الرعب في سوريا ، كانت قبائل العمالق من البدو العرب والسوريين اسبق الى مهاجمة مصر قبل أن يصل اليها الغزاة ، إذا أمكنهم أن يحتلوا الشام ، وحينئذ فاجأوا

مصر بجيش كبير من المقاتلين الذين يتسمون بالخشونة ، والغلظة ، تحت قيادة عاتية من زعماء قبائل العمالقة ، فاستولوا على الدلتا دون مقاومة ، ثم زحفوا الى الجنوب وفرضوا إرادتهم فصاروا حكاما على مصر وخلفاء لفراعنتها .

وكان بدء غزو الهكسوس مصر فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة ، فى عهد فرعون ذكره « مانيتون » باسم : (توتيمايوس Tutimeus) ، وقد اختلفت الآراء فى تحديده ، ونرى انه بالحقيقة (سخم سوازتاوى^(٣٦)) ، المعروف أيضا باسم « سبك حتب الثالث » ، وليس فى أسماء فراعنة الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، من هو أقرب منه إلى ذلك الاسم الذى ذكره « مانيتون » ، بالقياس الى النطق به مع مراعاة التاريخ الذى هاجموا فيه البلاد فعلا سنة ١٧٥٦ ق . م .

فأما الظن بأن (توتيماس Tutimeus ، هو الفرعون : (درزموسيس) ، كما فى كتاب : « مصر القديمة » ، فليس هنالك مايشير الى ذلك ، وقد عارض العلامة (جاردنر Gardiner هذا رأى بقوله^(٣٧) .

« توتيمايوس » ليست فى الواقع غير تصحيح أحد الدارسين ، وحتى ولو كانت الكلمة صحيحة ، فإن هنالك أسسا قوية تتصل بالنطق السليم تجعلنا لانقرن حامل الاسم بالفرعون (دجد موسيى) الذى نعرف انه يمت إلى هذا العصر .. » .

* * *

(١) كذا فى ترتيب الأسماء من بردية (تورين) عن كتاب « مصر الفراعنة » لجاردنر - الترجمة العربية ، وفى مرجع آخر « سبك حتب الرابع » ، والأول أصح ، بالقياس الى الاسم واللقب .

(٢) لاتوجد لدى الآثار بيانات مفصلة عن الفترة ، من الأسرة الثالثة عشرة الى آخر السابعة عشرة ، بما فى ذلك حكم الهكسوس ، وقد فصلنا هنا أطرافها بقدر المستطاع .

(٣) الأسرات من الثالثة عشرة الى السابعة عشرة يتعذر تفصيلها ، رغم بياناتها فى بردية (تورين) ، وقد تلاحظ أن أسماء بعض الملوك مكررة فى الأسرتين ١٢ ، ١٤ ، مما يوحي بأنه لم يراع الترتيب المنتظم الذى يميز بين ملوك الأسرات تباعا .

ونحن هنا قد فصلنا القول فى ملوك الهكسوس ، حيث أن المدة التى قضوها فى مصر تحيط بأرمئة الأسرات من الثالثة الى السابعة عشرة ، بما فى ذلك الأسرة الرابعة عشرة التى كان مركزها (سخا) فى شمال الدلتا ، ويبدو أن هذه الأسرة كانت موالية للغزاة منذ أول الأمر ، فلما استقر هؤلاء فى عهد الملك (أبو قيس - المسمى « عاقن رع » تقلص نشاطهم وانتهى أمرهم .

(٤) وفى المراجع القديمة عن « مانيتون » ، ومن نقلوا عنه أن سنى تلك الأسرات الخمس جميعا ، بما فى ذلك حكم الهكسوس ، ٥١١ سنة ، وهو أكثر مما يجب ، وربما كان ٢١١ سنة

(٥) فى كتاب (العقد الثمين فى آثار الأقدمين) ، لأحمد كمال نقلا عن المؤرخ « مانيتون » المصرى أن المدة التى حكم فيها الهكسوس مصر ، هى ١٠ شهور و ٢٤٩ سنة .

غير أنه لما كان طرفا المدة من أول الأسرة الثالثة عشرة ، الى تاريخ طرد الهكسوس فى السنة الخامسة من حكم الملك (أحمس الأول » سنة ١٥٦٨ ق . م . لا يتعدى ٢٢٩ سنة ، وكان لا يصح تعديل تاريخ طرفى تلك المدة ، فقد اعتمدنا أن المدة التى قضها الهكسوس حتى خروجهم من قلعة أواريس ١٨٨ سنة ، منذ ابتداء الغزو ، وذلك بتعديل مفردات الأزمنة التى ذكرها « مانيتون » براء ملوك الرعاة ، على الوجه التالى

جدول (مانيتون)		(تعديل)	
واسماء الملوك	شهر	سنة	شهر
١ - (ست شلاتى) -	٠٠	١٩	٠٠
سلاتيس			
٢ - (بينيم) - بنون	٠٠	٤٤	٠٠
٣ - (ابختام) - بخناس	٧	٢٦	٧
٤ - (ايبيى - أبو قيس	٠٠	٦١	٠٠
٥ - (خيان - جانيا	١	٥٠	١
« يانا »	٢	٤٩	٢
٦ - (ارشيلس) - اشيش			
	شهر	سنة	شهر
	١٠	٢٤٩ و	شهر
			١٨٧ و سنة

(٦) فى المراجع القديمة ، عن « مانيتون » . أن مجموع سنى حكم الهكسوس فى مصر يبلغ ١٠ شهور ، و ٢٤٩ سنة) ، وقد تبين قبلا وجه التعديل فيه .

(٧) أصل التسمية ، فى اللغة المصرية القديمة (هات أو عرت) ، يعنى المدينة المتطرفة خارج الحدود ، وتسمى باليونانية (أقاريس) ، ويحرف النطق به فى العربية إلى أواريس ، أو (هواريس) ، ويمثل هذا اللفظ يوصف بعض البدو الذين يقطنون الصحراء والأماكن المعزولة ، باسم (الهوارة) ، نسبة الى تلك التسمية .

فأما موقع حصن (أواريس) فقد كان على أول الطريق البرى الساحلى ، الموصل الى العريش وغزة ، فى المكان الذى يعرف على الخرائط الطبوغرافية ، باسم (الفرما - بيلوزيوم Pelusium) تجاه خليج الطينة ، الى الشرق من قناة السويس حاليا ، على البحر المتوسط

(٨) فى بردية « تورين » (بينم - سكا) فى العامود ٢٩٨ من كتاب (مصر الفراعنة) لجاردنر - الترجمة العربية

والأشبه ان التسمية فى ذاتها تحمل صيغة عربية المعنى ، تشتق من لفظ (ابن - بى) ، وأهل الشام قديما كانوا لا يفرقون فى النطق بين حرفى « الميم والنون » ، وربما كان الاسم لا يتجاوز معنى « ابن الحارث » أو ابن أبى الحارث .

(٩) فى المراجع القديمة ، عن « مانيتون » أنه حكم أربعاً وأربعين سنة ، غير أن هذا المقدار أكبر من أن يحتمله مجموع المدة التى قضاها الهكسوس فى مصر ، وقد جعلنا مدة حكمه اثنتين وعشرين سنة ، لتكون أكثر قبولا .

(١٠) فى بعض الكتب المطبوعة « ابا خنام » ، فإذا كان كذلك ، فهى تسمية عربية تشبه (ابا الغنم) ، غير أن ما ذكرناه هو الأصل دون تحريف

وذلك الاسم قد يخفف فينطق « ابخ » ، وقد يبدو محذوفاً آخره فينطق (ابى) ، وهو كذلك فى الآثار ، مما دعا الى الخلط بين هذا وبين لفظ (اببى) الذى يعرف باسم (ابوفيس) ، باليونانية

ويخيل أيضاً أن لفظ « ابخناس أو ابخنام » كلاهما تسمية عربية من القاب البدو

(١١) فى المراجع ، عن « مانيتون » . أنه حكم ستاً وعشرين سنة وسبعة أشهر ، أى سبعة وعشرين ، بالتقريب دون كسور .

(١٢) « الاسماعيليين » هنا ، يراد بهم بنو إسماعيل بن إبراهيم الخليل .

(١٣) عن « مانيتون » أنه حكم إحدى وستين سنة ، وقد جعلناها نحن إحدى وأربعين سنة ، على قياس توزيع مجموع المدة التى قضاها الهكسوس فى مصر ، مع مراعاة التواريخ المتجاوزة على الترتيب

(١٤) انظر قصة يوسف فى « التوراة - سفر التكوين » وانظر الفصل (الثالث عشر) من هذا الكتاب

(١٥) كذا فى بعض المراجع العربية - انظر (البداية والنهاية فى التاريخ) لأبى الفداء اسماعيل بن عمر ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - قال : إن فرعون يوسف هو « الريان بن الوليد » .

ويخيل أن هذا الاسم ، بتفخيم « الرء » ، يبدو فى المسموع كالنطق بلفظ (خيان) ، غير

أن الواضح هنا أن يوسف عاصر ثلاثة من ملوك الهكسوس .
أحدهم (بخناس) ، الذى نزل فى عهده الى مصر .

يليه (ابو فيس) ، وهو الذى اشتهر يوسف فى مدة حكمه ، ثم (خيان) ، خامس ملوك
الرعاة .

ثم مات يوسف فى أول حكم (أرشليس) ، آخر الملوك الهكسوس ، وذلك فى سنة ١٦٠٦
ق م .

(١٦) عن « مانيتون » ، أنه مكث فى الحكم خمسين سنة وشهرا واحدا ، وقد جعلنا مدة
حكمه أربعين سنة ، على التوزيع الذى أجريناه بالنسبة الى مجموع سننى الهكسوس فى
مصر

(١٧) وهو الذى عاصر أواخر الحرب الجادة مع الفرعون ، (سقنن رع - الثانى) وعمل على
اغتياله فى قصره ، ثم مع ابنه (كاموزا) فى نهاية الاسرة السابعة عشرة .

ويفهم من القصة التى تروى فى ذلك ، عن الآثار ، انه كان مع ملك الرعاة (اشيس) ، من
يدعى « برشاق » ، وهو ماتشير اليه الآثار باسم (شارك) ، والمرجح انه كان من قواد الجيش
المتهورين ، لاستمراره فى الحرب الى أوائل الاسرة الثامنة عشرة حتى انتهاء الحرب

(١٨) وفى المراجع القديمة ، عن « مانيتون » انه حكم تسعا وأربعين سنة ، وشهرين
والاشبه انها اقل تبعا لجملة سننى حكم الهكسوس ، فجعلناه تسعا وثلاثين سنة وشهرين

(١٩) (كامس) ، أو « كاموزا » آخر فراعنة الاسرة السابعة عشرة ، وهو الذى يعرف فى
الآثار باسم . « السفر غموزيس » ، باليونانية

(٢٠) « توتيمايوس » ، كذا فى كتاب (مصر القديمة) ح/٤ لسليم حسن ، وقد قرنه باسم
الفرعون ددوميس - زد رع .

غير أن عالم الآثار (جاردنر Gardiner)^١ أشار الى هذا فى كتابه . (مصر الفراعنة)
بقوله :

« إن التسمية لابد أنها محرفة ، ولايجوز أن يقرن ذلك باسم الملك . (دجد - موسى)
لأسباب تتعلق بصحة النطق » انظر الترجمة العربية .

وفى كتاب (وصف مصر) الترجمة العربية ، المجلد الثانى ص ٢٦٧/ (تيمائوس
Timaous) .

والذى ترجح لدينا أن الهكسوس هاجموا مصر فى أوائل الاسرة الثالثة عشرة ، سنة ١٧٥٦
ق م . فى عهد الفرعون « سخم سوازتاوى - رع » ، وهو المعروف باسم (سبك حنب
الثالثة) ، وكانت مدة حكمه ثلاث سنوات وشهرين ، كما فى (جداول الاسرات من ١٢ إلى ١٧
فى المراجع) .

فإذا كان الاسم محرفاً فهو بالأحرى عن النطق بلفظ . « سخم سوازتاوى » ، كما لو نطق « ثوثيمايوس Thuthimaïos أو « سخم ثايوز »

(٢١) « أفاريس » هى (أواريس أو هواريس) ، قلعة أقامها الهكسوس شرقى الدلتا ، تجاه خليج الطينة

(٢٢) « الفرع البوباسطى » . يعنى فرع النيل الشرقى المار بمدينة « بوباست » ، وهى المعروفة الآن باسم « تل بسطة »

وفى الأصل « فى إقليم (سايس) ، الى الشرق من الفرع البوباسطى .. » ، وهو تحريف

(٢٣) فى بعض المراجع ، ٧ أشهر و ٣٦ سنة ، والأصل ما أثبتناه فى المتن ، ويبدو أنه الأقرب الى مجموع سننى الهكسوس فى مصر .

(٢٤) كذا فى الأصل ، ويبدو أن صحته ٢١١,٠٠ سنة ، ويعنى المدة من أول الأسرة الثالثة عشرة حتى نهاية الوجود الهكسوسى بمصر

(٢٥) إقليم « يهوذا Joudo » ، نسبة الى يهوذا بن يعقوب بن إبراهيم ، أحد الأسباط الاثنى عشر ، والأصل فيه من أملاك اليبوسيين ، غير أنه تزوج امرأة كنعانية ولدت له ثلاث بنين كانوا يقطنون هذا الاقليم ، واليه ينسب لفظ اليهود .

(٢٦) « اورشليم » : أصلها (اورسالم) ، أى مقاطعة سالم ، نسبة الى ملكها سالم ، وهى مدينة القدس ، أو بيت المقدس الآن ، وترجع الى عهد قديم عندما كانت موطن اليبوسيين ، وكانت تسمى إذ ذاك « ييوس » وهم بطن من كنعان بن حام بن نوح .

وأقدم من يعرف من ملوكها بعد « سالم » ، هو الكاهن المسمى « ملكيصدق » ، أى الملك الصادق ، وهو الذى بارك إبراهيم الخليل سنة ١٨٩٠ ق . م . عندما استرجع لوطا ابن اخيه ، الذى أسره ، « كلدعومر » ، ملك عيلام ، فى حربه مع ملوك سدوم - (انظر سفر التكوين ص ١٤/ .

(٢٧) كتاب (العقد الثمين فى آثار الأقدمين) - طبع بولاق بمصر سنة ١٣٠٠ هـ - ص ٧٤/ .

(٢٨) « البربائى » أى الكتابة المصرية القديمة على الآثار ، واللفظ منسوب الى (بربا) ، وهى المنطقة الأثرية ، والمراد بذلك الخط الملكى ، الهيروغليفى .

(٢٩) « الهرمسى » نسبة الى « هرمس Herms » باليونانية وهو ما يعرف عند المصريين القدماء باسم (تحوت) الذى اخترع الكتابة ، ويعنى بالهرمس . القلم البربائى أيضا

(٣٠) يتصرف عن كتاب (تاريخ بابل وأشور) - طبع بيروت سنة ١٨٩٣ م .

(٣١) فى الأصل : « ازد رخت المادى » ، وربما كان هذا محرفا عن « اكزركسيس » ، أو هو المسمى فى جدول ملوك آشور فى كتاب (الآثار الباقية) للبيرونى باسم « اخشيرش » ومع ذلك ، فالأقرب ان غزو بابل كان أواخر العدة من ١٨٠٩ إلى ١٧٧٩ ق . م

(٣٢) « أتونمس المصرى » يعنى به الملك « أحمس الأول » رأس الاسرة الثامنة عشرة .

(٣٣) « الضحاك بنّ علوان » ملك العرب ، وكان يلقب ايضا باسم (أزدهاك) - بالفارسية

انظر كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيرونى - جدول ملوك بابل وآشور .

(٣٤) « قادش » : يعنى بئر قديش جنوبى فلسطين وصحراء النقب ، وفى الشمال الشرقى من (سيناء) داخل الحدود المصرية .

(٣٥) كتاب (مختصر البلدان) لابن الفقيه الهمدانى - طبع ليدن سنة ١٣٠٢ هـ ، (ص ٣٧ - فى القول على اليمامة) .

(٣٦) وهو المؤشر عليه فى الجدول المنقول عن بردية « تورين » كما فى كتاب (مصر الفراغة) لجاردنر Gardiner ، برقم ٢٤ فى العامود ٦ ومكرر بذات الاسم برقم ٥ فى العامود ٧ .

وهذا بعينه أيضا هو الحادى والعشرين فى الترتيب ابتداء من الأسرة الثالثة عشرة فى طيبة ، غير أنه باسم (سخم سوازتاوى - سبك حتب الرابع) ، كما فى الجدول الموضح بكتاب (العقد الثمين) لأحمد كمال - طبع بولاق سنة ١٣٠٠ هـ .

وقد ذكر فى كتاب (مصر القديمة) باسم (سخم رع سوازتاوى - سبك حتب الثالث) وقال . « وله تمثال لوحظ فيه تحريف الاسم ، وربما كان ذلك خطأ من المثال » . وقال أيضا . « وله بمتحف اللوفر لوحة يدل صنعها على انها من الأسرة الثالثة عشرة ، وقد تمثل عليها زوجة الملك وابنتان تتعبدان للإله (مين) .

(٣٧) انظر . كتاب (مصر الفراغة) للعلامة (جاردنر Grdiner - الترجمة العربية ص ١٨١/

الفصل الثالث عشر :

يوسف الصديق ودخول بنى إسرائيل مصر

عن التوراة بتصرف^(١) .

هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل ، أول من دخل إلى مصر من بنى إسرائيل ، وهو السبط الحادى عشر ليعقوب ، الذى هو « إسرائيل » ، ولد سنة ١٧١٦ ق . م ، فى شيخوخة أبيه .

وفى التوراة :

أن يعقوب كان يحب يوسف ويميزه عن سائر إخوته ، لأنه ابن شيخوخته ، فلما رأى إخوته أن أباهم يحبه أكثر منهم أبغضوه ، ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام ، وشب يوسف غلاما يرعى الغنم مع إخوته ، حتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة .

وقص يوسف يوما على إخوته حلما له ، فقال لهم : إنى رأيت ها نحن نحزم فى الحقل حزما ، فإذا حزمتى وقفت فانتصببت واحتاطت بها حزمكم جميعا وسجدت لحزمتى ، فقالوا : ألعك تريد أن تتسلط علينا ! وازدادوا بغضا له .

ثم عاد فقص عليهم حلما آخر له ، فقال : رأيت فى نومي ، أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا لى ساجدين ، فلما سمع أبوه انتهره وقال له : هل نأتى لك أنا وأمك وإخوتك الأحد عشر لنسجد لك إلى الأرض ، فحسده إخوته لذلك وأضمرؤا له شرا .

وحدث أن أرسله أبوه يوما يسأل عن سلامة إخوته ، إذ كانوا يرعون الغنم عند شكيم^(٢) ، فضل الطريق ، وصادفه رجل فسأله عنهم فقال له

إن إخوتك رحلوا إلى « دوثان »^(٣) ، سمعتهم يقولون ذلك ، فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم هناك .

فلما أبصروه من بعيد ، قال بعضهم هو ذا صاحب الأحلام ، فلما اقترب منهم احتالوا فيما بينهم وقالوا : نقتله ونطرحه فى إحدى الآبار ، فأمسكوا به وخلعوا عنه قميصه الملون ، فسمع راؤبين ، أخوهم الكبير ، فأقبل ينقذه من أيديهم ، وقال لا تسفكوا دما ، اطرحوه فى هذه البئر التى فى البرية ، وكان يريد بذلك أن يعود فيأخذه ويرده إلى أبيه ، فطرحوه فى البئر ، وكانت فارغة من الماء ، ثم رجع راؤبين إلى موضعه .

وجلسوا ليأكلوا طعاما ، فنظروا فإذا قافلة من الإسماعيليين^(٤) والتجار مقبلة من « جلعاد »^(٥) يحملون بضاعة على الجمال إلى مصر ، فقال يهوذا : ما الفائدة من أن نقتله ونخفى دمه ! نبيعه إلى هؤلاء ولا تكن أيدينا عليه ، فباعوه ، وسحبه من البئر رجال مديانيون^(٦) من التجار ونقلوه مع البضاعة إلى مصر ، فلما عاد راؤبين ونظر فى البئر لم يجد يوسف ، فمزق ثيابه وعاب إخوته

فأخذوا قميص يوسف ، وذبخوا تيسا وغمسوا القميص فى الدم وأحضروه إلى أبيهم وقالوا له . وجدنا هذا ، تحقق منه ، هل هو قميص يوسف أم لا ؟ ، فتحققه وقال : قميص ابنى ، وحش افترسه ! ثم مزق ثيابه وناح عليه أياما كثيرة .

أما المديانيون فباعوه فى مصر إلى « قوطيفار »^(٧) ، رئيس الشرط عند فرعون ، وكان الرب مع يوسف ، وكان ناجحا فوجد نعمة فى عينى سيده فوكله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له .

وكان يوسف حسن الصورة والمنظر ، فشغفت به امرأة سيده وراودته عن نفسها فأبى ، وكان أن كلمت يوسف يوما فيوما فلم يسمع لها ، وحدث أن أمسكته يوما من ثوبه فتركه فى يدها وهرب إلى الخارج ، فأغتاظت منه ونادت أهل بيتها ، وقالت : انظروا ، جاء إلينا برجل عبرانى يداعبنا ، وكان لما أن سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه فى يدي وهرب .

ثم وضعت قميصه إلى جانبها حتى جاء سيده إلى البيت فأخبرته بمثل هذا قائلة . دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنا ، فكان لما

رأى رفعت صوتى وأمسكت به ، أن ترك قميصه فى يدي ، فغضب فأخذ يوسف ووضعه فى بيت السجن ، فى مكان أسرى الملك ، المحبوسين فيه .

وكان الله مع يوسف وبسط له لطفًا وجعل له نعمة فى عينى رئيس السجن ، فدفع إلى يوسف جميع الأسرى الذين فى بيت السجن ووكله عليهم .

وحدث بعد هذا أن رئيس سقاة الملك ورئيس الخبازين ، أذنبًا إلى سيدهما فرعون مصر ، فسخط عليهما وأرسل بهما إلى بيت السجن عند رئيس الشرط ، فى المكان الذى كان يوسف محبوسا فيه ، فأقام رئيس السجن يوسف يخدمهما ، وكانا أياما فى الحبس .

وحلم كل واحد منهما حلما فى ليلة واحدة ، فدخل إليهما يوسف فى الصباح ونظر فإذا هما مغتمان ، فسألهما عن ذلك فقالا حلم كل واحد منا حلما يشبه الآخر ، وليس لنا من يعبره ، فقال يوسف . الله الذى يعبر لكما ، كل واحد حلمه ، قصا على ما رأيتهما .

فقال رئيس السقاة رأيت فيما يرى النائم ، إذا هى كرمة أمامى ، وفى الكرمة ثلاثة قضبان قد أفرخت زهرها ونضجت عناقيدها عنبًا ، وكانت كأس فرعون فى يدي ، فملأت الكأس من عصير العنب وقدمتها إلى يد فرعون .

فقال يوسف . تعبير هذا ، والله أعلم ، أن القضبان الثلاثة ما هى إلا ثلاثة أيام ، بعدها ترفع رأسك ويردك فرعون إلى مقامك عنده ، فتقدم الكأس إلى يد فرعون ، كما كنت قبلا ، وأحب ، إذا صنع لك فرعون خيرا ، أن تذكرنى عنده ، لأنى سرقت من أرض العبرانيين ، وقد وضعت هنا فى هذا السجن ولم أفعل شيئا .

فلما رأى رئيس الخبازين أن يوسف قد عبر عن الرؤيا جيدا ، قال ليوسف : أما أنا فقد رأيت فى النوم أنى أحمل ثلاث سلال حوارى^(٨) ، من جميع طعام فرعون ، والطير تأكله عن رأسى من السلال الأعلى

فقال يوسف . وتعبير هذا ، والله أعلم ، بالغيب ، أن الثلاث السلال هى

ثلاثة أيام ، بعده يقطع فرعون رأسك ويعلقك على خشبة فتأتى الجوارح تنهش من لحمك .

وتصادف فى اليوم الثالث أنه كان يوم ميلاد فرعون ، فصنع وليمة لجميع عبيده ، وأمر بأن يرد رئيس السقاة إلى موضعه ساقيا لفرعون ، وأن يقطع رأس كبير الخبازين ، ويعلق هو على خشبة .

وحدث أن نسى رئيس السقاة أمر يوسف ، أو أنه لم يجد موضعا لذكره عند فرعون ، فبقى يوسف فى السجن .

وكان بعد سنتين من الزمان ، أن فرعون مصر رأى حلما ، كأنه بجوار النهر ، فإذا سبع بقرات سمان تطلع من النهر ، ومن ورائها تخرج سبع بقرات هزال وقفت بإزائها وانقضت على البقرات السمان فأكلتها ، ثم استيقظ فإذا هو حلم .

ونام ثانية فرأى فى نومه سبع سنابل ممثلة فى ساق واحدة حسنة ، المنظر مورقة ، ثم ظهرت من ورائها سبع سنابل رقيقة خاوية قد لفحتها ريح شرقيه ، فابتلعت السنابل الخاوية تلك السنابل الممثلة ، ثم استيقظ فرعون فإذا هو حلم .

وفى الصباح رأى أن نفسه انزعجت من هذه الرؤيا ، فأرسل ودعا جميع الكهنة والحكماء ، وقص عليهم رؤياه ، فلم يكن من يعبرها له .

وهنا تذكر رئيس السقاة أمر يوسف فى السجن ، فكلم رئيس السقاة فرعون قائلاً إنى أذكر اليوم خطأ لى ، فرعون كان قد سخط على عبيده ، أنا ورئيس الخبازين ، فجعلنى وإياه فى حبس بيت رئيس الشرط ، فحلما أنا وهو ، حلما فى ليلة واحدة ، وكان معنا غلام عبرانى عبد لرئيس الشرط ، فقصصنا عليه فعبّر لنا جميعا ، لكل واحد منا بحسب حلمه ، وكما عبّر لنا ، هكذا حدث ، ردنى أنا إلى مقامى وأما هو فعلقه .

فأرسل فرعون فى طلب يوسف ، فأسرعوا به من السجن ، فبدل ثيابه وتهياً ودخل إلى فرعون ، فقال فرعون ليوسف . حلمت حلما ، وليس لى من يعبرة ، وقد سمعت عنك قولاً إنك تسمع الأحلام فتعبرها ، فأجاب يوسف قائلاً ليس لى ، الله يجيب بسلامة فرعون .

فقال فرعون ليوسف . كنت فى حلمى كأنى واقف على شاطئ النهر ، وهذا سبع بقرات تطلع منه سمينة اللحم حسنة الصورة ترتع فى روضة ، ثم هوذا سبع بقرات أخرى تطلع من ورائها مهزولة وقبيحة الصورة جدا رقيقة اللحم ، لم أر فى مصر نظيرا لها فى القبح ، فأكلت هذه البقرات الهزيلة القبيحة تلك البقرات السبع الأولى السمان ، فدخلت أجوافها دون أن يتغير منظرها فى الهزال والقبح ، ثم استيقظت .

ورأيت فى حلمى ثانية ، هوذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحد ممثلة ، ثم هوذا سبع سنابل من ورائها ملفوحة بريح شرقية قد ابتلعت تلك الممثلة ، فقلت للسحرة بما رأيت ، ولم يكن من يخبرنى .

فقال يوسف . حلم فرعون فى المرتين واحد ، وقد أخبر الله فرعون بما هو صانع ، البقرات السبع الحسنة والسنابل السبع الممثلة ، كلاهما سبع سنين ، والبقرات السبع العجاف وكذا السنابل الفارغة الملفوحة ، كلاهما أيضا سبع سنين ، فقد أظهر الله لفرعون ما هو صانع .

هوذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً فى أرض مصر ، ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً ينسى معها كل الشبع ، لأن الجوع يكون شديداً ، فأما تكرار الحلم مرتين ، فذلك لأن الله قرر الأمر من قبل وأنه يسرع بصنعه .

والآن ، فليُنظر فرعون رجلاً بصيراً حكيماً يجعله على أرض مصر ، وليوكل نظاراً على الأرض ، فيجمعون خمس غلة الأرض فى السنين السبع الجيدة القادمة ويخزنونه تحت يد فرعون طعاماً فى المدن يكون ذخيرة للأرض مدة السبع السنين القحط ، فلا تنقرض الأرض بالجوع .

فحسن الكلام فى عيني فرعون فقال لعبيده . هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله ؟ ثم قال فرعون ليوسف . ليس بصير بالأمر وحكيم مثلك ، فأنت تكون على بيتى ، لقد جعلتك قيماً على كل أرض مصر ، وخلع فرعون خاتمة من يده وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص^(٩) ، وضع فى عنقه طوق ذهب وأركبه فى مركبته الثانية ، وقال له : أنا فرعون ، فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله فى كل أرض مصر .

ودعا فرعون اسم يوسف . « صفنات فعنيح »^(١٠) ، وأعطاه « أسنات بنت فوطيفار » كاهن أون^(١١) ، وكان يوسف ابن ثلاثين سنة^(١٢) ، لما

وقف أمام فرعون ملك مصر ، فخرج يوسف من لدن فرعون واجتاز فى كل أرض مصر .

وأثمرت الأرض فى السبع السنين الأولى ، فجمع فيها يوسف طعاما جعله فى المدن التى حول الأرض ، وخزن قمحا بأعداد كثيرة لا تحصى ، وولد يوسف ، قبل أن تأتى سنو الجوع ابنان ، ولدتهما « أسنات » زوجته ، فدعا اسم البكر . « منسى » ، قائلا ، إن الله أنسانى كل تعبى وكل بيت أبى ، ودعا اسم الثانى « أفرایم » قائلا ، جعلنى الله مثمرا فى أرض مذلتى .

ثم ابتدأت سنو الجوع السبع تأتى ، فكان قحط فى كل الأرض ، فى جميع البلدان ، ثم بدأ يشتد فى أرض مصر ، ففتح يوسف مخازن الغلال وجاعت كل الأرض تشتري القمح من مصر .

فلما سمع يعقوب أنه يوجد فى مصر قمح ، قال لبنيه انزلوا إلى مصر واشتروا لنا قمحا ، فنزل عشرة من أخوة يوسف ، أما « بنيامين » أخو يوسف ، الصغير ، فلم يشأ أبوه أن يرسله ، خشية من أن يصيبه أذى ، وكان يوسف هو المتسلط على أرض مصر ، وهو الذى يسمح بالبيع أو يمنع ، فأتى إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض ، ولما رأى يوسف أخوته عرفهم ، فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم : من أين جئتم ؟ فقالوا من أرض كنعان ، جئنا لنشتري قمحا ، وتذكر يوسف الأحلام التى كان قد قصها عليهم فأبغضوه من أجلها ، فقال لهم أرى أنكم جواسيس ، جئتم لتروا عورة الأرض ، فقالوا له لا ياسيدنا ، بل نحن عبيدك أمناء جئنا نشتري طعاما ، ليس عبيدك جواسيس ، نحن اثنا عشر أخا بنو رجل واحد فى أرض كنعان ، أحدنا مفقود ، والصغير عند أبينا فى كنعان ، فقال : لا أرى ذلك بل أنتم جواسيس ، وبهذا سأمتحنكم ، ثم جمعهم ووضعهم فى الحبس ثلاثة أيام

وفى اليوم الثالث قال يوسف لهم : إن كنتم أمناء فليحبس أحدكم ولينطلق الباقي ومعه القمح لمجاعة بيوتكم ، على أن تجيئوا بأخيكم الصغير ، فيتحقق لى كلامكم ولا تموتوا ، فقال بعضهم لبعض . هذا ذنب أخينا ، الذى استترحمنا ولم نشفق به ، هذا دمه يطلب ، ولم يعلموا أن يوسف يعرف لسانهم ، والمترجم واقف بينه وبينهم ، ففعلوا ما أشار به ،

فأخذ منهم « شمعون »^(١٢) ، وقيده أمام عيونهم ، ثم أمر بأن تملأ أوعيتهم قمحا ، وترد فضة كل واحد منهم إلى عدله^(١٤) ، وأن يعطوا زادا للطريق ، ثم تحول عنهم وبكى

فحملوا أوعيتهم على دوابهم وصعدوا إلى أرض كنعان ، فإذا فضة كل واحد منهم في قم وعائه ، فطارت قلوبهم فزعا وارتعدوا ، وأتوا إلى أبيهم فأخبروه بما كان من أمر أخيه شمعون ، وأنه لابد من أن يكون معهم أخوهم الصغير ، إذا عادوا إلى مصر ثانية ، فقال يعقوب بحزن . فقدتم يوسف وشمعون ، وأيضا تريدون بنيامين ! إنكم سوف تنزلون شيبتي إلى الهاوية .

وكان الجوع شديدا في الأرض ، فلما فرغ القمح الذي أتوا به من مصر ، قال لهم يعقوب ارجعوا اشترُوا لنا قليلا من الطعام ، فكلمه « يهوذا »^(١٥) قائلا إن الرجل قيد شمعون أمامنا وأشهد علينا ألا نرجع إلى مصر بغير أن يكون معنا أخونا الصغير ، لأنه ظن أننا جواسيس ، وقال بهذا أمتحنكم ، وكلمه راؤبين^(١٦) قائلا سلمه بيدي وأنا أردته إليك أو أقتل ولدي إن أصابه سوء ، فقال يعقوب : لماذا أسأتم إلى بقولكم إن لكم أخا أصغرا ! ، فقالوا : إن الرجل سأل عنا وعن عشيرتنا وأبينا وإخوتنا فأخبرناه دون أن نعلم ، ثم استعطفوا آباهم أن ينزلوا إلى مصر وضمنوا له جميعا أن يعودوا ومعهم شمعون وبنيامين^(١٧) ، فقال لهم أبوهم : إن كان هكذا فافعلوا ، خذوا معكم من أفخر جنى الأرض هنا هدية للرجل في أوعيتكم ، والفضة التي وجدتموها ردوها إليه .

فأخذ الرجال الهدايا والفضة في أوعيتهم ونزلوا إلى مصر ، ووقفوا أمام يوسف ، فلما رأى يوسف أخاه « بنيامين » معهم ، أمر بأن يؤخذ الرجال إلى بيته ، وأن تصنع لهم وليمة غداء ، فأدخلوا جميعا إلى بيت يوسف ، فخافوا وظنوا أنه بسبب الفضة التي وجدت في أعدالهم ، فسألوا الرجل القائم على بيت يوسف ، فقال لهم : « لا تخافوا ، الفضة وصلت إلي ، وأخرج لهم « شمعون » أخاهم ، وأعطاهم ماء ليغسلوا أرجلهم » .

فلما جاء يوسف إلى البيت أحضروا إليه الهدية التي في أيديهم وسجدوا له إلى الأرض ، فسأل عن سلامتهم وقال . أبوكم الشيخ ، الذي قلتُم عنه ، أهو حي بعد ؟ قالوا : نعم ، وسجدوا له ، فرفع عينيه ونظر إلى

بنيامين ، أخيه من أمه ، وقال أهذا أخوكم الصغير ؟ ، فقالوا . نعم ، فلم يتمالك يوسف نفسه ، لأن أحشاه حنت إلى أخيه ، فانتحى مكانا يبكي فيه .

ثم تجلد يوسف وغسل وجهه وخرج ، وقال قدموا طعاما ، فقدموا له وحده ، وقدموا لهم وحدهم ، ثم للمصريين الذين مع يوسف وحدهم ، لأن المصريين لا يأكلون مع العبرانيين ، فهو رجس عندهم ، ثم رتب إخوة يوسف أنفسهم أمامه بحسب بكورياتهم وأعمارهم ، ورفع يوسف من أمامه إليهم ، فكانت حصّة « بنيامين » خمسة أمثال حصصهم جميعا .

ثم أمر يوسف القائم على بيته أن يملأ أعدال الرجال قمحا ، وأن يضع فضة كل واحد منهم في قم عدله ، وقال . ضع طاسي الفضة في قم عدل الصغير ، مع ثمن قمحه ، ففعل بحسب كلام يوسف ، ثم انصرف الرجال على دوابهم في الصباح ، فلما خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا ، أرسل يوسف في إثرهم من يقول لهم . لماذا جازيتم شرا ! أين طاس^(١٨) سيدي الذي أخذتموه ؟ فقالوا . لماذا يتكلم سيدي بمثل هذا ، حاشا لنا أن نفعل مثل هذا الأمر ، هوذا الفضة ، التي وجدناها في أفواه أعدالنا ، رددناها إليك من كنعان ، فكيف نسرق من بيت سيدك فضة ، أو ذهباً ؟ ، الذي يوجد معه طاس سيدك يموت ، ونحن أيضا عبيد له ، وأنزل كل واحد عدله ، وفتحوا فوجد الطاس في عدل « بنيامين » ، فمزقوا ثيابهم وحمل كل واحد منهم ورجعوا إلى المدينة .

فدخلوا إلى يوسف ، وتقدم « يهوذا » وقال له .

لا يغضب سيدي ، نحن جميعا عبيدك ، لأنك مثل فرعون ، نزلنا إلى مصر ، فسأل سيدي عبيده قائلا . هل لكم أب أو أخ ، فقلنا . لنا أب شيخ ، وابن شيخوخته صغير ، مات أخوه وبقي وحده لأبيه الذي يحبه ، فقلت لعبيدك . انزلوا به فاجعل نظري إليه ، فقلنا : لا يقدر الغلام أن يترك أباه ، فقلت لعبيدك : لا تعودوا تنظرون وجهي إن لم ينزل معكم ، فكان لما صعدنا إلى كنعان ، إلى عبدك أبينا ، أخبرناه بكلام سيدي ، فقال انتم تعلمون أن امرأتى ولدت لي في شيخوختي ولدين ، خرج أولهما ولم يعد ، وقيل . إن ذئبا افترسه ، فإذا أخذتم هذا الثاني وأصابه أذى ، فإنكم تنزلون شيبتي بشر إلى الهاوية ، وقد ضمنا له أن يعود الغلام ، فإذا صعدنا إلى

كنعان بدونه ، فكأننا نسرع بموته حزنا ، والآن فليمكث أحدنا عبدا لسيدي
ويصعد الغلام مع أخوته لأبيه

فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده ،
فصرخ . أن اخرجوا كل إنسان عني ، فلم يقف أحد عنده حين عرف
يوسف أخوته بنفسه ، وأطلق صوته بالبكاء ، فسمع المصريون وسمع بيت
فرعون ، وقال يوسف لإخوته أنا يوسف ، أحي ، أبي بعد ؟ فارتاعوا منه
ولم يستطع إخوته أن يجيبوه ، فقال لهم أنا يوسف ، أخوكم الذي
ألقيتموه في البئر ويعتموه إلى مصر^١ والآن لا تتأسفوا ، لأنه لاستبقاء
حياة أرسلني الله أمامكم ، ليجعل لكم بقية في الأرض ، وقد جعلني فرعون
سيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر ، والآن تسرعوا إلى أبي لينزل
إلي ، لأن سني الجوع باقية بعد

وسمع الخبر في بيت فرعون ، وقيل . جاء إخوة يوسف ، فحسن ذلك في
عيني فرعون فقال ليوسف . قل لآخوتك افعلوا هذا

« حملوا دوابكم وانطلقوا إلى أرض كنعان ، وعودوا ومعكم أبوكم
وبيوتكم ، وتعالوا إلي فأعطيكم من خيرات مصر ، وتأكلوا دسم الأرض »
فها أنت قد أمرت ، وخذ لهم من مصر عجلات^(١٩) لهم ولأولادهم ونسائهم
ليحملوا أباهم إلى مصر ، ولاتحزن عيونهم

ففعل بنو إسرائيل ذلك ، وأعطاهم يوسف عجلات وزادا للطريق وحلة
ثياب لكل منهم ، وأعطى « بنيامين » ثلاثمائة من الفضة^(٢٠) ، وخمس حلل
ثياب ، وأرسل إلى أبيه كثيرا من خيرات مصر ، ثم صرف إخوته وأوصاهم
ألا يتغاضبوا في الطريق .

فصعدوا إلى أرض كنعان ، إلى يعقوب أبيهم ، وأخبروه قائلين إن
يوسف حي بعد ، وهو متسلط على أرض مصر بأمر فرعون ، فجمد قلبه لأنه
لم يصدقهم ، ثم كلموه بكلام يوسف الذي تكلم به ، فلما أبصر العجلات
التي أرسلها يوسف ، لتحمله وأهل بيته ، انتعشت روحه ، وقال . كفى أن
يوسف حي بعد ، أذهب وأراه قبل أن أموت .

(دخول بني إسرائيل)

بنو إسرائيل هم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، وهم

الأسباط الاثنا عشر ، أصغرهم يوسف وأخوه بنيامين ، فأما يوسف فقد باعه اخوته إلى قافلة من الاسماعيليين والتجار ، وهم في طريقهم إلى مصر ، تم بـاعه هؤلاء إلى رئيس شرط فرعون سنة ١٦٩٩ ق . م ، ولم يتجاوز يوسف إذ ذاك السابعة عشرة من عمره ، فأما الياقون فقد نزلوا مع أبيهم وعائلاتهم ومقتنياتهم إلى مصر ، سنة ١٦٧٨ ق . م ، حيث كان يوسف أميناً لمخازن فرعون مصر (ايبي Epipt - أبوفيس الأول) ، رابع الملوك الهكسوس^(٢١) .

وفي التوراة^(٢٢)

فارتحل إسرائيل وبنوه ، وكل ما كان له ، وأتى إلى بئر سبع^(٢٣) ، وذبح محرقة لإله أبيه اسحاق ، فكلم الله إسرائيل في رؤيا الليل وقال له : لا تخف من النزول إلى مصر ، أنا أنزل معك ويضع يوسف يده على عينيك ، وأنا أصعدك أيضا

وحمل بنو إسرائيل ، أباهم والأولاد والنساء في العجلات التي أمر بها فرعون مصر ، وأخذوا مواشيهم ومقتناهم ، الذي كان لهم في كنعان ونزلوا إلى أرض مصر ، وكانت عدتهم جميعا سبعين نفسا ، وهم : يعقوب ونسأؤه ، وبنوه ونسأؤهم وبنو بنيه الذين كانوا معه في كنعان .

وكان يعقوب قد أرسل يتلمس الطريق إلى جاسان^(٢٤) ، فلما جاءوا شد يوسف على مركبته وصعد لاستقبال أبيه ، فلما ظهر وقع على عنقه وبكى طويلا ، فقال يعقوب ليوسف ابنه : الآن أموت بعد أن أراني الله وجهك .

ثم عاد يوسف ليخبر فرعون ، فأخذ معه خمسة من إخوته وقال لهم : إذا دعاكم فرعون وسأل عن صناعتكم أن تقولوا : عبيدك رعاة غنم ومواش منذ صبا ، حتى تسكنوا قريبا مني في أرض جاسان ، لأن كل راعي غنم رجس للمصريين .

فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال : أبى وأخوتي قد جاءوا من أرض كنعان ، ومعهم أغنامهم وأبقارهم وكل ما لهم ، وها هم في أرض جاسان ، فسأل فرعون أخوة يوسف عن صناعتهم ، فقالوا : عبيدك رعاة غنم نحن وأباؤنا ، جئنا نتغرب في الأرض ، لأن الجوع شديد في كنعان ، فكلم فرعون يوسف قائلاً : أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر أمامك ،

أسكنهم فى أفضل الأرض ، أسكن أباك واخوتك أرض جاسان ، وأن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء رعاة على الذين لى

ثم أدخل يوسف أباه وأوقفه أمام فرعون ، وبارك يعقوب فرعون ودعا له ، فقال له فرعون : كم هى سنو حياتك ، فقال يعقوب : أيام غربتى مائة وثلاثون سنة ، قليلة هى ورديئة ، وبارك يعقوب فرعون وخرج

فأسكن يوسف أباه واخوته وأعطاهم ملكا فى أفضل أرض مصر ، فى أرض « رع مسيس »^(٢٥) ، كما أمر فرعون .

واشتد أمر الجوع بعد ذلك فى الأرض ، فجمع يوسف كل الفضة التى فى مصر وكنعان ثمنا للقمح الذى باعه لهم ، وجاء بالفضة إلى بيت فرعون .

ثم لما زاد القحط فى مصر قدم الناس ما لهم ومواشيهم إلى فرعون فاقبضوا بأثمانها ، وفى السنين الباقية كان يوسف قد اشترى الأرض جميعا من أصحابها وصارت ملكا لفرعون ، عدا أملاك الكهنة فى أرض مصر ، فصار الناس عملة لفرعون ، يبذرون الأرض ويزرعونها ، على أن يكون لفرعون خمس غلة الأرض ، وقد صار هذا نظاما جاريا فى الزراعة بعد ذلك يعمل به .

(وفاة يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم)

وفى التوراة^(٢٦) ، قوله :

« وحدث بعد هذه الأمور أنه قيل ليوسف . أبوك مريض ، فأخذ مع إبنيه « منسى وأفرايم » وصعد إلى أبيه ، فرأى إسرائيل^(٢٧) ولدى يوسف وباركهما ، ثم دعا بنيه جميعا وباركهم ، كل واحد ببركته التى نطق بها أبوه ، ثم قال ليوسف : إن كنت وجدت نعمة فى عينيك ، أن تصنع لى أمانة ومعروفا ، وذلك ألا تدفنتى فى مصر ، بل أضطجع مع آبائى ، فى المكان الذى دفن فيه إبراهيم وإسحاق ، فحلف له يوسف أن يدفنه هناك .

وكان لما فرغ يعقوب من بركة بنيه وتوصيته لهم أن يدفنوه فى أرض كنعان ، أن ضم رجله وأسلم الروح ، وكانت وفاة يعقوب حوالى سنة ١٦٦٢ ق . م ، بعد أن عاش مائة وسبعا وأربعين سنة .

فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى وقبله ، وأمر يوسف عبيد فرعون ، من الأطباء أن يحنطوا أباه ، فحنطوه وكملت له أربعون يوما ، ثم وضع في تابوت ، وناح عليه المصريون سبعين يوما .

ثم كلم يوسف بيت فرعون قائلاً : إن كنت قد وجدت نعمة في أعينكم ، أن تبلغوا مسامع فرعون بأن أبى استحلفنى قبل وفاته ، أن يدفن في قبر أبيه ، في أرض كنعان ، فقال فرعون ليوسف : أصعد وإدفن أباك كما إستحلفك .

فصعد يوسف ليدفن أباه ، وصعد معه -عبيد فرعون- وشيوخ بيته ، ووجوه القوم في أرض مصر ، وكل بيت يوسف وإخوته ، عدا النساء والأولاد ، وصعدت معهم مركبات ، وفرسان من الجيش ، فأتوا إلى « بيدر إطار »^(٢٨) ، الذى فى عبر الأردن ، وناحوا هناك نوحا شديدا ، وصنع يوسف لأبيه منحة سبعة أيام ، لذلك دعى المكان : « آيل مصرايم » أى منحة المصريين .

ثم رجع يوسف إلى مصر ، هو وإخوته ، وجميع الذين صعدوا معه لدفن أبيه ، فلما رأى إخوة يوسف أن أباهم قد مات أوجسوا خيفة من يوسف أن يضطهدهم ، فقال لهم لا تخافوا ، أنتم أردتم بى شرا والله أراد بنا جميعا خيرا ، وطمأنهم وطيب قلوبهم وتولى أمرهم فى حياته .

(وفاة يوسف بن يعقوب)

توفى يوسف الصديق سنة ١٦٠٦ ق . م ، قبل طرد الهكسوس من حصن « أفاريس » بحوالى أربعين سنة ، فى أواخر حكم الملك (خيان Khayan) ، الذى يسميه العرب : (الريان بن الوليد) ١٦٤٦ / ١٦٠٦ ق . م ، خامس الملوك الهكسوس العظام

وفى التوراة^(٢٩) .

وسكن يوسف فى مصر ، هو وبيت أبيه-، وعاش حتى رأى الجيل الثالث لولديه ، ولما قارب الوفاة استحلف إخوته قائلاً . تصعدون عظامى من هنا إلى قبر آبائى هناك فى كنعان ، فخلقوا له ، ومات يوسف وله من العمر مائة وعشر سنين ، فحنطوه فى مصر ووضعوه فى تابوت^(٣٠)

التاريخ الميلادى	التاريخ العبرى	التاريخ يقينية فى التوراة	اسماء الاعلام
ق م	عبرية	ق م	
١٧٣٢	٢٠٢٨	١٧٤٩	ميلاد لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
١٧١٦	٢٠٤٤	١٧٤٥	ميلاد يوسف الصديق بن يعقوب بن اسحاق
١٦٩٩	٢٠٦١	١٧٢٩	نزول يوسف إلى مصر ، فى عهد الهكسوس
١٦٩٦	٢٠٦٤		وفاة اسحاق بن ابراهيم الخليل
١٦٨٦	٢٠٧٤	١٧١٥	وقوف يوسف امام فرعون مصر
١٦٨١	٢٠٧٩		ميلاد قاهات بن لاوى بن يعقوب
١٦٧٨	٢٠٩٢	١٧٠٦	نزول بني اسرائيل (يعقوب) إلى مصر
١٦٦٢	٢٠٩٨		وفاة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
١٦١١	٢١٤٩		ميلاد عمram بن قاهات بن لاوى بن يعقوب
١٦٠٦	٢١٥٤	١٦٣٥	وفاة يوسف الصديق

(١) سفر التكوين ص ٢٧ - ٤٦

- (٢) « شكيم » بلدة قديمة ، كانت بحوار نابلس الآن
- (٣) « دوتان » إلى الشمال من « نابلس » فى طريق الناصرة
- (٤) قوله : من « الاسماعيليين » نسبة إلى نبي اسماعيل بن ابراهيم ممن كانوا يقطنون أرض الحجاز
- (٥) « جلعاد » . بلدة قديمة شرقى نهر الأردن ، بحوار أربد ، على الطريق إلى بلاد العرب .
- (٦) « المديانيون » نسبة إلى مديان بن ابراهيم الخليل ، من زوجته قطورة ، فى بلاد الحجاز .
- (٧) بالأصل « فوطيفار خصى فرعون ، رئيس الشرط » .
وفى كتاب (العقد التمين) - لأحمد كمال ص ٧٦ « فباعه رئيس السيارة إلى وزير مصر ، (فطفير) ، ويسمى بالقلم الربائى : « بدو فرع » أى هدية الشمس

(٨) « الحوارى » خبز خاص محلى بالسكر ، يصنع من الدقيق النقى ، يحتص بالملوك والأمراء

(٩) « تياب بوص » ضرب من اللباس الملون المشعول المزركش ، وهو من الكتان النقى ، ويبدو أن اللفظ أعجمى ، ليس بعربى وفيه عجمة ، وفى الفارسية . بوش . صنف من الدروع أو اللباس أو النقاب ، غير أن الاسم ربما كان مسوباً لأعواد رقيقة ورقية ، تؤخذ من الغاب والبردى تم تلون ويزخرف بها بعض التياب .

(١٠) « صفنات فعبيح » لفظ مصرى قديم ، تفسيره ، كما جاء فى هامش التوراة بإزائه ، يعنى « المخلص » ، أى الذى ببه مصر إلى قدوم سسى القحط ، حنى ، تتجاورها بتخزين الغلال

(١١) « أون » أقدم عاصمة مصرية ، قيل إنها ترجع إلى ما قبل تاريخ الأسرات ، وأطلالها باقية الى الآن شرقى القاهرة فى منطقة المطرية ، وتعرف باسم (عين شمس) ، وباليونانية « هليوبوليس Hiliopolis » - وكهنتها فى جميع العهود التى مرت بها على مصر كانوا يتمتعون باحترام الجميع .

(١٢) قوله « وكان يوسف ابن ثلاثين سنة ... » يعنى أن ذلك أنما حدث حوالى سنة ١٦٨٧ - ١٦٨٦ ق . م ، وهو الوقت الذى قسرفيه يوسف حلم فرعون مصر ، (ببى - أبوفيس الأول) ١٦٨٨ / ١٦٤٧ ق م

(١٣) « شمعون » تانى أولاد يعقوب من زوجته ليئة بنت لابان
(١٤) « العذل » (بالكسر) ، بمعنى المثل ، وهو أيضا « الجمل » (بالكسر) أيضا ، أحد جنبى الرجل على البعير ، أو الدابة ، ليكونا متساويين فى الوزن فلا يميل أحدهما ثقلا أثناء السير

(١٥) « يهوذا » هو الابن الرابع ليعقوب ، أصغر اخوته من أمهم ليئة
(١٦) « راؤبين » الابن الأكبر ليعقوب ، وهو أول الأسباط الاتنى عشر
(١٧) « بنيامين » أصغر أولاد يعقوب جميعا ، أخو يوسف - (انظر الفصل الحادى عشر)

(١٨) « الطاس » هو الكأس ، المشغول من الفضة أو الذهب ، كلاهما يعد للشرب

(١٩) « عجلات » يعنى عربات للنقل تجرها الخيل .
(٢٠) « الفضة » وحدة لعملة مصرية قديمة كانت تساوى ١ / ٤ ربع المليم فى وقتنا هذا ، وبعضها كان لايرال مستعملا إلى أوائل القرن العشرين للميلاد ، وأقلها إذ ذاك ، « العشرة فضة » وهى مليمان ونصف ، وكان نصف القرش الآن يسمى . « العشرين فضة » ، وكانت هنالك عملة بمائة فضة ، وهى قرشان ونصف القرش بدأت العملة المعهودة فى زماننا ، هذا إذا لم يكن لوحدة تلك العملة عند المصريين القدماء إذ ذاك تقدير آخر غير ذلك .

(٢١) انظر « الفصل الثانى عشر »
(٢٢) « سفر التكوين - ص ٤٦ »
(٢٣) بئر سبع بئر كان إبراهيم الخليل احتقرها لنفسه ، وأهدى ابيمالك ، ملك جرار سبع نعاج ، ليذكر أنها تخص إبراهيم ، فلا يدع عبده يغتصبونها ، وهى الآن مدينة كبيرة فى أرض فلسطين ، إلى الجنوب الشرقى من غزة - (انظر سفر التكوين ص ٢١)

(٢٤) جاسان . يعنى أرض صان الحجر ، شرقى الدلتا ، وكانت الأرض إذ ذاك من أصلح أراضى مصر لرعى الأغنام والمواشى .

(٢٥) « رع مسيس » لفظ مصرى قديم يعنى أبناء الإله « رع » ، وهو الشمس .

(٢٦) انظر « سفر التكوين » ص٤٥ /
(٢٧) « اسرائيل » هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل

(٢٨) بيدر إطار اسم مكان فسيح ، مما كان معدا لتجميع العلال لدرسها ، تشبيها بما يسمى الأحران ، جمع جرن باللغة العامية ، بالعربية ولفظ « اطار » اما أنه اسم البيدر أو وصف له ، من جهة أنه دائرى الشكل أو محدود الأطراف

(٢٩) انظر (سفر التكوين - ص٥٠ /
(٣٠) سفر الخروج - ص١٣ / ١٧ - قال
« إن فرعون لما أطلق بنى إسرائيل وخرجوا من مصر ، أخذ موسى عظام يوسف معه ، لأنه كان قد استحف بنى اسرائيل حلعا ، قائلا ان الله سيفتدكم فتخرجون عظامى من هنا معكم »
ويجدر بنا هنا أن نذكر أن ما بين وفاة يوسف الى خروج بنى إسرائيل بقيادة موسى النبى ١٢٨ سنة - وهناك ادعاء بأن تابوت يوسف لا يزال بمصر ولسنا من هذا على معرفة بالأمر أكثر مما تقدم

الباب الخامس

خروج بنى إسرائيل بقيادة موسى النبى

- الأسرات الفرعونية فى عهد الدولة الحديثة
- موسى النبى وخروج بنى إسرائيل من مصر
- أقاويل المؤرخين فى الخروج

الفصل الرابع عشر :

الأسرات الفرعونية فى عهد الدولة الحديثة

يبدأ تاريخ مصر القديم ، فى الدولة الحديثة منه ، ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الحكم الفرعونى فى الأسرة الثلاثين .

ويمكن قسمة هذا العهد إلى قسمين :

الأول : من الأسرة الثامنة عشرة إلى آخر حكم الرعامسة فى نهاية الأسرة العشرين .

والثانى : يبدأ من الأسرة الحادية والعشرين إلى نهاية الأسرة الثلاثين .

ونحن سنتناول بالتفصيل ، ما هو من الأسرات ذات علاقة مباشرة فى أحداث تتصل بموضوع كتابنا هذا :

١ - العهد الحديث الأول :

ويشتمل على حكم الأسرات من الثامنة عشرة حتى آخر الأسرة العشرين ، وقد قضت جميعا فى الحكم ٤٩٥ سنة ، تبدأ من سنة ١٥٧٣ إلى سنة ١٠٧٨ ق . م ، وكان مركزها جميعا مدينة « طيبة » .

وهذا المقدار ، كما فى المراجع القديمة من « مانيتون » ومن نقل عنه ٥٩٣ سنة تقريبا ، تفصيل ذلك :

(الأسرة الثامنة عشرة) : ٢٦٨ سنة وفى المراجع القديمة ٢٤١ سنة .

وفى أوائل هذه الأسرة كانت أحداث هامة تتصل مباشرة بموضوع هذا الكتاب ومنها :

أن الهكسوس طردوا من قلعة « أفاريس » سنة ١٥٦٨ ق . م ، فى السنة الخامسة من حكم « أحمس الأول » ، وظل يطاردهم حتى دخلوا فلسطين .

وأن موسى النبى ولد سنة ١٥٤٨ ق . م ، فى أول حكم الملك « أمينوفيس الأول » وانتشل من السفط تحت رقابة أخته مريم بنت عمرا^(١) .

وأن خروج بنى إسرائيل كان فى نهاية حكم الملكة « حتشبسوت » سنة ١٤٦٨ ق . م ، بقيادة موسى النبى حيث كان له من العمر ثمانون سنة ، والأشبه ان صح هذا ، أنها ماتت غرقا عندما لاحقتهم مع الجيش فى أطراف بحيرة المنزلة ، أو أنها حمت بسبب ذلك ودفنها تحتمس الثالث سرا ، لاغتصابها الملك منه .

وفيما يلى تواريخ هذه الأسرة ، وملوكها أربعة عشر ، من طيبة :

أسماء الملوك				
اسم الملك	شهر	سنة	ق . م	
احس الأول	٤	٢٥	١٥٧٣ / ١٥٤٨	احوزيس
أمينوفيس الأول	٧	٢١	١٥٤٨ / ١٥٢٦	المنخب الأول
تحتمس الأول	٩	٢٦	١٥٢٦ / ١٤٩٩	تخوتموزيس الأول
تحتمس الثانى	..	١٣	١٤٩٩ / ١٤٨٦	تخوتموزيس الثانى
حتشبسوت	-	١٨	١٤٨٦ / ١٤٦٨	حتشبسوت
تحتمس الثالث	..	٣٦	١٤٦٨ / ١٤٣٢	تخوتموزيس الثالث
امينوفيس الثانى	..	٢٥	١٤٣٢ / ١٤٠٧	المنخب الثانى
تحتمس الرابع	..	٨	١٤٠٧ / ١٣٩٩	تخوتموزيس الرابع
امينوفيس الثالث	..	٢٨	١٣٩٩ / ١٣٧١	المنخب الثالث
امينوفيس الرابع	} اخذ اتون	-	٢١	نفروخبروع
				المنخب الرابع

٢	١٣٥٠/١٣٤٧	-	عنخ خبرودع	سمنخ كا رع
١١	١٣٤٧/١٣٣٦	-	تب خبرو رع	توت عنخ آمون
٤	١٣٣٦/١٣٣٢	-	خبر خبرو رع	أبي
٢٧	١٣٣٢/١٣٠٥	-	أوسر خبرو رع	حور محب
		شهر ٨ و ٢٦٧ سنة		

ويبين من ذلك أن تاريخ طرد الهكسوس من مصر سنة ١٥٦٨ ق . م في السنة الخامسة من حكم « أحمس الأول » كان سابقا لخروج بني إسرائيل في آخر حكم الملكة « حتشبسوت » سنة ١٤٦٨ ق . م بمائة سنة ، وهذا يخالف الظن الذي يجمع بين أولئك وبين هؤلاء^(٢) ، الذين كانت متاعبهم قد بدأت في مصر منذ ذلك الحين ، عقب طرد الهكسوس .

وكذلك فإن خروج بني إسرائيل في نهاية حكم الملكة « حتشبسوت » ، قد يؤيد ما جاء في « التوراة » عن قصة غرق فرعون ، وجنوده^(٣) عند مطاردته لبني إسرائيل عند أطراف بحيرة المنزلة ، بقصد إعادتهم إلى المدينة .

(الأسرة التاسعة عشرة) : ١١٠ سنوات وفي المراجع القديمة ١٧٦ سنة .

ومركزها « طيبة » وأشهر ملوكها سبعة ، وهم :

سنو الحكم	ق . م	رغمسو	من مجئي رع	رعسيس الأول
٠٣	١٣٠٥ ١٣٠٢	رعحمسو	من مجئي رع	رعسيس الأول
١٤	١٣٠٢ ١٢٨٨	مرن بتاح	من ما رع	سيتي الأول
٦٦	١٢٨٨ ١٢٢٢	ميامون رغمسو	اوسر ماستين رع	رعسيس الثاني
١٤	١٢٢٢ ١٢١٠	منفيس (منفتاح)	بانرع ميامون	مرنبتاح
٠٦	١٢١٠ ١٢٠٤	ثيتوس الثاني	رع أوسر خبرو	سيتي الثاني
٠٢	١٢٠٤ ١٢٠٢	حق اون	منزع رع استين	أمنس
٠٧	١٢٠٢ ١١٩٥	خون رع استين	سبتاح وزوجته تاوسر	
١١٠ سنة				

وأهم الأحداث التى يمكن أن نشير إليها هنا ، فى عهد هذه الأسرة : أن الملك « سيتى الأول » ، فى السنة الأولى من حكمه سنة ١٣٠٢ ق . م ، هاجم البدو الفارين من كنعان إلى « بيتوم » فى الشمال الشرقى من الدلتا^(٤) ، بعد خروج بنى إسرائيل ، وطاردهم وأرجعهم إلى بلادهم ، ثم توغل فى السنة الثانية شمالا حتى استولى على قلعة « قادش » ، على نهر العاصى ، فى لبنان ، بجوار مدينة حمص ، ثم وضع على استحكاماتها جنودا من المصريين .

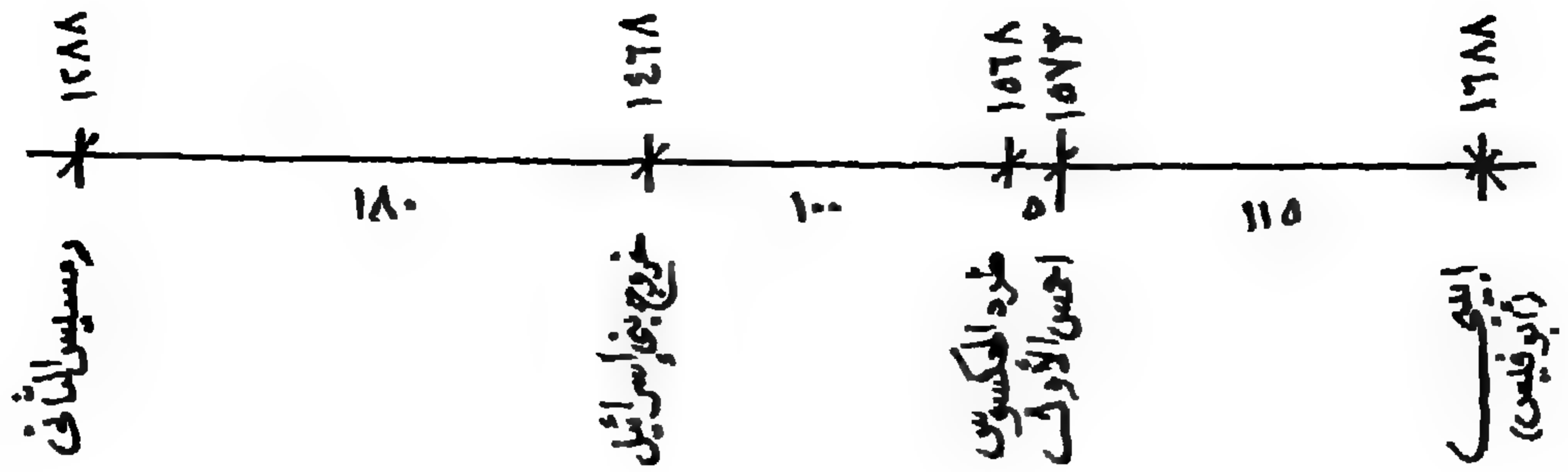
وأن الملك « رمسيس الثانى » استولى على قلعة « أورشاليم » فى السنة الثامنة من حكمه ، سنة ١٢٨٠ ق . م ، وعند عودته استولى على مدينة « عسقلان » ، جنوبى « مجدل » على بحر الروم سنة ١٢٧٨ ق . م .

ومن آثاره ، اللوحة التاريخية ، التى تعرف باسم لوحة الأربعمئة سنة ، التى تربط بين إنشاء معبد الإله « سوتخ Sotekh » ، الذى أقامه ملك الهكسوس (اببى - أبوفيس الأول) ، فى أول حكمه سنة ١٦٨٨ ق . م ، بمدينة صان الحجر ، وبين السنة الأولى من حكم « رمسيس الثانى » .

وهذه اللوحة تقول^(٥) :

« السنة الأربعمئة ، فى الشهر الرابع ، من فصل الصيف ، فى اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين البحرى والقبلى (ست Sotekh) ، عظيم القوة ابن الشمس (نبتى) المحبوب من (رع حور اختى) الذى سيبقى مخلدا ، حضر الأمير الوراثى - والمشرف على العاصمة ، والوزير ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ورئيس الرماة ، والمشرف على البلاد الأجنبية ، والمشرف على حصن « شارو »^(٦) ، ورئيس المازوى ، والكاتب الملكى ، والمشرف على الخيالة ، ومدير عيد كبش « منديس » ، والكاهن الأول للإله (ست) ، والمرتل للإلهة « بوتو » فاتحة الأرضين ، والمشرف على كهنة الإلهة (ستير)^(٧) - لقد حضر الأمير الوراثى « رعمسيس » المرحوم ، الذى وضعت ربة البيت المغنية (تيا) المرحومة ، ليقول :

الحمد لك يا ست ، يابن « نوت » يا صاحب القوة العظيمة فى سفينة الملايين ، والذى طرح الثعبان المعادى لرع أرضا ، والذى على رأس سفينة (رع) ، ومن صوته عظيم فى الحرب ، لبتك تمنحنى حياة جميلة لأجل أن أخدمك ولأجل أن أبقى فى حظوتك .



وهنا نرى أنه من المناسب أن نذكر بأن (رعمسيس الأول) هو أول من تسمى من ملوك مصر بهذا الاسم ، والأشبه أنه كان ينتمى بالدم والعصبية إلى أصل سوري شمالي ، لجنس من البدو الرعاة الذين غزو مصر في منتصف القرن السابع عشر ق م ، وذلك عن طريق زوجات الملك « أمنوفيس الثالث » ثم الرابع .

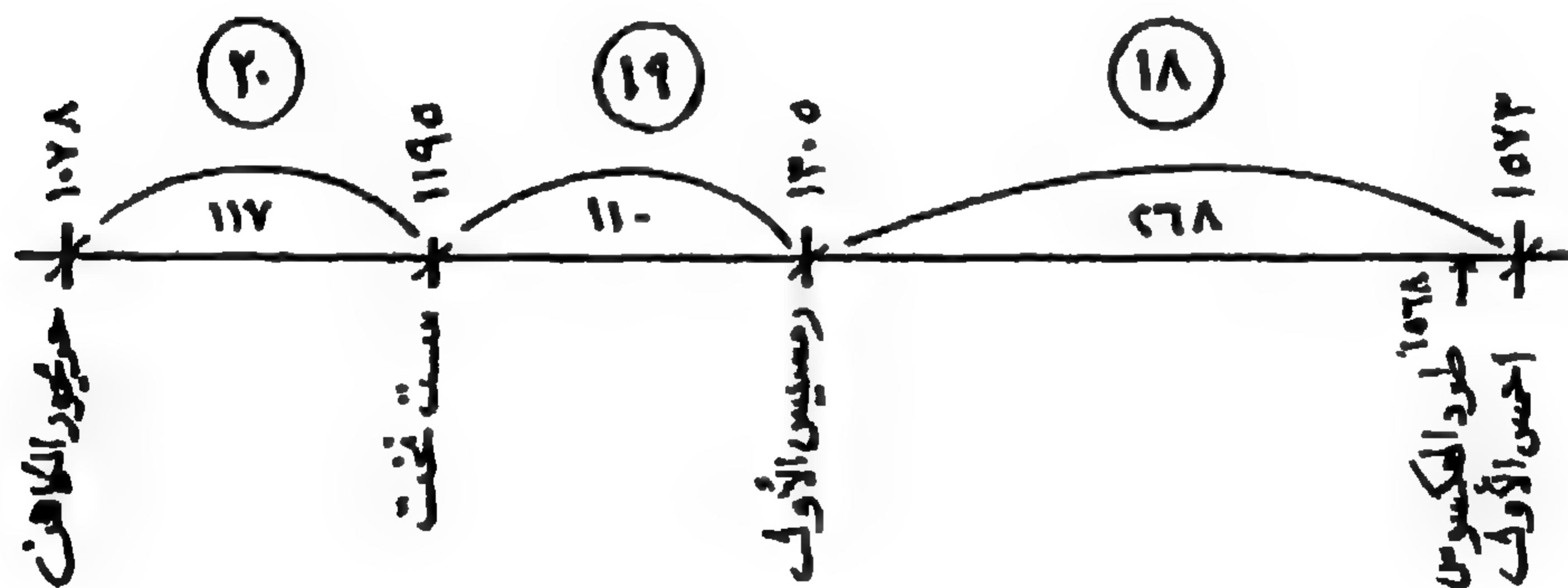
وملوك الأسرة التاسعة عشرة ، أكثرهم بتلك التسمية ، ويبدو أنه كانت لذلك في صدورهم ذكرى تاريخية ، قد اكتسبوها بالتلقين منذ الصغر ، وقد وضحت تماما في عهد الملك « رعمسيس الثاني » فقد أعاد بناء قلعة أواريس وسماها باسمه ، وهي غير « بي رمسيس » إحدى مدينتي المخازن ، اللتين بناهما الرعاة الأسرى وبنو إسرائيل بالتسخير^(٨) ، عقب طرد الهكسوس ، في أوائل حكم « أحمس الأول » .

والذي نعنيه من هذا القول ، أن يكون مقدمة لتصحيح ما أرتأه بعض المؤرخين قديما ، من أن خروج بني إسرائيل من مصر إنما كان في عهد الملك « رعمسيس الثاني »^(٩) ، قياسا إلى الظن بأنه أول من أقام المدينة باسمه وجعلها مقرا لمعبد الإله آمون ، وليس كذلك .

(الأسرة العشرون) ١١٨ سنة وفي المراجع القديمة ١٧٨ سنة .

ومركزها « طيبة » ، وملوكها اثنا عشر ، وهم :

١١٩٣ / ١١٩٥	٠٢	رع أوسر جعو ميامون	ست نخت
١١٦١ / ١١٩٣	٣٢	رع أوسر ميامون	رمسيس الثالث
١١٥٥ / ١١٦١	٠٦	رع أوسر ما استبن لين	رمسيس الرابع
١١٥١ / ١١٥٥	٠٤	رع أوسر ميامون - رع أوسر	رمسيس الخامس
١١٤٦ / ١١٥١	٠٥	رع نب ميامون	رمسيس السادس
١١٣١ / ١١٤٦	١٥	رع أوسر ميامون	رمسيس السابع
		ست جعو يشف - رع أوسر ماخون	رمسيس الثامن
		سي بتاح - سخ عن رع ميامون	رمسيس التاسع
١١١٣ / ١١٣١	١٨	نفر كا رع ميامون	رمسيس العاشر
١٠٨١ / ١١١٣	٣٢	رع أوسر ما استبن	رمسيس الحادي عشر
١٠٧٨ / ١٠٨١	٣	رع ما استبن بتاح	رمسيس الثاني عشر
١٠٧٨ (حربور الكاهن)	رمسيس الثالث عشر



٢ - العهد الحديث الثاني

ويشتمل على الأسرات المتأخرة ، ابتداء من الأسرة الحادية والعشرين إلى نهاية الأسرة الثلاثين ، التي هي آخر الحكم الفرعوني في مصر ، وجملة سني الحكم في ذلك ٧٣٧ سنة تبدأ من سنة ١٠٧٨ إلى سنة ٣٤١ ق . م ، في عدة مراكز ، مفصلة فيما يلي :

(الأسرة الحادية والعشرون)

ولها فرعان ، أحدهما مركزه في « طيبة » ، وكان ملوكه من الكهنة رجال الدين ، أولهم « حريحور » الكاهن الذي اغتصب الملك من « رمسيس الثالث عشر » سنة ١٠٧٨ ق . م .

والآخر في مدينة (صان الحجر - ثانيس) ، وقد كانت السلطة على الأكثر في ملوك هذه الأسرة ، في الشمال ، وأولهم « سمندس » غير أن النهاية كانت واحدة لكليهما باستيلاء « شاشانق الأول » على الملك سنة ٩٤٤ ق . م .

وفي ترتيب الملوك وسنى الحكم في كل منهما اختلاف ، غير أنا نذكر هنا ما استطعنا أن ننظر فيه من خلال المراجع^(١٠) :

قائمة الملوك الكهنة في طيبة كما رتبها « ماسبرو » ق ٢٠ م	قائمة الملوك في صان الحجر كما في جدول « مانيتون » عدد السنين
الكاهن حريحور ١٠٧٨ /	سمندس ٢٦ ١٠٧٤ / ١٠٤٨
الكاهن بيغني « بيونزم الأول »	بسوسنس الأول ٤١ ١٠٤٨ / ١٠٠٧
« بيونزم الثاني »	نفرخريس ٠٤ ١٠٠٧ / ١٠٠٣
« بيونزم الثاني »	امنولج ٠٩ ١٠٠٣ / ٩٩٤
« مناحرق »	أوسرخورن ٠٦ ٩٩٤ / ٩٨٨
الملك منخوبرى رع	بسيناخس ٠٩ ٩٨٨ / ٩٧٩
الكاهن بيونزم الثالث	بسوسنس الثاني ٣٥ ٩٧٩ / ٩٤٤
٩٤٤ / ..	١٣٠ سنة
١٣٤ سنة	

والذى يمكن أن نشير إليه هنا من الأحداث التى تتصل بموضوع هذا الكتاب ، فى أواخر سنى هذه الأسرة :

أن الملك سليمان بن داود فى أول حكمه سنة ٩٧٢ ق . م ، صاهر^(١١) فرعون مصر ، (بسوسنس الثانى) ، آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين

فى « صان الحجر » وتزوج ابنته ، وأتى بها إلى بيت داود أبيه إلى أن يكمل بناء بيت المقدس وبيته ، فصعد فرعون واستولى على « جازر » (١٢) وأحرقها وقتل سكانها من الكنعانيين ، وأعطاهما مهرا لابنته امرأة سليمان .

وأن بلقيس ملكة « سبأ » (١٣) باليمن ، جاءت إلى أورشليم فى موكب عظيم وقدمت إلى الملك سليمان هدايا فاخرة ، واستمعت إلى حكمته ، وكان ذلك فى السنة الحادية والعشرين من ملكه ، سنة ٩٥١ ق . م .

(الأسرة الثانية والعشرون) ١٣١ سنة ، وفى المراجع القديمة ١٧٠ سنة ، وفى جدول مانيتون ١٩٥ سنة ، ومركزها « بوباست » ، تل بسطة ، بمحافظة الشرقية ، وعدد ملوكها تسعة ، وهم :

جدول «مانيتون»		جدول الآثار	
عدد السنين	ق م	عدد السنين	ق م
٢١	٩٤٤ / ٩٢٣	٢١	شاشانق الأول
١٥	٩٢٣ / ٩٠٨	١٥	أوسركون الأول
٢٢	٩٠٨ / ..	٣١	تاكلوت الأول
ملوك لم تذكر أسماؤهم	{	أوسركون الثانى
	٨٧٧ /		شاشانق الثانى
١٣	٨٧٧ / ٨٦٤	١٣	تاكلوت الثانى
٥١	٨٦٤ / ...	٥١	شاشانق الثالث
ملوك لم تذكر أسماؤهم	..	{	بيامك
	٨١٣ / ...		شاشانق الرابع
٧٣	٨١٣ / ...		
١٩٥ سنة		١٣١ سنة	

ومما يلى الأول من هؤلاء ، يوجد بعض اختلاف فى سنى الحكم لكل منهم ، غير أنا نكتفى هنا بالأول ، ونذكر بأنه صعد إلى أورشليم فى سنة ٩٢٧ ق . م ، واستولى على خزائن بيت المقدس (١٤) ، وذلك فى السنة الخامسة من حكم « رجبعام بن سليمان » ، وقد جاء مثل هذا فى التوراة ، وفى مراجع الآثار المصرية .

(الأسرة الثالثة والعشرون) :

ومركزها « تل بسطة وصان الحجر » ، وملوكها أربعة ، حكموا جميعا ٨٢ سنة ، وفي المراجع القديمة ٩٠ سنة ، وهم :

سنة	ق. م	سنة	بداية	نهاية
٤٠	٧٧٣/٨١٣	٤٠	سهراب رع	بدوسابست
٩	٧٦٤/٧٧٣	٠٩	عائبر رع	أوسركون الثالث
١٠	٧٥٤/٧٦٤	١٠	أوسر رع	بساموت
٢١	٧٣١/٧٥٤	٢٣
٩٠		٨٢		

وكانت مصر في أواخر هذه الأسرة تنقسم إلى عشرين ولاية ، يحكم كلا منها أمير ، بينما كان كل واحد منهم يتربص للآخر ، ليكون ملكا على جميع أنحاء مصر ، فكان أن حاربهم "تفنخت" أمير "نتر" المجاورة لمدينة "كانوب" على فرع رشيد ، وتمكن من انتزاع الحكم منهم ، ونصب نفسه ملكا على مصر ، على رأس الأسرة الرابعة والعشرين ، وجعل مقرها "صان الحجر" ، وحكم "تفنخت" ثم ابنه من بعده خمس عشرة سنة

(الأسرة الرابعة والعشرون) :

سنة	ق. م	تفنخت
٨	٧٢٣/٧٣١	(بيعنخي)
٧	٧١٦/٧٢٣	باكوريس - وح كا رع
١٥		

(الأسرة الخامسة والعشرون) :

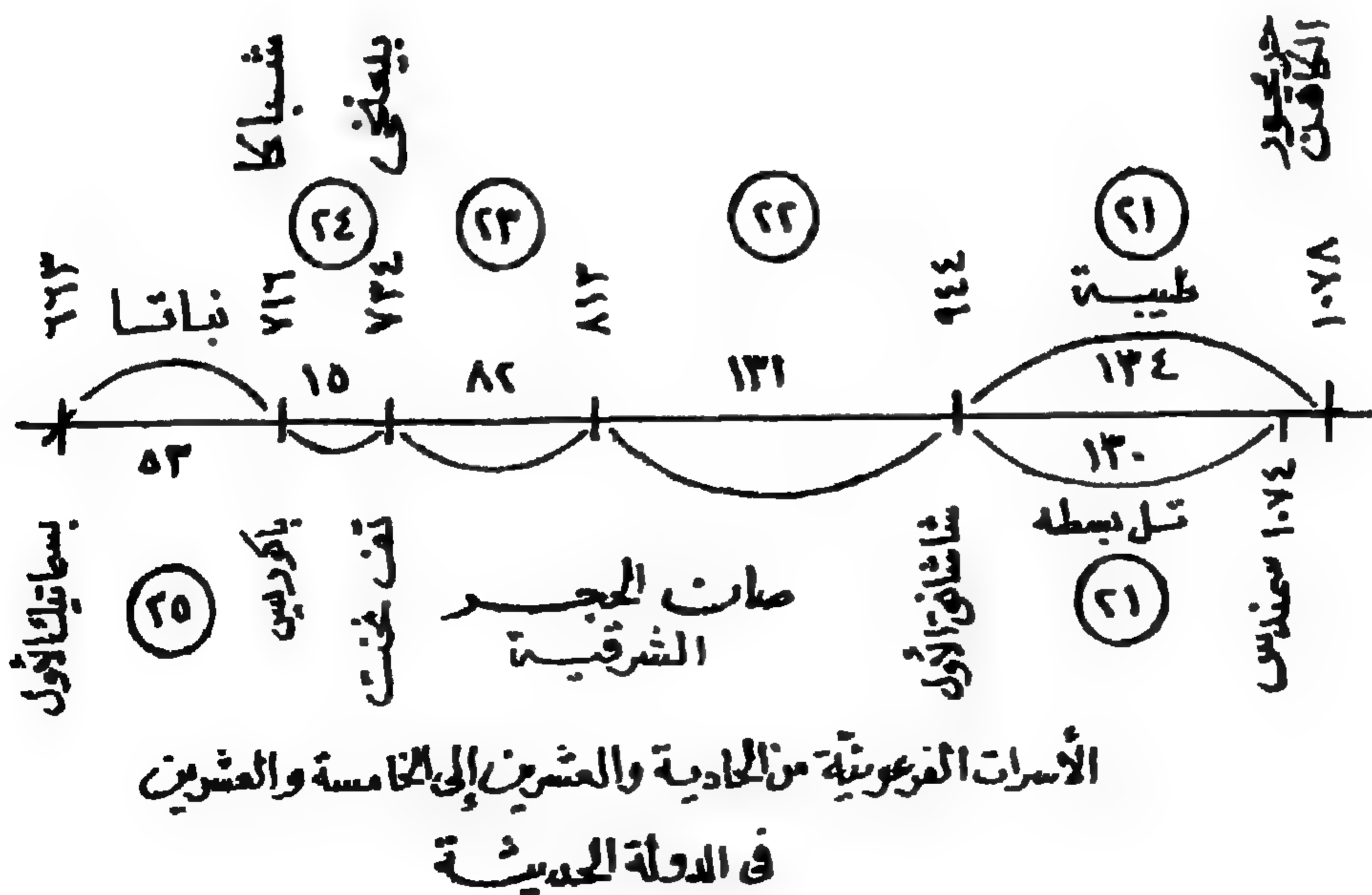
مقرها « نباتا » في شمال السودان ، وملوكها بالحقيقة أربعة حكموا جميعا ثلاثا وخمسين سنة .

وتبدأ هذه الأسرة بنزول « بيعنخي » ملك نباتا إلى مصر سنة ٧٣١ ق. م ، مكتسحا صعيد مصر حتى الدلتا ، لمحاربة « تفنخت »

والمتمارين معه ، وذلك لتحالفه مع ملوك طيبة ، فجاء بجيش جرار فأخضع
الأمراء وهزم « تف نخت » الذي أظهر ولاءه منذ أول الأمر ، فلما اطمأن
على أنهم جميعا تحت رايته ، عاد ثانية إلى مقر حكمه فى نباتا ، ولم يلبث
« تف نخت » أن توفى أثناء ذلك ، فخلفه ابنه « بكوريس » ملكا على مصر ،
وظل سبع سنوات لم ينازعه أحد ، حتى لحقه « شباكا » النبوى وظفر به
فألقاه حيا فى النار ، وظلت الأسرة النوبية بعد ذلك إلى أن حكم « بسماتيك
الأول » بمساعدة الأشوريين :

(الأسرة الخامسة والعشرون) - النوبية

سنة	ق . م	
بيعنخى - رع من خبر	٠٠٠	٧٢١/٧١٦ وهى المدة التى احتسبت
شباكا - نفر كا رع	١٢	٧١٦/٧٠٤ للأسرة الرابعة والعشرين
شباتاكا - دد كو رع	١٢	٧٠٤/٦٩٢
طهراقا - نفرتوم رع	٢٦	٦٩٢/٦٦٦
نوات امون - بيكا رع	٣	٦٦٦/٦٦٣
	٥٣	



(الأسرة السادسة والعشرون)

ومركزها « صان الحجر » ، وملوكها ستة ، حكموا ١٣٨ سنة ، وهم :

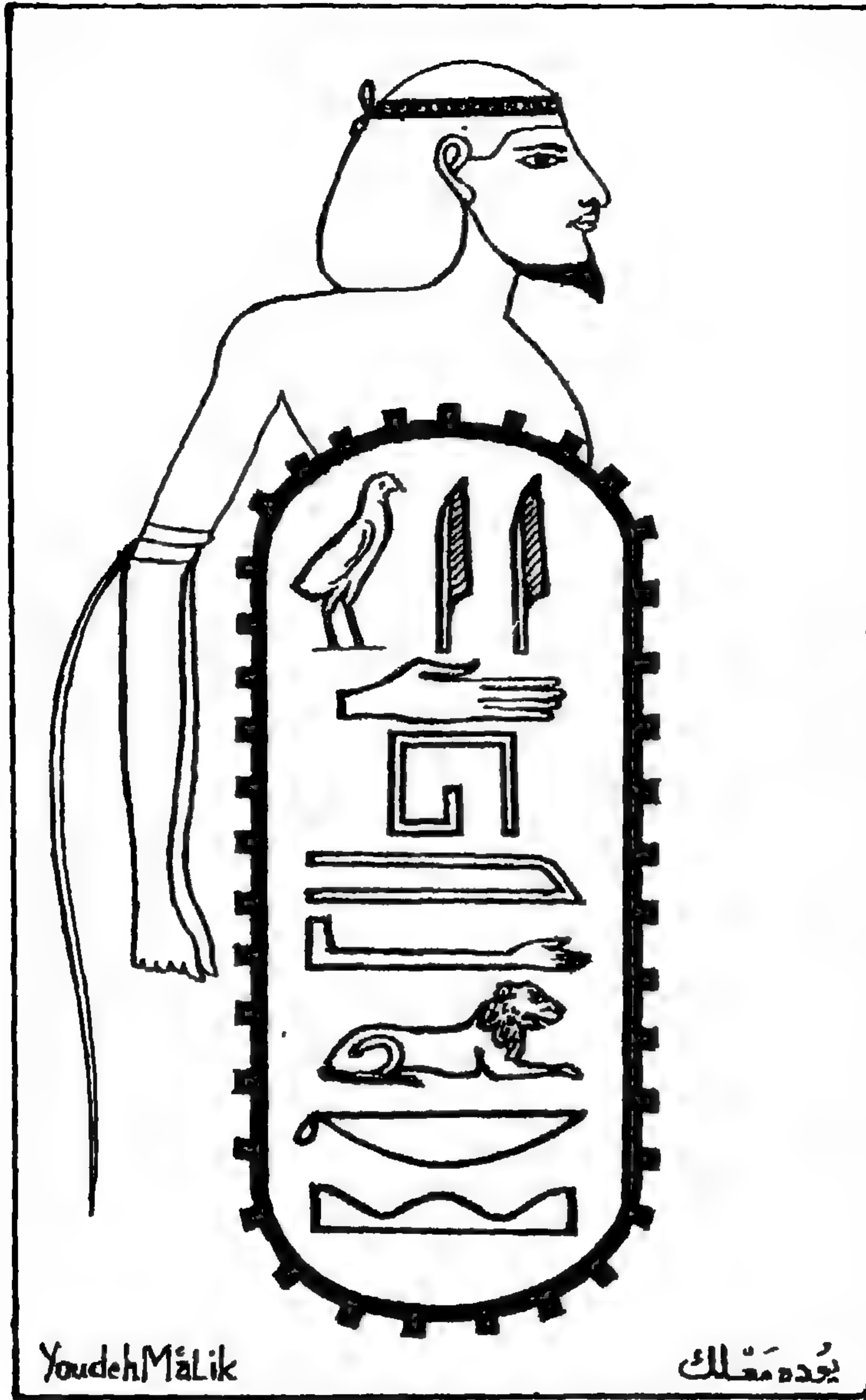
جدول مايتون	جدول الآشار
بسمتيك الأول .. واح ايب رع .. ٥٣ سنة	٦٦٣ / ٦١٠
نخاو الثاني .. واح نم رع .. ١٦	٥٩٤ / ٦١٠
بسمتيك الثاني .. نفر ايب رع .. ٥	٥٨٩ / ٥٩٤
واح إف رع .. حا ايب رع .. ١٩	٥٧٠ / ٥٨٩
احمس الثاني .. خنوم ايب رع .. ٤٤	٥٢٦ / ٥٧٠
بسمتيك الثالث .. عنخ رع كن ٦ ..	٥٢٥ / ٥٢٦
١٣٩ ٦ .	١٣٧ ٦

وفى عهد هذه الأسرة ، من الأحداث التى تتصل بموضوع كتابنا هذا عن بنى إسرائيل ، أن :

(نخاو الثانى) فرعون مصر ، كان قد جهز جيشا عظيما أراد به أن يغزو أرض الآشوريين فى أعالى نهر الفرات ، فاعترضه فى طريقه « يوشيا بن أمون » فى السنة الحادية والثلاثين من ملكه على « أورشليم » سنة ٦٠٧ ق . م ، فأرسل إليه فرعون مصر يقول : إنه ليس فى حرب معه ، وإنما هو فى طريقه إلى محاربة الآشوريين ، فلم يستمع له « يوشيا » وأبى إلا الحرب ، فأطلق عليه الرماة المصريون السهام فقتلوه .

ثم ملك بعده ابنه « يو آحاز بن يوشيا » فأظهر العصيان أيضا فاعتقله الملك (نخاو الثانى) ، وأرسل به أسيرا إلى مصر ، وأقام بدلا عنه أخاه « إلباقيم » ، وجعل اسمه « يهوياقيم » .

وفى الآثار المصرية رسم يعرف باسم : « يوده معلق » ، أى ملك يهوذا ، وهو بعينه « يهو آحاز بن يوشيا » الذى حكم أورشليم بعد أبيه ، ولم يلبث غير ثلاثة أشهر حتى اعتقله الملك (نخاو الثانى) وأرسل به إلى مصر^(١٥) ، ومات بها .



(يواحاز بن يوشيا بن آمون) ملك أورشليم
الذي اعتقله (نحاش الثاني) فرعون مصر سنة ٧٠٧ ق.م
وأرسله أسيراً إلى مصر

أما الملك (نخاو الأول) ، فإنه سار في طريقه حتى قادش وحلب ، إلى أن وصل إلى « قرقميش » في أعالي الفرات ، فقاتله (نبوخذ نصر) ملك الآشوريين بجيش جرار هزم به الجيش المصري سنة ٦٠٦ / ٦٠٥ ق . م ، الذي كان قد عانى كثيرا من الجهد والتعب ، فعاد أدراجه إلى مصر .

وفي عهد الأسرة السادسة والعشرين أيضا ، أن (نبوخذ نصر) ملك بابل ، وأشور ، لما حاصر بيت المقدس وأحرقه وسبى اليهود ، وهو ما يعرف باسم : (السبي البابلي سنة ٥٨٦ ق . م) ، هرب أكثرهم عقب ذلك إلى مصر في أيام الملك (رواج أف رع - افريس) ، وتفرقوا في أنحاء منها .

(الأسرة السابعة والعشرون) :

فارسية ، وهي التي حدث فيها الغزو الفارسي الأول لمصر ، حكمت ١٢٠ سنة ، وملوكها ثمانية ، وجميعا من الفرس :

قوائم الآثار		جدول «مانيتون»	
قمبر	رع موث	شهر سنة	شهر سنة
جومات - ماخي	٦	٥٢٢ / ٥٢٢	كبيريس .. ٥
دارا الأول	رع سنوت	٣٦	٤٨٦ / ٥٢٢
أكزركشيس الأكبر	٢١	٤٦٥ / ٤٨٦	شيارش الأول .. ٢١
ارتكزركشيس ^(١٦) - طويل الباع	٤٠	٤٢٥ / ٤٦٥	ارتخشاشا الأول .. ٤١
أكزركشيس الثاني	٢	٤٢٥ / ٤٢٥	شيارش الثاني .. ٢
سوجديانوس	٧	٤٢٤ / ٤٢٥	سوغديانوس .. ٧
دارا الثاني	١٩	٤٠٥ / ٤٢٤	داريوس الثاني .. ١٩
	٣	١٢٠	٣
			١٢٣

(الأسرة الثامنة والعشرون)

مركزها : صان الغربية (زايس) ، ملك فيها أمير جاهد ضد آخر ملوك

الفرس فى الأسرة السابعة والعشرين أكثر من ست سنوات حتى انتزع منه الملك ، فتوج ملكا على مصر سنة ٤٠٥ ق . م ، وظل فى الحكم ست سنوات ، من ٣٩٩ / ٤٠٥ ق . م ، وهو :

أمون حر (أميرثيوس) وباليونانية : « مونورثايس » - ست سنوات .
(الأسرة التاسعة والعشرون) :

مركزها (منديس) وهى أشمون بمحافظة الدقهلية الآن ، وملوكها أربعة حكموا ٤ أشهر و ٢٠ سنة ، وهم :

شهر	سنة	
٠٠	٦	نفر عاورود (نفرتيس) - بن رع مينترو
٠٠	١٣	هاجوريت (اخوراس) - خنوم باعت رع
٠٠	١	بساموت (يسامتوس)
٤	٠٠	نفر عاورود الثانى (نفرتيس الثانى)
٤	٢٠	

(الأسرة الثلاثون) :

مركزها : سمنود القديمة (سبنوس) ، بمحافظة الغربية ، على فرع دمياط ، وهى آخر الأسرات الفرعونية ، وملوكها ثلاثة ، وهم .

شهر	سنة	
٠٠	١٨	نختبنوالاول (نكتانيس الاول) - سنوزم رع
٠٠	٢	تاخوس (تيوس) - زت حر
٠٠	١٨	نختنبو الثانى (نكتانيس الثانى) - خير كارع
٠٠	٢٨	

يلى ذلك الغزو الفارسى الثانى ، الذى انتهى باستيلاء الإسكندر الأكبر على مصر سنة ٩٢٢ ق . م .

(الأسرة الحادية والثلاثون) :

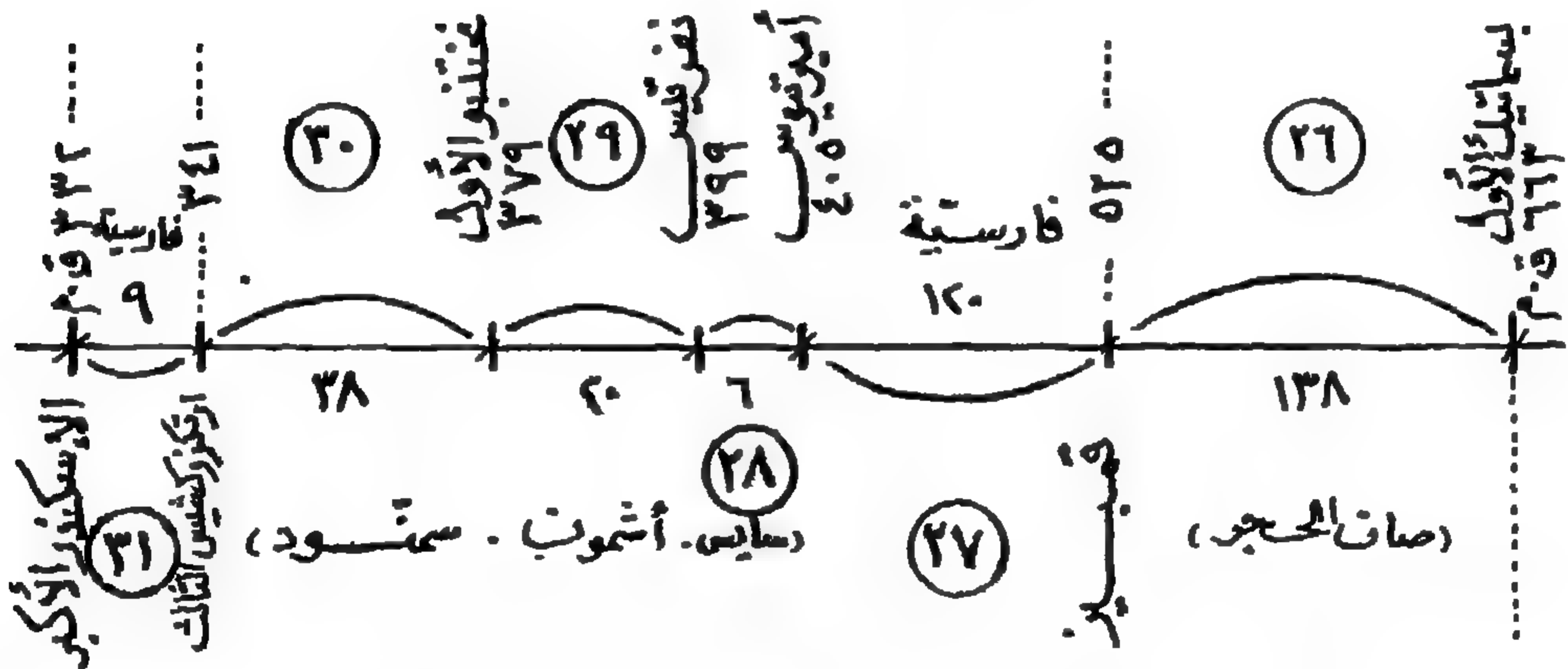
فارسية ، وملوكها ثلاثة ، من الفرس ، حكموا جميعا تسع سنين ، من ٣٣٢ / ٣٤١ ق . م ، وهم :

سنة	ق م . م	
٣	٣٢٨ / ٣٤١	ارتكزركشيس الثالث (أوخوس)
٢	٣٣٦ / ٣٣٨	أرشييس
٤	٣٣٢ / ٣٣٦	دارالثالث (داريوس الثالث)

٩

ونبين بالرسم ترتيب تلك الأسرات مما يلي الحكم النوبى فى الأسرة الخامسة والعشرين سنة ٦٦٣ ق م ، إلى تاريخ استيلاء الاسكندر الأكبر على مصر سنة ٣٣٢ ق م :

الأسرات من السادسة والعشرين الى الحادية والثلاثين
فى الدولة الحديثة



الأسرات من السادسة والعشرين إلى الحادية والثلاثين
فى الدولة الحديثة

(١) « مريم بنت عمران » اخت موسى وهارون ، أكبر من موسى بمقدار سبع سنوات تقريبا ، وهى أول من سميت عند اليهود « مريم » - ولعل التسمية محرفة عن المصرية « مرقى حام » بمعنى صاحبة الفخامة أو العظمة

(٢) وهذا الظن الذى يجمع بين الرعاة البدو وبين بنى اسرائيل كأنهم جميعاً شعب واحد ، إنما نشأ بسبب ان كليهما رعاة اغنام ومواش ، او ان اختلاطهم بالرعاة البدو الذين كانوا يقطنون فى اطراف الصحراء شرقى الدلتا ، بعد ان سمحت لهم مصر بالتواجد فى اماكنهم عقب طرد الهكسوس من قلعة « افاريس » سنة ١٥٦٨ ق م هو الذى ادى الى الخلط بينهما ، لكونهما جميعا اصحاب عمل واحد هو رعى الاغنام والماشية ، وعلى هذا الظن يرى بعض المؤرخين ان خروج بنى اسرائيل من مصر فى عهد رمسيس الثانى ، او فى عهد ابنه مرتباح

(٣) انظر التوراة - سفر الخروج - ص ١٤ - قال ما ملخصه .
 "وتسد الرب قلب فرعون حتى سعى وراء بنى اسرائيل بفرسانه ومركباته فأدركهم عند قم الحبروث امام بعل صفون . فاجرى الرب بريح شرقية شديدة فانشق البحر عن اليابسة فلحقهم الخيل والمركبات . تم عادت الماء فغطت جميع جيوش فرعون فغرقوا" .. ويتبين من التواريخ الموضوعة على هامش التوراة ، ان الخروج كان سنة ١٤٩١ ق . م فما لايعنى بادق وجه انه كان فى زمان الملك رمسيس الثانى ، او "مربتاح" ابته .
 (٤) ومهاجمة الملك سبتى الاول ، للبدو الفارين من كنعان الى "بيتوم فى شرقى الدلتا ، يفسر ايضا قول الملك مرنبتاح أبته فى لوحته عن اسرائيل الى قال فيها ان اسرائيل قد ابيدت ولم يبق لها اثر فى مصر
 (٥) هذه الترجمة بالعربية ، عن كتاب "مصر القديمة" لسليم حسن ج/٤
 (٦) "سارو" . يعنى البلاد الاجنبية وهى سوريا وفلسطين على التخصيص ويبدو انه يريد قلعة ساروهين فى فلسطين .
 (٧) "سيتير" يعنى الالهة "عشتارون" روجة الاله "بعل" عند الاسيويين" من اهل الشام وشمال الفرات قديما

(٨) وفى "التوراة" - سفر الخروج - ص ١٧ قوله
 "تم قام ملك جديد على مصر ، لم يئ يعرف يوسف ، فقال لتعبه : هوذا بنو اسرائيل شعب اكثر واعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا ، فيكون اذا حدثت حرب ، انهم ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض ، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بانقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن ، فتيوم ورعمسيس ، ولكن بحسبما اذلوهم هكذا نموا وامتدوا"
 (٩) عن محاضرة ، القاها عالم الآثار الالماني "هنرى بروكس فُهتسشا" فى حفل المدارس المجانية بمصر سنة ١٨٧٩ م ، عن خروج بنى اسرائيل - ثم طعبت بعد ذلك فى كتيب ترجمه الى العربية الركيكة ، نخلة صالح ، باسم "الدرة الحقيقية البهية" - محفوظ بالهيئة العامة للكتاب برقم ٤٠٥ تاريخ - قال
 " . وهاتين المدينتين اللتين اخبرتنا بها هذه الاية هما مذكورتان فى النقوشات المصرية نفسها ، فالاولى تسمى "بى تان" ، اى مدينة الاله الشمسى ، والاخرى : "بى رمسيس" ، فما اورده حينئذ ورق البابيروس يؤيد لنا بالتحقيق يعلى ان الملك رمسيس هو الذى امر ببناء مدينة جديدة وسماها ي رمسيس ، اى باسم سده الملوكية ، حيث انه هو المؤسس لها ."

(١٠) نقلنا هذا الترتيب فى اسماء الملوك وسينى الحكم ، عن كتاب "الكنز الثمين" لاحمد كمال - طبع بولاق سنة ١٣٠٠ هـ .

(١١) وفى التوراة - سفر الملوك الاول ، ص ٣
 "وصاهر سليمان فرعون مصر ، واخذ بنت فرعون واتى بها الى مدينة دواذ ابيه الى ان اكمل بناء بيته وبيت الرب وسور اورشليم حولها"
 وفى اصحاح / ٩ . ١٥ قوله :

"وهذا هو سبب التسخير الذى جعله سليمان لبناء بيت الرد وبيته والقلعة وسور اورشليم ، وحاصور ومجدو وجازر ، صعد فرعون ملك مصر واخذ جازر واحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة ، واعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان .."
 (١٢) جازر قرية قديمة ، تقع بين القدس والرملة ، وفى كتاب "تاريخ فلسطين" طبع القدس سنة ١٩٢٣ :

"ان هذه القرية تسمى ايضا "ابو شوشة" وان سكانها كانوا قصار القامة ينتمون الى سلالة من العصر الحجري ، يزاولون الزراعة وتربية الدواجن والاغنام وكانوا يقطنون داخل كهوف فيها ، ثم تدقق على فلسطين سيل من العراق وجزيرة العرب فنزلوا بها وعمروها ، ويؤيد ذلك القول الحفريات التي تمت بها في اوائل القرن العشرين للميلاد" .

(١٢) بلقيس بنت الهمداه الحميري ، ملكة سبأ ، يمانية من اهل مأرب ، وليت الملك بعد ابيها ، واتخذت مدينة سبأ قاعدة لها

ورواية التوراة - اخبار الملوك الاول ص/ ١٠

وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل ، فأتت الى اورشليم في موكب عظيم جدا ، حاملة اطيابا وذهبا كثيرا وحجارة كريمة على اجمال ، وأتت الى سليمان وكلمته بكل ما في قلبها ، فاخبرها سليمان بكل كلامها ، لم يكن امرا مخفيا عن الملك لم يخبرها به ... وكان ذلك في السنة الحادية والعشرين من حكم الملك سليمان سنة ٩٥١ ق م . وفي "الموسوعة الميسرة" قوله :

ان سليمان ظهر لها بتدمر ، ركب الرياح الى الحجاز واليمن ، فأمن اليمينيون بدعوته بعد ان كانوا يعبدون الشمس ، ثم دخل سبأ فاستقبلته بلقيس استقبالا حافلا ثم تزوجها واقامت معه سبع سنين وشهورا ، ثم ماتت فدفنها بتدمر ، وقد قيل ان تابوتها اكتشف في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، مكتوبا عليه ما يدل على انها ماتت بعد احد وعشرين سنة من حكم الملك سليمان ...

(١٤) وسبب ذلك ، كما في التوراة

ان يربعام بن نباط الافرايمي ، كان جبارا وكان عبدا لسليمان ، فاغلاظ له فرفع يده على الملك ، فخرج يربعام من اورشليم لما علم ان الملك يطلب قتله ، ثم هرب الى "شامتافق الاول" ملك مصر ، وافضى اليه باسرار بيت المقدس ، فلما توفي سليمان تولى ابنه رجبام الملك بعد ابيه ، فعاد يربعام الى اورشليم ، وفي السنة الخامسة من حكم رجبام سنة ٩٢٧ ق م ، صعد شاشانق الاول ملك مصر الى اورشليم بجيش كبير ، واستولى على خزائن بيت المقدس من الذهب والفضة واخذ اتراسي الذهب التي عليها سلميان - "انظر اخبار الملوك الاول ص/ ١١ او اخبار الايام الثاني ص/ ١٢" .

(١٥) وفي التوراة "اخبار الايام الثاني) ص/ ٢٥ و ٢٦

"... صعد "نخو" ملك مصر الى كركميش" ليحارب عند الفرات ، فخرج يوشيا للقائه ، فارسل اليه رسولا يقول : مالي ولك ياملك يهوذا ، لست عليك انت اليوم ، ولكن على بيت حربي ، والله امر باسراعي ، فكف عن الله الذي معي فلا يهلكك ، ولم يحول يوشيا وجهه عنه ، بل تنكر لمقابلته ، ولم يسمع لكلام "نخو" من فم الله ، بل جاء يحارب في بقعة "مجدو" ، واصاب الرماة الملك يوشيا ، فنقله عبيده الى اورشليم ودفن هناك

قال : " ... فجعلوا "يهوحاذ بن يوشيا ملكا عوضا عن ابيه في اورشليم ، فعزله ملك مصر وغرم الارض بمئة وزنة من الذهب ومثلها من الفضة ، ونصب اخاه "الباقيم" على يهوذا واورشليم وغير اسمه الى "يهوياقيم" واما يهوحاذ اخوه ، فقد اخذه "نخاو" واتى به الى مصر فمات بها - وانظر "الملوك" الثاني ص/ ٢٢ وانظر "الاثر الجليل لقدماء وادي النيل" لاحمد نجيب - ص ١٥١ .

(١٦) وفي كتاب "مصر الفراعنة" لجاردنر قوله
"لم يحدث مطلقا ان زار "ارتكزركشيس" مصر ، والامر كذلك بالنسبة لداريوس الثاني ،
الذي يبدو انه امر بتشييد بعض المباني في معبد هيبس في الواحات الخارجة ."
ويبدو ان هذا صحيح ، وانهم كانوا يحكمون من خارج مصر ، وفي التوراة "انه في السنة
السابعة لحكم الملك ارتخشاشا" انه اصدر امرا بعودة اليهود من سبي بابل واعادة بيت
المقدس ، بناء على توصية سابقة من قورش العظيم وداريوس من بعده" انظر . عزرا - ص٨ /
من ٤ الى ٨ .

الفصل الخامس عشر :

موسى النبى وخروج بنى إسرائيل من مصر

هو موسى بن عمران بن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل ، ولد سنة ١٥٤٨ ق . م ، فى أول حكم الملك « أمنوفيس الأول » وآخر حكم الملك « أحمس الأول » اللذين قد اشتدا فى اضطهاد الرعاة من بنى إسرائيل وتسخيرهم واذلالهم مع الأسرى وغيرهم ، بعد خروج الهكسوس من مصر ، وامرا القابلات الموالدات بإلقاء الأطفال الذكور من أولادهم فى اليم عقب ولادتهم ، واستبقاء الإناث .

﴿ من التوراة ﴾^(١) بتصرف قال :

* .. وقد مات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل ، أما بنو إسرائيل فاثمروا وتوالدوا كثيرا جدا وامتلات بهم الأرض ، ثم قام على مصر ملك آخر^(٢) لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه : هوذا بنو إسرائيل أكثر وأعظم قوتا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا ، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض .

فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلّوهم باثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن : فيثوم ورعمسيس^(٣) ، ومع ذلك فقد امتدوا ونموا ، فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف فى عبودية قاسية ، فى الطين واللبن ، وفى كل عمل فى الحقل .

وكلم ملك مصر قابلى العبرانيات وقال : حينما تولدان فانظرا : إن كان المولود ابنا فاقتلاه وإن كان بنتا فأبقياها ، فقالت القابلتان : إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات ، فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة ، ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلا : كل ابن ذكر يولد لهم تطرحونه فى النهر * قال :

* وذهب رجل من بيت لاوى^(٤) فأخذ بنت لاوى زوجة له ، فحبلت المرأة وولدت ابنا ، ولما رأت انه حسن خبأته ثلاثة أشهر ، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد ، أخذت له سफطا^(٥) من البردى وطلته بالحر والقار ووضعت الولد فيه وجعلته بين الحلفاء على حافة النهر^(٦) ، ووقفت أخته^(٧) من بعيد تنظر لتعرف ماذا يفعل به .

وكان أن نزلت ابنة فرعون تغتسل قدميها فى الماء ، وجواربها ماشيات بإزائها على جانب النهر ، فرأت السفط بين الحلفاء ، فأرسلت جارية لها فسحبته الى الشاطئ ، ولما فتحت السفط رأت الولد ، وإذا به يبكى ، فرقت له وقالت : هذا من أولاد العبرانيين ، فقالت أخته لابنة فرعون : هل أدلك على امرأة مرضعة له ؟ قالت : نعم ، فذهبت الفتاة فدعت أم الولد ، فقالت لها ابنة فرعون : خذى هذا الولد فأرضعيه ، ولك أجرتك ، فأخذت المرأة الولد فأرضعته ، ولما كبر جاءت به الى ابنة فرعون ، فصار لها غلاما ، ودعت اسمه : موسى ، وقالت : انتشلته من الماء .

ولما اشتد ساعده خرج يوما إلى إخوته ، من بنى إسرائيل ، لينظر فى أثقالهم ، فرأى رجلا مصرى يضرب عبرانيا من إخوته ، فالتفت حوله فرأى أن ليس هناك أحد ، فانقض على المصرى فضربه فقتله وطمره فى الرمل^(٨) .

وخرج فى اليوم التالى ، وإذا رجلا عبرانيان من إخوته يتخاصمان ، فقال لأحدهما : لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال له : ومن جعلك انت رئيسا

وقاضيا ، أتظن أنه يمكنك أن تقتلني كما قتلت المصري بالأمس ؟ فخاف موسى فهرب من وجه فرعون الى أرض مديان^(٩) .

وكان لكاهن مديان سبع بنات ، فأتين الى البئر يستقيين ويملأن الأجران يسقيين الغنم ، فجاء الرعاة وطردوهن ، فنهض موسى فأنجدهن وسقى غنمهن ، فلما أتتا إلى أبيهن ، رعوئيل الكاهن^(١٠) ، قال : لقد اسرعتن اليوم بالمجيء ، فقلن : رجل مصري انقذنا من أيدي الرعاة وسقى الغنم لنا ، قال : وأين هو ، أدعونه ليأكل معنا طعاما ، فأتاه موسى وارتضى أن يسكن مع الرجل ، فزوجه الكاهن « صفورة » بنت يثرون ابنه ، فولدت له غلاما ، فدعا اسمه : جرشوم ، لانه قال : كنت نزيلا في أرض غريبة .

وظل موسى يرعى الغنم في مديان حتى قارب الثمانين من عمره ، في عهد الملك « تحتمس الثالث » فرعون مصر ، وهو يفكر في مذلة إخوته وعبوديتهم ، واستحوذ ذلك على تفكيره أينما حل ، حتى ظهر له الرب وناداه قائلا : هلم انزل الى مصر ، وادخل الى فرعون ، وأصعد إخوتك ..* وفي التوراة^(١١) :- بتصرف قال :

* .. وحدث بعد تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر^(١٢) مات ، وتنهى بنو إسرائيل من العبودية قصرخوا ، فسمع الله انينهم ، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

وكان موسى إذ ذاك يرعى غنم حميه يثرون بن رعوئيل الكاهن ، فساق الغنم الى مارواء البرية حتى جاء الى جبل حوريب^(١٣) ، فظهر له ملاك الرب كلهيب نار في وسط عليقة^(١٤) ، فنظر فإذا العليقة تتقد ، فلما قرب ناداه الرب قائلا : ياموسى ، إنك بالوادي المقدس فاخلع نعليك ، فغطى موسى وجهه وخاف وخلع حذاءه ، فقال له الرب : رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم ، وقد أردت أن أنقذهم وأصعدهم من تلك الأرض إلى كنعان ، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا ، والآن هلم فأرسلك إلى فرعون حتى

يخرج بنى إسرائيل من مصر ، فقال موسى ، من أنا ياربى حتى أذهب الى
فرعون ! فقال : إنى معك ، وتكون علامة لك ، أنى أرسلتك ، أنه حينما يخرج
الشعب من مصر أن تعبدون الله على هذا الجبل .

فقال موسى : أخشى ألا يصدقوننى ولا يسمعون لقولى إنك أرسلتنى ،
قال : وما هذه التى فى يدك ؟ قال : هى عصاى ، قال : القها على الأرض ،
فألقاها فإذا هى حية تسعى ، فهرب موسى ، فقال له الرب : لاتخف : امدد
يدك وأمسك بذنبها ، ففعل فصارت عصا فى يده ، ثم قال له : ياموسى أدخل
يدك إلى جانبك ، فأدخلها ، ثم اخرجها فإذا هى برصاء كالتلج ، ثم قال له :
اردد يدك إلى جنبك ، فردها فعادت كما هى من غير سوء .

فقال موسى : ربى إنى ثقيل اللسان والشففتين ، قال : لاتخف ، أليس
هارون اللاوى أخوك يتكلم ، قال : نعم ، قال : هو يكلم الشعب عنك ، فيكون
لك فما وأنت تكون له إلها ، وخذ فى يدك عصاك تصنع بها الآيات .

فمضى موسى ورجع إلى حميه يثرون فقال له : أنا ذاهب إلى أرض مصر
لأرى إخوتى ، هل هم أحياء بعد ، فقال يثرون لموسى : اذهب بسلام ، فأخذ
موسى امرأته وبنيه ليرجع الى أرض مصر .

وأوحى الله إلى هارون قائلا : اذهب إلى البرية واستقبل أخاك فى طريقه
الى مصر ، فذهب فالتقاه فى جبل حوريب وقبله ، فأخبر موسى هارون
بجميع كلام الرب ، وبكل الآيات التى أوصاه بها ، ثم رجعا إلى مصر ،
وجمعا شيوخ بنى إسرائيل ، فتكلم هارون بما كلم به الرب موسى ، وصنع
الآيات أمام عيون الشعب ، فلما رأوا أن الرب افنقد بنى إسرائيل ونظر الى
مذلتهم خروا ساجدين *

وفى التوراة^(١٥) أيضا :

* .. وبعد ذلك دخل موسى وهارون إلى فرعون وقالوا : هكذا يقول الرب ،
إله إسرائيل ، أطلق شعبى يؤدون العيد فى البرية ويعبدوننى هناك ، فقال

لهم فرعون : أنتما تبطلان الشعب من أعماله ، وأمر مسخري الشعب ومدبريه بأن تزداد أثقالهم ، وضرب المسخرون من بيت فرعون ، رؤساء العمل منهم لكي ينهضوا بالأعمال المفروضة عليهم عنفا ، فصرخوا إلى فرعون فنهرهم وقال لهم : أنتم متكاسلون ، تقولون : لنذهب إلى البرية نذبح لإلهنا ! والآن اذهبوا إلى أعمالكم دون أن ينقص شيء منها .

فرأى مدبرو بنى إسرائيل أنهم أصبحوا فى بلية منذ تكلم موسى وهارون عنهم ، وصادفوهما حين خرجا من لدن فرعون ، فقالوا لهما : مالكما ، حتى تعطيا المصريين سيفاً يقتلوننا به ! فإنه مذ دخلتما الى فرعون وقلبه يزداد تصلبا وتزاد مع ذلك أثقالنا .

وتراءى الرب لموسى قائلاً : إني أقسى قلب فرعون كي تظهر عجائبي فى مصر ، وليعرف المصريون أنى أنا الرب أمد يدي وأخرج بنى إسرائيل .

وصنع موسى معجزات بعصاه أمام فرعون ، فكان السحرة والعرافون المصريون يأتون بأمثالها ، واشتد قلب فرعون غلظة وأمعن فى إذلалهم ، ثم ضرب الرب مصر ضربات شديدة ، وأطلق على المصريين جيشا من الجراد قضى على الأخضر واليابس ، دون أن يرق قلب فرعون ويطلقهم .

ثم لما كثرت الآيات^(١٦) والعجائب فى مصر ، وزاد بكاء بنى إسرائيل وتذمرهم ، مع الحاح موسى وهارون على فرعون ، قال المصريون من وجهاء القوم ، لفرعون ، إلى متى يكون هذا فحنا لنا ، أطلق القوم يعبدون إلههم فى البرية ، فدعا فرعون^(١٧) موسى وهارون ليلا وقال لهما : أخرجا الرجال ، وليأخذون معهم ما يشاءون ليعبدوا إلههم فى البرية ثم يعودون .

فحمل الإسرائيليون أموالهم وأغنامهم وأمتعتهم وارتحلوا فى اليوم التالى ليلا ، من رعمسيس إلى سكوت^(١٨) نحو ست مائة ألف ماش من الرجال^(١٩) ، عدا الأولاد الصغار ، وحملوا معهم تابوت يوسف ، إذ كان قد أوصى قبل وفاته أن يصعدوا عظامه معهم ، حتى يدفن مع آبائه فى أرض كنعان .

وكانوا عند خروجهم قد طلبوا من المصريين أمتعة من الفضة ومن الذهب ، على زعم أن يردوها حين عودتهم من البرية ، كى يسلبوا بذلك المصريين ، كما أوصاهم موسى^(٢٠) *

وكان رحيلهم من مصر بقيادة موسى ، فى ليلة الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٤٦٨ ق . م ، بعد أن قضوا فى مصر مائتى وعشر سنين ، منذ دخول يعقوب وبنيه الى مصر فى زمان يوسف سنة ١٦٧٨ ق . م ، وكانوا إذ ذاك جميعا لايتجاوزوا السبعين نفسا ، بخلاف يوسف وولديه اللذين ولدا فى مصر ، وقد اجتازوا النصف الأخير من تلك المدة فى ضنك ومذلة ، بعد أن اعتلى الملك (أحمس الأول) عرش مصر وطردهم الهكسوس .

فأما المدة التى قضوها بنو إسرائيل فى مصر ، فقد ذكرت فى التوراة على انها ٤٣٠ سنة . فى أكثر من موضع ، فقد جاء فى (سفر الخروج - ص ١٢ / - ٤٠ قوله .

* وأما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة ، وكان عند نهاية أربع مائة وثلاثين سنة ، فى ذلك اليوم عينه أن أجناد الرب خرجت من أرض مصر ، هى ليلة تحفظ للرب لإخراجه إياهم من أرض مصر ، هذه الليلة هى للرب تحفظ من جميع بنى إسرائيل فى أجيالهم ..*

وفى هذا القول التباس كان سببا مباشرا لاضطراب آراء المؤرخين فى تحديد زمان دخول بنى إسرائيل إلى مصر ، وبالتالي تاريخ خروجهم ، وقد لاحظ ذلك بعض المؤرخين القدامى ، فلما سئل الريانيون ، إذا ذاك ، من طائفة اليهود ، زعموا أن تلك الجملة من السنين يعنى بها التوراة المدة منذ تراءى الرب لإبراهيم لأول مرة فى « حاران »^(٢١) ، حوالى سنة ١٨٩٤ ق . م . حتى تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر . غير أن هذا الزعم ليس له مايؤيده ، لانعدام الصلة بين طرفى هذه المدة الطويلة .

وفى هذا الصدد علل البطريك افثشيسوس ، الملقب بابن البطريق ، هذا الخلاف فقال (٢٢) .

« وكان عدد بنى إسرائيل وقت دخولهم الى مصر سبعين نفسا ، سكنوا بمصر مائتين وسبع عشرة سنة يستعبدهم الفراعنة ، فإذا قال قائل . إنه مكتوب فى التوراة ، أن بنى ابراهيم أو بنى إسرائيل يستبعدون أربع مائة سنة ، فيكيف تقول : إنما استبعدوا ٢١٧ سنة ؟ قلنا : إنك لم تعلم فى أى وقت ينبغى لك أن تحسب حتى تتم أربع مائة سنة ، إنه فى السفر الأول من التوراة ، مكتوب : إن الله قال لإبراهيم . انظر الى السماء إن استطعت أن تعد نجومها ، فإن زرعك يكون هكذا ، ففند ذلك الوقت إلى خروج بنى إسرائيل تحسب الأربع مائة سنة (٢٣) . »

وفى كتاب : (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيرونى (٢٤) ، قال :

« ودخل يعقوب مصر مع بنيه وقد أتى له مائة وثلاثون سنة ، وعاش بعد ذلك سبع عشرة سنة ، فيكون مكث بنى إسرائيل بمصر مائتين وعشر سنين ، على قياس قولهم ، إن من ولادة إبراهيم الى ولادة موسى ، عليهما السلام ، أربع مائة وعشرين سنة ، وإنه خرج من مصر ببنى إسرائيل وقد مضى من عمره ثمانون سنة ، غير أن فى السفر الثانى من توراتهم : أن جميع ماسكن بنو إسرائيل بمصر أربع مائة وثلاثون سنة ، فإذا سئلوا عن ذلك زعموا أن تلك المدة معدودة من يوم أقام الله مع إبراهيم الميثاق ، ووعدته أن يجعله أبا لكثير من الشعوب ويورث بنيه أرض كنعان ، والله أعلم بقولهم ... »

وفى كتاب (تاريخ سنن ملوك الأرض والأنبياء) (٢٥) :

« وكان قدوم يعقوب مصر بعد وفاة إسحاق بعشر سنين ، ثم كان مقام بنى إسرائيل بمصر إلى أن أخرجهم موسى منها مائتين وعشر سنين ، ومن خروج بنى إسرائيل من مصر الى بنيان بيت المقدس أربع مائة وثمانون سنة (٢٦) . »

ومع ذلك فإن مفردات التواريخ التي وضعت في هامش التوراة ، بإزاء الحوادث والأعلام ، كما في الترجمة العربية ، تشير إلى أن ما بين دخول بني إسرائيل إلى مصر في عهد يوسف ، وبين خروجهم بقيادة موسى ، مائتان وخمس عشرة سنة ، وهو الأقرب إلى ما ذكرنا

ونلحق بما تقدم جدولاً يبين تواريخ أهم الموضوعات وبعض الأعلام الذين ذكروا في التوراة ، منذ وفاة يوسف إلى تاريخ خروج بني إسرائيل ، في نهاية سني حكم الملكة « حتشبسوت » بالوصاية سنة ١٤٦٨ ق . م :

اسماء الموضوعات والأعلام	التاريخ الميلادي العبري ق . م	تواريخ غير يقينية في هامش التوراة ق . م
ابتداء غزو الهكسوس في أوائل الأسرة الثالثة عشرة	١٧٥٦	٢٠٠٤
وفاة يوسف الصديق بن يعقوب	١٦٠٨	٢١٥٢
طرد الهكسوس في أوائل الأسرة الثامنة عشرة	١٥٦٨	٢١٩٢
ولادة النبي موسى بن عمران	١٥٤٨	٢٢١٢
خروج بني إسرائيل من مصر في آخر ١٤٦٨ حكم الملكة حتشبسوت	١٤٦٨	٢٢٩٢

* * *

(١) انظر . (سفر الخروج - ص ١ / ١) - مع التصرف للاختصار .

(٢) فى الأصل . « ملك جديد ... » ويراد به هنا الملك (أحمر الأول) ، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، الذى طرد الهكسوس فى السنة الخامسة من حكمه ، سنة ١٥٦٨ ق . م ، ولم يبق منهم غير بعض الرعاة الذين أظهروا الخضوع ، وقد استوطنوا إذ ذاك الصحراء الشرقية ، ثم تفرقوا بعد ذلك .

(٣) ومن هاتين ، فأما « فيتوم » وقد تنطق « ايتام » ، فهى « بى أتوم » نسبة إلى الإله أتوم ، وتعرف الآن أطلالها باسم « تل بوتو » فى الشمال الشرقى من « فاقوس » بحوالى ١٨ كيلو مترا ، وتبعد عن « الصالحية » ، فى اتجاه صان الحجر ، بمقدار اثنتى عشر كيلو مترا تقريبا . وأما (رعسيس) القديمة فالأصل فى التسمية نسبة إلى أبناء الإله (رع) أى الفراعة العظام ، والأقرب إلى موضعها فيما نرى ، أنها كانت فى المكان الذى يعرف الآن باسم : « تل دفنه » تجاه تل بوتو ، إلى الشرق منها ، وكلتاها كانتا مدينتى مخازن . فأما المدينة التى بناها الملك رمسيس الثانى ، وسماها باسمه (رعسيس) فالأشبه أنها كانت على أنقاض قلعة (أوريس) فوق تل الفرما Pelusium « على البحر المتوسط ، جنوبى خليج الطينة الآن ، وليست هى تلك التى بناها بنو إسرائيل بالتسخير ، لتكون مخازن للغلال

(٤) قوله . « رجل من بيت لاوى . » يعنى به عمار بن قاهات بن لاوى بن يعقوب ، تزوج من (يوكابد) عمته ، أخت أبيه قاهات ، فولدت له مريم وهارون وموسى .

(٥) « السفط » - (بالتحريك) ، مايعبأ فيه ، كالجوالق ، والجمع : أسفاط ، والمراد به هنا قارب صغير ، كالسلة ، عمل خصيصا من أعواد البردى وطلّى بالقار ، حتى يظل بين الحلفاء ظاهرا على وجه الماء .

(٦) « .. النهر » هنا يريد به أحد شرايين الفرع الشرقى لنهر النيل ، فيما كانوا يسمونه . (الفرع الطينى ، وهو « البحر الشبيني » الآن ، وأقرب تلك الشرايين إلى منطقة « صان الحجر » هو مايعرف فى وقتنا هذا باسم « بحر فاقوس » ، وقديما بحر صان ، وهو فرع من بحر موسى .

(٧) قوله « ووقفت أخته .. » يعنى بها مريم أخت هارون وموسى ، وهى التى استعارتها الآية ، فى قوله تعالى .

﴿ ياأخت هارون ما كان أبوك أمرا سوء ، وما كانت أمك بغيا ﴾ .
والآية على لسان قوم مريم أم المسيح يخاطبونها ، على سبيل التشبيه بأنها سميت مريم أخت هارون وموسى .

(٨) وهذا الحادث يسىء إلى موسى ويصفه بالقاتل ، عندما بلغ الأربعين من عمره .

(٩) « مديان » . أرض الحجاز ، نحو الشمال ، على الجانب الشرقى لخليج العقبة ، ثم إلى حدود اليمن ، ويبدو أن موسى قد سلك في هروبه من مصر ممر « متلا » في برية سيناء إلى العقبة .

(١٠) « رعوثيل الكاهن » : كاهن مديان ، وهو أبو يثرون ، الذى تزوج موسى ابنته « صفورة » ، وفى كتاب (ابن البطريق)
أن كاهن مديان « رعوثيل » ، هو الذى يسميه العرب . « شعيب » ، من نسل إسماعيل بن إبراهيم .

(١١) انظر « سفر الخروج » ص ٢/

(١٢) والذى مات من فراعنة مصر إلى أن ظهر موسى هم . « أحمس الأول » ثم ابنه « أمثوفيس الأول » ثم « تحتمس الأول » ثم الثانى إلى أول حكم تحتمس الثالث ، بوصاية الملكة « حتشبسوت » ، وكل هؤلاء كان يعارض خروج بنى إسرائيل للاستفادة من تسخيرهم فى أعمال البناء ، غير أن الأخير وافق على أن يقوموا بشعائهم الدينية فى البرية على أن يعودوا ، فلما خرجوا بقيادة موسى كان ذلك إلى غير رجعة ، سنة ١٤٦٨ ق . م

ولم يكن لتحتمس الثالث ، بجانب الملكة « حتشبسوت » شخصية تعوق ماتراه من وجهة نظرها ، فلما اختفت بعد ذلك التاريخ ظهرت عبقرية « تحتمس الثالث » فى الحروب التى خاضها ، حتى كان يلقب باسم « سيزوستريس » وكان يسمى فى اللغة اليونانية : (تحوتسفر اثوموزيس) .

(١٣) جبل « حوريب » . هو جبل سيناء ، المعروف بجبل موسى فى المنطقة التى فيها الآن : دير « سانت كاترين » ، غير أنه يمكن أن تطلق هذه التسمية على غير هذا الجبل ، على سبيل الاستعارة .

(١٤) « العليقة » نبات تلتف أغصانه وتتعلق بما يكتنفه من جانبيه والجمع : عليق

(١٥) انظر (خروج - ص ٥ / إلى ١٢ - مع التصرف بالإيجاز .

(١٦) وفى « التوراة - سفر الخروج » تزييدات كثيرة عن الآيات والصريات التى أطلقها إله إسرائيل على مصر ، رأينا ألا نحتسوا الموضوع بها اختصارا على القول المفيد فيه .

(١٧) وفرعون مصر الذى امر بأن يخرجوا ليعبدوا إلههم فى البرية ، واضح من تسلسل التواريخ تباعا ، أنه الملكة « حتشبسوت » فى آخر سنى حكم لها ، فى وصايتها على الملك « تحتمس الثالث » سنة ١٤٦٨ ق . م ، ونشك أيضا أنها تجرأت وخرجت مع بعض الجنود بمركباتهم لتحول بينهم وبين الهروب ففرقت فى المستنقعات التى فى جنوبى بحيرة المنزلة ، أو أصابتها نزلة برد ماتت بسببها ، وأن ذلك إن صح ، فهو بتشجيع من تحتمس الثالث ، على زعم أنه عمل بطولى يليق بها ، ومع ذلك فليس فى الآثار خبر عن الملكة « حتشبسوت » ، بعد ذلك التاريخ ، كأن الأرض ابتلعها .

(١٨) « سكوت » : تسمية ، ذكرت في أكثر من موضع في التوراة ، تشير إلى الأماكن المؤقتة ، أو المعدة للراحة على الطريق ، ويشبه أنه كانت توجد بأرض « رعسيس » ، مثل تلك الأماكن التي تشبه مايسميه العرب : المراح ، التي يقام أكثرها في فصل الربيع ، أو توجد كإستراحات في الطريق .

(١٩) في « التوراة » - سفر العدد - ص ١ / أن عدد الرجال ، من سن العشرين فأكثر ممن كان يصلح للحرب : (٦٠٣٥٥٠) رجلا - قال

* فكان جميع المعدودين ، من بنى إسرائيل ، حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعدا ، كل خارج للحرب في إسرائيل ، ست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمسة مائة وخمسين ، وأما اللاويين فلم يعدوا من بينهم .. *
ونحن هنا نرى أن هذا العدد فيه مبالغة زائدة ، بالقياس إلى معدل المواليد والوفيات ، في المدة التي قضوها في مصر ، والأقرب إلى الرقم الصحيح هو (٦٣٥٥) رجلا

(٢٠) كذا في التوراة (خروج - ص ٣ / ع ٢٠) ، قال .
* فأمد يدي وأضرب مصر بكل عجائبي التي اصنع فيها ، وبعد ذلك يطلقكم ، وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون انكم لاتمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة ، وامتعة ذهب وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون بذلك المصريين *
والغريب أن هذا القول نسبه موسى إلى الوحي من الله لصالح بنى إسرائيل وليس لنا أن نعلق عليه ، بوصفه من الوصايا التي أوحى بها إلى موسى النبي .

(٢١) انظر : (الفصل العاشر) - فيما تقدم من الكتاب .
والمراد : أن المدة هي منذ تراءى الرب لإبراهيم لأول مرة في حاران ، وقال له . « أخرج من أرضك وعشيرتك إلى الأرض التي أريك ، فسأجعلك أمة عظيمة مباركة » .

(٢٢) انظر (كتاب التاريخ المجموع على التحقيق) طبع بيروت سنة ١٩٠٥ م .

(٢٣) وهذا القول كسابقه ، تحليل ضعيف ، والأشبه أن الخطأ من المبدأ في كتابة « التوراة » ، فإن الناسخ عندما أراد أن يذكر عدد سنى إقامة بنى إسرائيل في مصر جاء بالمدة فيما بين مولد موسى وبين مولد إبراهيم ، وهي ٤٢٠ سنة ، أو أنه جاء بالمدة فيما بين نزول إبراهيم من حاران إلى خروج بنى إسرائيل ، وهذه أيضا ٤٢٦ سنة .

(٢٤) كتاب (الآثار الباقية) - لمحمد بن أحمد البيروني ، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، طبع أوروبا سنة ١٨٧٨ م .

(٢٥) (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء) - الحمزة بن الحسن الأصفهاني - طبع ليبسك سنة ١٨٨٤ م .

(٢٦) قوله : « إلى بنيان بيت المقدس .. » يعنى إلى الوقت الذي بدأ فيه الملك سليمان بناء البيت في السنة الرابعة من ملكه ، سنة ٩٦٨ ق . م . غير أن الأصح أن المدة من خروج بنى إسرائيل من مصر إلى بداية بناء بيت المقدس في أورشليم ، خمسمائة سنة ، ومثلها من الخروج إلى ميلاد إبراهيم الخليل .

سنو التيه فى البرية والطريق إلى كنعان

١ - المرحلة الأولى من خروج بنى إسرائيل :

فى التوراة قوله^(١) :

* وكان لما أطلق فرعون الشعب ، أن الله لم يهدم إلى طريق فلسطين^(٢) ، مع أنها قريبة ، لأن الله قال : لنلا يندم الشعب إذا رأى حرباً^(٣) فيرجعوا إلى مصر ، فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف^(٤) ، وصعد بنو إسرائيل متجهزين من مصر ، من أرض رعمسيس ، فارتحلوا منها إلى « سكوت »^(٥) .

ثم ارتحلوا من « سكوت » ، ونزلوا فى « ايتام »^(٦) ، فى طريق البرية ، وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحب ليهديهم فى الطريق ، وليلاً فى عمود من نار ليضىء لهم ، لكى يمشوا طول اليوم نهاراً وليلاً .

ثم أوحى الرب إلى موسى قائلاً : كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام « قم الحيروث »^(٧) ، فى اتجاه « مجدل »^(٨) ، أمام « بعل صفون »^(٩) ، فى مقابله عند البحر ينزلون ، حتى يقول فرعون : إن بنى إسرائيل مرتبكون فى الأرض ، وقد استغلق عليهم الفقر ، فأشدد قلبه حتى يسعى وراءكم فأمجد بفرعون ، فارجعوا حتى ينزلوا عند « قم الحيروث » .

فلما أخبر ملك مصر بأن الشعب هرب بكل مايملك ، تغير قلبه ، فشد مركبته ، وأخذ ستمائة مركبة منتخبة وجنودا ، وسعى وراء بنى إسرائيل فأدركهم وهم نازلون عند البحر .

ولما اقترب فرعون وجنوده رفع بنو إسرائيل عيونهم فإذا المصريون يسعون وراءهم ، ففزعوا وصرخوا إلى الرب ، وقالوا لموسى : لماذا أخذتنا لنموت فى البرية ؟ كف عنا ، فإنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت ، فقال موسى : لاتخافوا ، ستنظرون اليوم خلاص الرب الذى يصنعه لكم .

وصرخ موسى الى الرب ، فقال له : قل لبنى اسرائيل أن يرحلوا ، وارفع أنت عصاك ومد يدك بها البحر فينحسر الماء من الجانبين وتبين اليابسة فيمرون ، وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم ، ثم وقف ملاك الرب وعمود السحاب بين الفريقين طول الليل ، ثم مد موسى عصاه على البحر فأجرى الله ريحا شرقية شديدة وظهرت اليابسة ، فدخل بنو إسرائيل والماء على الجانبين حاجز لهم ، فتبعهم المصريون ودخل وراءهم خيل فرعون ومركباته ، وكان عند الصبح لما أدركوا آخر الطريق ، أن الله قال لموسى : مد بعصاك يدك الى الماء فيرجع على المصريين ومركباتهم ، ففعل فرجع الماء الى حالته الأولى وغطى مركبات وفرسان جيش فرعون ، وهرب المصريون فى ذلك اليوم بمن بقى منهم^(١٠) .

قال :

« ورأى بنو إسرائيل الفعل العظيم الذى صنعه الرب لهم فخافوا وأمنوا ، وترنم موسى وبنو إسرائيل بهذا النشيد ، الذى أوله :

* أرنم للرب فإنه قد تعظم *

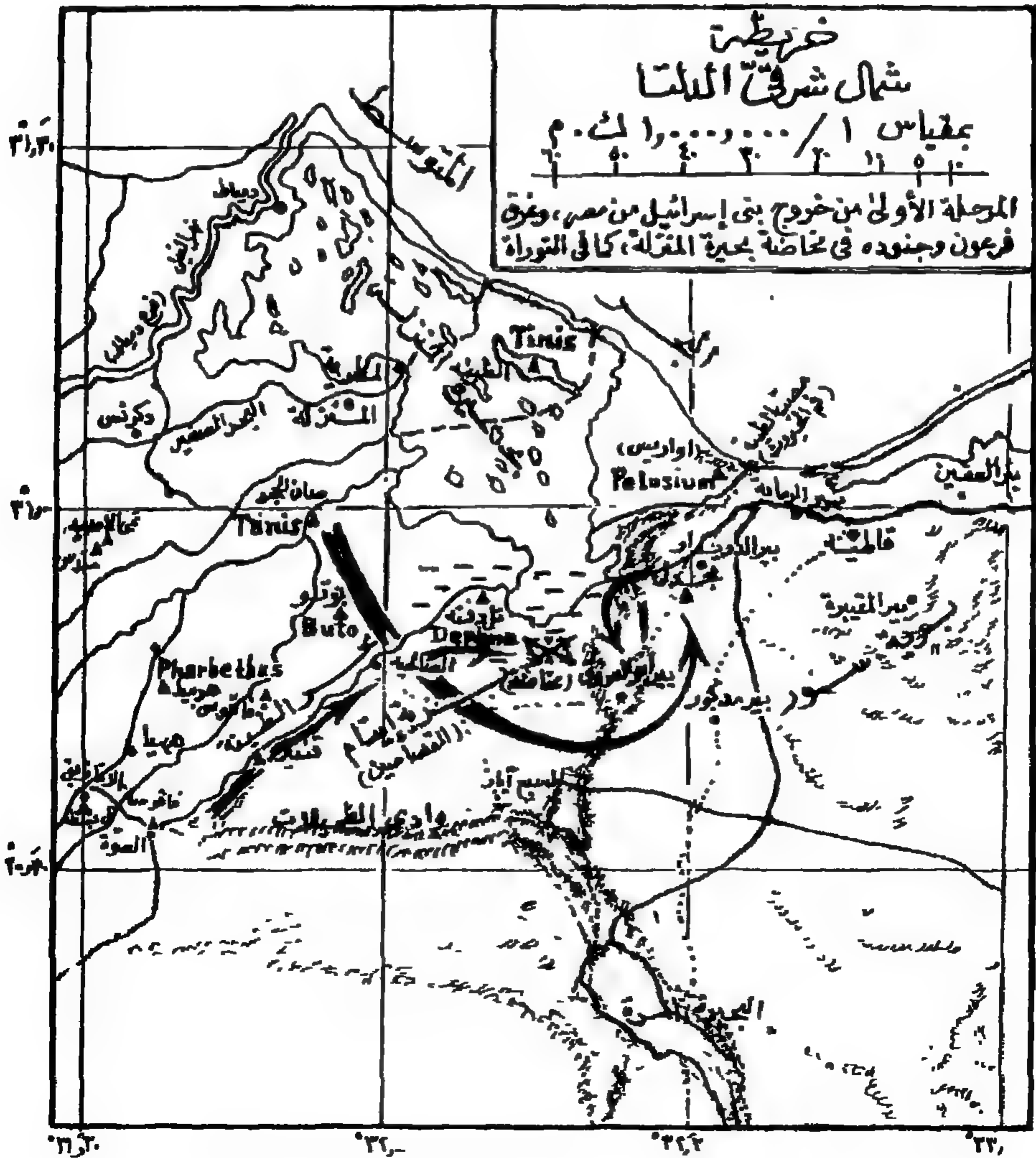
* الفرس وراكبه طرحهما فى البحر *

ثم أخذت مريم ، أخت هارون وموسى ، الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص ينشدن .. »

هذا موجز ماجاء فى التوراة عن قصة غرق فرعون وجنوده عند خروج بنى إسرائيل من مصر ، وليس لنا أن نعقب على هذا ، بأكثر من احتمال حدوثه

بفعل نوبات المد والجزر في البحر المتوسط ، عند اشتداد الرياح العاتية ، حيث يعلو الماء فيفيض الى الجنوب من بحيرة المنزلة ، فيغطي الطرق التي في اتجاه القنطرة والطريق الساحلي إلى فلسطين ، في البقعة التي تعرف إلى الآن باسم « الطينة » ، وكانت تعرف قديما باسم منطقة الهلاك .

وليس في هذه القصة ، بشواهد من اسماء المدن ، مايشير الى مااستنبطه بعض المؤرخين لها ، بأن غرق فرعون وجيشه إنما كان في مخاضة البحر الأحمر ، عند قم خليج السويس ، وليس لنا أن نخطيء فنجعل مواقع : « أقاريس وسان الحجر وبئر مجدل » ، في مثل هذا المكان .



وبفرض أن موضوع هذه القصة ، من أولها ، ليس فيه تلبس جعلها بهذه الحكاية تماما ، وأنها انتهت بغرق فرعون وجنوده ، ومركباته فإنه إن صح ذلك ، وكان فرعون مصر قائدا يتقدم الجيش ، فى ذلك التاريخ الذى حددناه ، فإننا نتخيل أن الفرعون الذى سعى وراء بنى إسرائيل إذ ذاك لإرغامهم على العودة الى مصر ، ليس إلا الملكة : « حتشبسوت » ، فى ذات التاريخ الذى أشرنا اليه قبلا ، إما بدافع من جراتها وكبريائها ، أو بتشجيع من أخيها ، « تحتمس الثالث » ، فوقعت فى ذلك المأزق ، الذى يبدو أن موسى دبّره ، بأن جعل بنى إسرائيل فى اتجاه مخاضة المهالك ، فى منطقة الطينة ، مع علمه بوجود رياح موسمية فى ذلك الوقت ، وقد ساعدته الظروف الطبيعية ، فلما زحف الجيش نحو ذلك الموضع ، دون أن يتنبه إلى طبيعة الأرض هناك ، وكان مد البحر فى انتظاره فى تلك اللحظة ، ارتبكت الخيالة والمركبات فى المقدمة ، وغلبها الموج فغاصت فى الأرض اللينة ، وتعذر عليها الخروج من الوحل بسهولة .

وقد يخيّل أن الملكة « حتشبسوت » أخرجت من الماء فى حالة سيئة وحمت بسبب ذلك مدة ، وتكتم أخوها ، « تحتمس الثالث » خبرها ، فلما ماتت دفنها خلصة ، دون تحنيط أو مراسيم ملكية ، ولم يشأ اذاعة خبرها أصلا ، وليس فى تاريخ الآثار المصرية والنصوص مايفيد خبرا للملكة « حتشبسوت » بعد الخروج سنة ١٤٦٨ ق . م .

وهناك نص ينسب الى الملكة « حتشبسوت » ، يرجع إلى ما بعد طرد الهكسوس ، فيما بين سنة ١٤٨٦ إلى ١٤٦٩ ق . م ، ينبىء عن سخطها وضيقها من سلوك المهاجرين ، الذين كانوا فى « أواريس » شمال الدلتا ، منذ عهد الهكسوس ، يذكر بأنها سمحت لأولئك المخربين الذين أغضبوا الآلهة بالخروج ، وقد ابتلعت الأرض آثار اقدامهم .

وهذا النص قيل إنه مدون على واجهة أحد معابدها فى منطقة « اسطبل عنتر » بمصر القديمة ، وقد أخذ عن ترجمة حديثة لعالم الآثار المصرية : (جاردنر Gardiner) :

In an inscription written almost a century after the expulsion of the Hyksos from Egypt, the queen Hat-shepsut (about 1486-1460 B.C.) gives some of the national sense of indignation. This inscription was carved on the façade of a temple of hers at Sphen Artemidos (Istabl Antar) in Middle Egypt. A new edition by A. H. Gardiner, based on a copy by N. de G. Davies, *JEA*, xxxii (1946), 43-56, Pl. vi, supplants previous presentations of the text by W. Golenischeff, in *Recueil de travaux . . .*, vi (1885), Pl. opp. p. 20, and by K. Sethe, *Urkunden der 18. Dynastie* (*Urk.*, iv, Leipzig, 1906), ii, 383-91, and the translation by Breasted, *AR*, ii, §§296-303. The extract below comes from lines 35-42 of this inscription.

Hear ye, all people and the folk as many as they may be, I have done these things through the counsel of my heart. I have not slept forgetfully, (but) I have restored that which had been ruined. I have raised up that which had gone to pieces *formerly*, since the Asiatics were in the midst of Avaris of the Northland,² and vagabonds³ were in the midst of them, overthrowing that which had been made. They ruled without Re, and he⁴ did not act by divine command down to (the reign of) my majesty. (Now) I am established upon the thrones of Re. I was foretold for the limits of the years as a born conqueror.⁵ I am come as the uraeus-serpent of Horus, flaming against my enemies. I have made distant those whom the gods abominate, and earth has carried off their foot(prints). This is the precept of the father of [my] fathers, who comes at his (appointed) times, Re, and there shall not occur damage to what Amon has commanded. My (own) command endures like the mountains, (while) the sun-disc shines forth and spreads rays over the formal titles of my majesty and my falcon is high above (my) name standard for the duration of eternity.⁶

وترجمة هذا النص الى العربية .

« اصنع إلى ، إن جميع الناس من البدو ، هم دائماً على حالتهم ، وإني لم آخذ في الاعتبار أعمالهم الشاذة ، ولم تشغل خاطري ، فإني لم أنس أن أشيد وأصلح ما قد دمروه وأتلفوه قبلاً ، منذ كان الاسيويون في « أواريس » شمال الدلتا ، حيث كان من بينهم المفسدون ، والمخربون ، فهؤلاء كانوا يحكمون دون رغبة الإله « رع » وهو لذلك لم يشأ أن يمنحهم قوة إلهية .

وحكم جلالتي ثابت الآن بقوة الإله « رع » فقد سبقت النبوة بمولدي ،
بأنى سأكون من الملوك القادرين المنتصرين ، ولذلك جئت كالحية النارية
من الإله « حورس » ملتهبة ضد أعدائي .

ولما سمحت لأولئك الذين أغضبوا الآلهة ، بالخروج ، فكأن الأرض
ابتلعت آثار أقدامهم ، وهذه هي إرادة أبى الآلهة ، التى رتبت هذا فى
حينه ، وهم لا يوافقون على الحاق الضرر بمن جاء بإرادة الإله « أمون » .

وإنى أتمتع بقوة احتمال ، كالجبل حين يسطع عليه قرص الشمس ،
وتمتد عليه الأشعة النورانية ، فوجود جلالتي ولقبه قانونى وأصولى والإله
(حورس) ، الصقر ، هو الذى يخلق من فوقى ويحمينى وينشر اسمى
الملكى إلى الأبد .

٢ - المرحلة الثانية من الخروج ، ابتداء من بحر سوف إلى إيليم

وفى التوراة^(١١) :

« ثم ارتحل موسى وبنو إسرائيل من « بحر سوف »^(١٢) ، وخرجوا الى
برية شور^(١٣) ، ثم عبروا البحر^(١٤) وساروا ثلاثة أيام فى برية ايتام ، ولم
يجدوا ماء ، فجاءوا الى « مارة »^(١٥) ، وكان مأوها مرا فلم يستطيعوا أن
يشربوا ، وتذمروا على موسى ، فأوحى اليه الرب وفتح عينيه الى شجرة إذا
طرحت فى الماء صار عذبا ، فشربوا منها .

قال :

« ثم ارتحلوا من « مارة » وجاءوا الى « إيليم »^(١٦) ، وكان هناك اثنتا
عشر عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء .

شمال غرب سيناء بمقياس ١ / ١٠٠٠٠٠٠٠
المرحلة الثالثة لخروج بني إسرائيل من مصر، إلى
البرية، ابتداءً من (إيليم) إلى بركة البحر سوف

The map illustrates the third stage of the Israelites' journey from Egypt to the wilderness. It shows the Mediterranean Sea (البحر الأبيض المتوسط) to the north, the Red Sea (البحر الأحمر) to the east, and the Nile River (نهر النيل) flowing into the delta. Key locations marked include Peluse, Tinis, and various oases and wells. A thick black arrow indicates the route from Peluse, through the desert, to the Red Sea, and finally to the wilderness near the Red Sea. The map is divided into sections by a grid.

٤ - المرحلة الرابعة فى الخروج ابتداء من بحر سوف إلى برية سين

وفى التوراة :

ثم ارتحلوا الى برية سين^(١٩) ، التى بين إيليم وسينا ، فى اليوم الخامس عشر ، من الشهر الثانى بعد خروجهم من مصر .

وتذمر الشعب على موسى وهارون ، وقالوا لهما : ليتنا متنا فى أرض مصر بيد الرب ، إذ كنا فى نعمة وشبع ، وها نحن جياع ، وها أنتمأ أخرجتمانا إلى هذا القفر لنموت جوعا .

فقال الرب لموسى . ها أنا أمطر لكم من السماء خبزا فيخرج الشعب ويلتقطونه حاجة يوم بيوم ، وفى اليوم السادس يضاعفون حاجتهم منه ليوم السبت فكانوا يجمعونه فى الصباح ، وهو مثل البزر الأبيض ، طعمه كرقاق الخبز بالعسل ، وكان فى المساء ان السلوى^(٢٠) تصعد وتغطى البرية فأكل بنو اسرائيل المن والسلوى فى البرية اربعين سنة حتى جاءوا الى طرف ارض كنعان .

منها الى « ألوش »^(٢٤) ، ثم نزلوا في « رفيديم »^(٢٥) .

ولم يكن هناك ماء ليشرب الشعب ، فتذمروا على موسى وخاصموه فصرخ إلى الرب ، فقال الرب لموسى : خذ معك شيوخ بني إسرائيل ، ومر من أمام الشعب ، وها أنا أقف أمام صخرة على جبل « حوريب »^(٢٦) ، فتضرب الصخرة بعصاك فيخرج منها ماء ليشرب الشعب ، ففعل ذلك موسى امام عيونهم ، ودعا اسم الموضع . « مسة ومريية »^(٢٧) .

وأتى العماليق^(٢٨) وحاربوا بني إسرائيل في « رفيديم » فقال موسى ليشوع^(٢٩) خادمه : انتخب لنا من الشعب رجالا واخرج بهم لتحارب العماليق وغدا أقف أنا على رأس التلة ، وعصا الله في يدي ، ففعل يشوع كما قال موسى ، فكان اذا رفع موسى يده ان إسرائيل تغلب ، واذا تعب فخفضها ان العماليق تغلب ، وكان مع موسى ان ذاك هارون أخوه ، وحوور^(٣٠) ، أحد شيوخ بني إسرائيل ، فأخذا حجرا فجلس عليه موسى ورفع العصا ، ودعماه من الجهتين ، هارون وحوور حتى تغلب بنو إسرائيل بقيادة يشوع ، على العماليق بحد السيف .

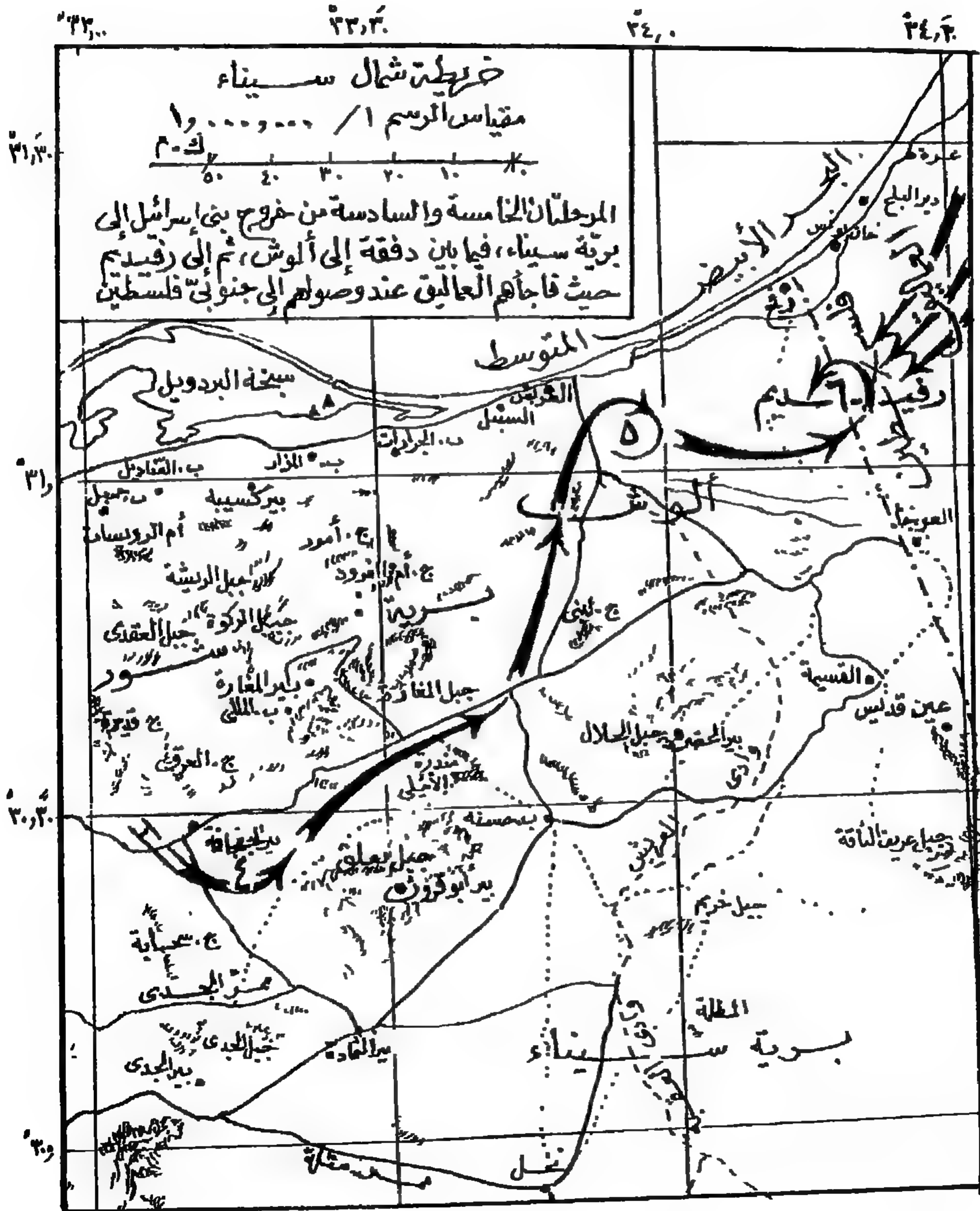
وقال الرب لموسى : أذكر هذا في الكتاب تذكارا ، وضعه في مسامع يشوع ، إنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء لتكون حرب مع عماليق من دور الى دور .. » .

قال^(٣١) :

« وسمع « يثرون » كاهن مديان ، حمو موسى ، بما صنع الله ، الى موسى والى بني اسرائيل ، فأخذ يثرون « صفورة » امرأة موسى وولديها منه : « جرشوم واليعازار » ، بعد أن كان صرفهم موسى الى مديان ، وأتى بهم الى موسى في البرية ، حيث كان نازلا عند جبل « حوريب »^(٣٢) ، فأرسل لموسى قائلا : أنا حموك « يثرون » أت اليك ، وامراتك وابناها معها ، فخرج موسى لاستقبال حميه ، وقبله ، ثم دخلا الى الخيمة .

وحدث في الغد ، أن موسى جلس كعادته ليقضى للشعب ، فوقف الناس عند موسى من الصباح الى المساء ، فلما رأى يثرون ذلك قال لموسى : انك

سوف تكل ولاستطيع ان تفعل ذلك وحدك ، والأصوب فيما أرى أن تقيم
للشعب رؤساء ألف و رؤساء مئات ورؤساء عشرات ، ذوى قدرة أمناء
مبغضين للرشوة ، يقضون للشعب ، وتتفرغ أنت لتعليم الشرائع والفرائض
والطريق الذى يسلكونه ، فلا يلجأون اليك الا فى الدعاوى الكبيرة ، وليكن
الله معك ، فسمع موسى لما أشار به حميه يثرون كاهن مديان ، ثم صرفه
إلى أرضه .. » .



٧ - المرحلة السابعة من الخروج ابتداء من رفيديم الى هضبة سيناء
وفى التوراة :

وفى الشهر الثالث^(٣٣) ، بعد خروج بنى إسرائيل من مصر ، ارتحلوا من
رفيديم وجاءوا الى برية سيناء ، فنزلوا فى البرية ، فى مقابل الجبل ، جبل
سيناء .

وصعد موسى إلى الجبل ، فناداه الرب قائلاً : أقم للجبل حدوداً
لا يقتحمها الشعب ، وليتطهر الناس وليتقدس الكهنة ثلاثة أيام .

وفى اليوم الثالث صعد موسى الجبل ، واذا صوت رعود وبروق ، ولف
الجبل سحب ثقيل ، ثم اضاء كأنه أتون نار يخرج منه صوت بوق شديد ،
فارتجف الشعب ووقفوا من بعيد .

ثم كلم الرب موسى وأنزل عليه وصايا^(٣٤) لبنى إسرائيل فى لوحين
منقوشين باسم الرب ، فنزل موسى من الجبل وفى يديه لوحى الشهادة ،
وحدث الشعب بجميع الوصايا والأحكام^(٣٥) التى أوصى بها الرب . وقال
موسى لبنى إسرائيل . يقول الرب : لا تتخذوا لكم آلهة مصنوعة^(٣٦) ، وها أنا
أرسل ملاكى أمام وجهك يحفظك فى الطريق ويسير أمامك إلى الأرض التى
أطرد منها الكنعانيين والحويين والحثيين من أمامك ، فلا تقطعون معهم
عهداً ، بل تكسرون أنصابتهم^(٣٧) وسواريهم ، فإنى سأجعل تخومك من بحر
سوف^(٣٨) ، الى بحر فلسطين^(٣٩) ، ومن البرية إلى النهر^(٤٠) ، فأجاب
الشعب بصوت واحد قائلين : كل ما تكلم به الرب نفعل ، ويكر موسى فى
الصباح ، وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل ، واثنى عشر عموداً لأسباط بنى
إسرائيل .

وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمه ، مما
يجودون به من الذهب والفضة والنحاس والخشب ، ومن فاخر الانسجة
والأطياب وحجارة الترصيع ، ويصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم ،
ووصف له الرب هيئة المسكن^(٤١) ، وعمارته وطرازه ، وطوله وعرضه

وارتفاعه ، وتوشياته^(٤٢) ومناراته وتابوته^(٤٣) ففعل موسى كل ما أمر به الرب .

وكان فى الشهر الأول من السنة الثانية ، منذ خروجهم من مصر ، أن المسكن اقيم ، وبسط خيمة فوق المسكن ، وبنى خيمة الاجتماع الى جانبه ، وأصعد السرج ، ثم غطت سحابة من نور خيمة الشهادة نهارة وليلا أمام عيون بنى إسرائيل .

وأوحى الرب إلى موسى بكل الشرائع والفرائض والوصايا التى يتبعها الشعب ، وقال له : قل لبنى إسرائيل ، أن يعملوا بكل هذه ، فإن رفضوا أو كرهت أنفسهم أحكام الرب فإنى أهزمهم أمام أعدائهم ، وإن عملوا بكل ما أوجبه فىنى أذكر لهم عهدى وميثاقى مع آبائهم .. » .

« وفى أول الشهر الثانى من السنة الثانية ، من خروجهم من مصر ، كلم الرب موسى قائلاً : احص^(٤٤) كل جماعة بنى إسرائيل ، بحسب عشائهم ، من ابن عشرين سنة فما فوق ، واجعل لكل منهم راية مميزة فى المحلة^(٤٥) ، ففعل موسى وهارون ذلك ، فكان عدد بنى إسرائيل ، بحسب عشائهم ، وبيوت آبائهم ست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة ، وخمسين^(٤٦) رجلاً ، عد اللاويين .

فأما هؤلاء ، فقد أحصاهم موسى ، من كل ذكر ابن شهرين فصاعداً ، فكانوا اثنين وعشرين ألفاً ومائتين وثلاثة وسبعين نفساً^(٤٧) » ^(٤٨)

ثم قال الرب لموسى :

« أجمع إلى سبعين رجلاً من شيوخ بنى إسرائيل وعرفائهم ، فأنزل وأتكلم معك ، وأخذ من الروح التى عليك وأضع عليهم ، فيحملون معك ثقل الشعب ، وقل لبنى إسرائيل ، الذين يشتهون اللحم ويتباكون على خروجهم من مصر ، إنى سأطعمهم لحماً شهراً من الزمان ، دون أن يذبحوا من أغنامهم .

فانتخب موسى سبعين رجلاً من خيار شيوخ بنى إسرائيل ، فلما حلت عليهم الروح تنبأوا .. » .

٨ ، ٩ (المرحلتان الثامنة والتاسعة من الخروج ابتداء من هضبة التيه فى برية سينا الى قبروت ، ثم الى حضيروت) .

وفى التوراة^(٤٩) :

« ... ثم انحاز موسى الى المحلة ، وإذا بريح شرقية ساقط اليهم السلوى من البحر وغطت المحلة ، فقام الشعب وجمعوا كل الليل وكل يوم الغد ، وأكلوا ما اشتهاوا ، وضرب الرب الشعب فى ذلك ضربة عظيمة فمات منهم كثيرون ، هم الذين اشتتهت أنفسهم اللحم ، ولذلك دعى الموضع الذى دفنوا فيه ، قبروت هتاوة^(٥٠) ، لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهاوا ومن قبروت هتاوة ارتحل الشعب الى حضيروت^(٥١) » .

قال :

« وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية^(٥٢) التى اتخذها لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ! ألم يكلمنا نحن أيضا ! فغضب الرب عليهما ، والتفت هارون فإذا هى بيضاء كالثلج ، فصرخ موسى الى الرب قائلا : اللهم ربى اشفها ، ثم حجزت سبعة أيام خارج المحلة ، حتى شفيت ولم يرتحل الشعب حتى أرجعت مريم .. » .

١٠ و ١١ (المرحلتان العاشرة والحادية عشرة من الخروج من حضيروت الى برية فاران ، ثم منها الى قادش) .

وفى التوراة^(٥٣) :

« وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا فى برية فاران^(٥٤) ، وكلم الرب موسى قائلاً : ارسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان .. » .

قال^(٥٥) :

« وأتى بنو إسرائيل ، الجماعة كلها ، إلى برية صين فى الشهر الأول^(٥٦) ، واقام الشعب فى قادش^(٥٧) ، وماتت هناك مريم ودفنت هناك^(٥٨) » .

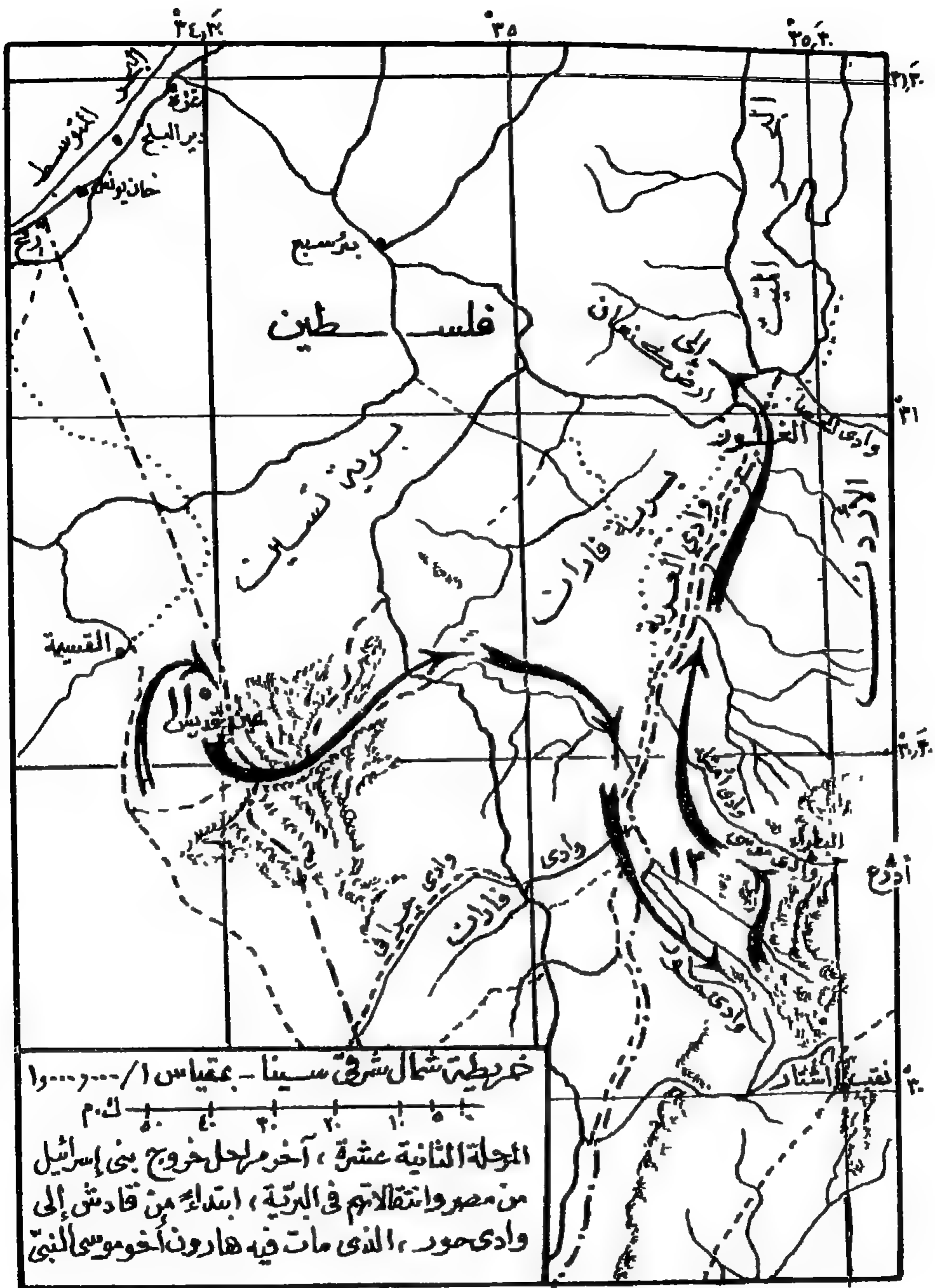
وفى التوراة :

« ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا فى جبل هور^{●●●} ، فى طرف أرض ادوم^{●●●} » .

(●) سفر العدد ١ صحاح / ٣٣

(●●) جبل « هور » - يريد جبل « حور » تجاه وادى حور الى الشرق من وادى العربة ، بين الأردن وفلسطين وهو أحد جبال الشراه التى كانت تعرف فى التوراة باسم جبال سعير ، يفرض أنها على امتداد أرض مديان شرقى خليج العقبة ، وقد مات هارون أخو موسى حوالى سنة ١٤٢٩ ق م قبل وفاة موسى بسنة واحدة

(●●●) « ادوم » نسبة الى الاسم القديم لعيسو بن يعقوب ، وهو أبو الادوميين الذين حكموا جنوبى الأردن ، فى جبال سعير ، وهى جبال الشراه الآن



المرحلة الثانية عشرة : وهي الأخيرة لبني إسرائيل في البرية منذ
 خروجهم من مصر وهي من عين قديس إلى جبال حور ثم إلى كنعان

الطريق إلى كنعان :

وفى التوراة^(٥٩) :

« وأرسل موسى ، من رؤساء بنى إسرائيل ، رسلا من « قادش » اثني عشر ، واحد من كل سبط ، وقال لهم ، اصعدوا تجسسوا الأرض والشعب والمدن ، والقلاع ، وكل ماترونه فى كنعان ، فصعدوا من برية سين حتى رحوب فى مدخل حماة^(٦٠) وظلوا أربعين يوما ، ثم رجعوا الى موسى وقالوا له :

« قد ذهبنا إلى الأرض ، التى أرسلتنا اليها ، وحقا إنها أرض تفيض لبنا وعسلا ، وهذا ثمرها ، وأظهروا له زرجونة ، بها عنقود من العنب ، ثم بعضا من ثمار التين والرمان ، غير أن الساكنين فى الأرض معتزون ومدنهم عظيمة محصنة ، وهناك رأينا بنى عناق^(٦١) العمالق الساكنين فى أرض الجنوب ، فكنا فى أعينهم كالجراد ، ورأينا هناك الحيثيين واليبوسيين والأموريين الساكنين فى الجبل ، فأما الكنعانيون فإنهم أقرب الى البحر .. »

فتذمر الشعب على موسى وقالوا : لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لكى نسقط بالسيف ، وتبقى نساؤنا وأولادنا ، غنيمة ، أليس من الخير لنا أن نعود الى مصر ؟ وقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا من بيننا ونرجع إلى مصر .

فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل جماعة بنى إسرائيل ، وصاح يشوع بن نون وقال : الأرض جيدة ، وسوف نجد نعمة فى عينى الرب ، ليعطينا إياها أرضا تفيض لبنا وعسلا ، إنما لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض هناك ، لأنهم خبزنا والرب معنا فلا تخافوهم .

وأرسل موسى رسلا من قادش إلى ملك أدوم^(٦٢) ، يقول : دعنا نمر فى أرضك لانميل يميننا ولا شمالا ، فى طريقنا الى كنعان ، فرفض واجتمع

إلادوميون للحرب ، فارتحل بنو إسرائيل ليدورا بأرض أدوم ، فى طريق بحر سوف ، فضاق الشعب وتكلموا على الرب وعلى موسى ، فتسلطت عليهم الأقاعى والحيات ، فقتلت منهم كثيرين ، فطلبوا الى موسى ان يصلى الى الرب ليرفع عنهم هذا البلاء ، واستجاب الرب لموسى ، فصنع لهم حية من نحاس اذا نظر اليها الملدوغ يبرأ .

وحارب بنو إسرائيل الأموريين^(٦٣) وطردوهم واستولوا على « حشبون^(٦٤) » ، ثم ارتحلوا ارتحالا متواليا الى عربات موآب عبر أردن « أريحا^(٦٥) » ونزلوا فى وادى زارد^(٦٦) .

وكلم الرب موسى قائلا : أوصى بنى إسرائيل أنهم داخلون إلى أرض كنعان بتخومها ، وسيتولى قسمة الأرض اليعازار^(٦٧) الكاهن ويشوع بن نون ورئيس واحد من كل سبط .

وكانت الأيام التى سار فيها بنو إسرائيل ، منذ نزولهم فى « قادش » إلى أن دخلوا وادى زارد ثمانى وثلاثين سنة ، حتى فنى كل الجيل الأول ، الذى خرج من مصر^(٦٨) .

ثم كتب هناك موسى هذه التوراة ، وأوصى بنى إسرائيل أن يتلونها فى عيد المظال ، وكان لما أكمل موسى كتابتها أنه أنشد^(٦٩) :
أنصتى أيتها السموات فأتكلم وتسمع الأرض قولى .
يهطل كالمطر تعليمى ، ويقطر كالندى كلامى .
إنى باسم الرب أنادى : أعطوا عظمة لإلهنا .
إله عدل لا جور فيه ، صديق وعادل هو .

ثم قال الرب لموسى : اصعد الى جبل عباريم^(٧٠) فى أرض موآب ، قبالة أريحا ، لأريك الأرض التى وعدت بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، ولكنك لاتدخلها الآن ، لأنك تموت فى هذا الجبل ، وتضم الى قومك ، كما مات هارون أخوك فى جبل هور وضم الى قومه .

وقعت قبيل الميلاد فى مناسبات معهوده ، وكان هدفنا تصحيح جميع الأزمنة على التحقيق ، ابتداء مما قيل إنه تاريخ آدم الأول ، فرضا أو بالحقيقة إلى سلسلة تواريخ الأسرات الملكية فى مصر الفرعونية ، وما تتخللها من الحوادث ، وأظهرها غزو العمالقة الهكسوس وعلاقة ذلك بدخول بنى إسرائيل أو خروجهم ، بما فى ذلك من اختلاف القول ، فإننا نستكمل ما تقدم بأن نسرد إجمالا أهم الموضوعات التى تتعلق ببنى إسرائيل مما يلى الخروج من مصر حتى عهد الملك سليمان ، ثم نتجاوزه إلى تاريخ السبى البابلى ، ونختم ذلك بالوصول إلى أول التاريخ الميلادى ثم الهجرى ، ونقرن ذلك بالتاريخ العبرى^(٧٢) :

التاريخ الميلادى التاريخ العبرى		الموضوعات الهامة
(ق . م)	(عبرية)	
١٤٦٨	٢٢٩٢	تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادة موسى النبى .
١٤٢٨	٢٣٣٢	وفاة موسى فى السنة الأربعين من الخروج ، وتولى يشوع بن نون قيادة بنى إسرائيل فى أرض كنعان
١٤٠١	٢٣٥٩	وفاة يشوع بن نون ، وتولىه فينحاس بن اليعازار ابن هارون ، وفى عهده دفنت عظام يوسف فى « شكيم »
١٢٢٩	٢٥٣١	تغلب الفلسطينيين فى بعض المواقع بعد حروب متصلة
١٠١٢	٢٧٤٨	أول حكم الملك داود .
٩٧٢	٢٧٨٨	أول حكم الملك سليمان بن داود .
		وفى بداية توليه الحكم صاهر الملك (يسوسنس الثانى) فرعون مصر ، وفى السنة نفسها صعد ملك مصر إلى بلده (جازر) فى فلسطين وطرد أهلها عنوة وأعطاهم هدية إلى الملك سليمان ، مهرا لابنته .
٩٦٨	٢٧٩٢	وفى السنة الرابعة من حكمه سنة ٩٦٨ ق . م بدأ الملك سليمان فى بناء بيت المقدس ، فيكون من الخروج إلى بناء البيت خمسمائة سنة ، ومثلها إلى ميلاد إبراهيم الخليل .

٩٥١	٢٨٠٩	وفى السنة الحادية والعشرين ، من حكم الملك سليمان ، جاءت الملكة بلقيس ، ملكة سبأ ، إلى اورشليم بهدايا إلى الملك سليمان .
٩٣٢	٢٨٢٨	ابتداء حكم الملك رحبعام بن سليمان بعد وفاة أبيه ، وفى السنة الخامسة من حكمه صعد (شاشانق الأول) فرعون مصر ، واستولى على خزائن بيت المقدس قتل (نخاو الثانى) فرعون مصر ، يوشيا بن أمون ، عندما اعترض طريقه فى حرب الأشوريين - وذلك فى السنة الثالثة من حكم (نخاو الثانى) وهى الحادية والثلاثين من ملك يوشيا على اورشليم ، ثم أخذ ابنه (يواحازين يوشيا) أسيرا ، ومات فى مصر موقعة قرقميش التى هزم فيها الجيش المصرى بقيادة الملك (نخاو الثانى) .
٦٠٧	٣١٥٣	٠
٦٠٥	٣١٥٥	ابتداء حصار الملك (بنوخذ نصر) لبيت المقدس أول السبى البابلى الشامل لليهود وخراب اورشليم ، الذى دام سبعين عاما ، حتى أعيد بناء معبد اليهود بأمر قورش العظيم سنة ٥٣٨ ق م وفى « التوراة » أنه فى السنة السابعة من حكم الملك الفارسى (ارتكزكشيس) سنة ٤٥٨ ق م ، أصدر أمرا بعودة اليهود من السبى وبناء بيت المقدس .
٥٩٧	٣١٦٣	نهاية السبى البابلى وإعادة بناء البيت .
٥٨٦	٣٢٧٤	أول التقويم الميلادى
٥١٦	٣٢٤٤	١ ميلادية
٦٢٢	٣٧٦٠ =	٦٢٢ ميلادية = ٤٣٨٢ هجرية = أول التقويم الهجرى = ١ هـ .

(١) عن التوراة . سفر الخروج - ص ١٢ / ١٤ (يتصرف) .

(٢) قوله . « ألى طريق فلسطين . » يعنى به الطريق الساحلى العام ، بازاء البحر المتوسط ، ويبدأ هنالك من القنطرة مارا برمانة إلى العريش ورفع وغزة الى فلسطين .

(٣) قوله « إذا رأى الشعب حربا » يشير إلى احتمال نشوب حرب مع أصحاب الأرض المقيمين فى فلسطين ، بينما الشعب الآن مهك وليست له قوة على الحرب ولا الرغبة فيها

(٤) « بحر سوف » . يعنى ، بحر البردى ، وبرىة بحر سوف هما الأرض اللينة المغمورة بالماء التى تمتد الى الجنوب والشرق من بحيرة المنزلة ، وكان يبت فيها شجر العاب وهو البردى ، ثم ماوالاها من الأرض الرملية

(٥) « سكوت » لفظ عبرى قديم (سوخيت) بمعنى الخيام أو المظلات ، ويراد به الأماكن المعدة بمثابة استراحات مؤقتة على طريق المسافرين والموقع المشار اليه تلك التسمية يقع فى الاكثر بين صان الحجر وبين الصالحية مسيرة يوم أو يومين من صان

(٦) « ايتام » اسم مدينة قديمة فى الآثار المصرية لها عدة تسميات محرفة متشابهة . فهى ايضا (بيتام) أو فيتام ، والاصل المصرى فيها هو (بى اتوم)

أى مدينة الإله « اتوم » والمراد بها احدى مدينى المخازن اللتين بناها الاسرائيليون بالتسخير فى أوائل عهد الملك احمس الأول عقب طرد الهكسوس سنة ١٥٦٨ ق . م .
والذى وجدناه فى الخرائط الطبوغرافية فى تلك البقعة أثر مدينة تدعى « بوتو Buto » على قريب من ١٥,٠٠ كيلو مترا جنوبى شرقى صان الحجر ، على الطريق منها الى الصالحية .
فأما الذى قيل فى التوراة عن ان الرب كان يراقبهم نهارا فى عمود من السحاب ، وليلا فى عمود من نار فلم تجد لذلك تفسير افصح مما جاء فى كتاب وصف مصر Description de Egypt الترجمة العربية ج ٣٥٩/٢ بأن ذلك يعنى المتاعل المضيفة ليلا وأعمدة الدخان نهارا .

(٧) « فم الحيروث » لفظ « الحيروث » هنا جاء كذلك فى التوراة ، ونرى انه محرف عن الاسم المصرى القديم لقلعة أواريس « حات أدوارت Hat Awar » وهى التى بناها الهكسوس عند استيلائهم على مصر سنة ١٧٥٦ ق م
واللفظ بأكمله يعنى مصب فرع النيل الشرقى الذى يكتنف القلعة من الجنوب والشرق فى نهايته عن البحر المتوسط - فالقم - هو المصب الذى يسمى عادة عند « المصريين »
اشتوم أنظر خرائط الآثار .

(٨) « مجدل » اسم موضع فى الآثار كان بمثابة نقطة حراسة محصنة على قريب من حوالى ٢٠,٠٠ كيلو مترا جنوبى قلعة « اواريس » وجد على الخرائط القديمة باسم « محدولون » الى الجنوب الغربى من بئر الدويدار ، يما يقرب من ستة كيلومترات ، وعلى طريق فرعى موصل الى الطريق الساحلى العام الى فلسطين - (انظر خرائط وصف مصر - لوحة رقم ١٠)

(٩) « بعل صفون » : لا يوجد اسم (صفون) فى جملة بلاد الوجه البحرى ، ولا بالعربية ولا بلغة اخرى ، والاشبه انه يعنى (صوعن Touan) اى مدينة « صان الحجر » التى تعرف فى الاثار باسم (ثانىس Thanis) وقد ينطق ذلك ايضا بالتحريف « صقعن Savan » والمراد بقوله « أمام بعل صفون » ..

به معبد صان اى مدينة صان ، ولما كان إله صان الحجر المعروف عند الهكسوس باسم « سوتخ » وان قلعة أواريس كانت لهم ، والقول هنا يعنى به ان ينزل بنو اسرائيل فى اتجاه (صان) غربا وفى اتجاه قلعة « أواريس » على البحر شمالا ، بينها وبين مجدل .
فأما التسمية القديمة لمدينة صان الحجر فهى بالمصرية القديمة (زوعن) ولها عدة مرادفات متشابهة التحريف

(١٠) انظر كتاب (وصف مصر Description De Egypte - الترجمة العربية ج/٢ الدراسة التاسعة : « كيف خرج اليهود من مصر » . رغم أن المؤلف (دى بوا ايمية) قد جعل الخروج من عند قم خليج السويس

ونحن متى فرضنا ان هذه النقلة هى أول مراحل خروج بنى اسرائيل ، فان التيه فى البرية استغرق معهم ابتداء سنتين ، حتى جاءوا الى قادش وبرية فاران وجبل حور ، فى اثنتى عشرة مرحلة

ثم ظلوا فى استقرارهم فى قادش حتى بدأوا الدخول الى فلسطين فى السنة الأربعين عندما وصلوا الى وادى الحصا وهو وادى زارد ، تشرقى البحر الميت ، وقد ماتت مريم وهارون وموسى فى اواخر تلك المدة هناك .

(١١) سفر الخروج - ص ١٥ ، وسفر العدد - ص ٣٣ / (بتصرف) .

(١٢) « بحر سوف » : يعنى بحر البردى ، وهو البحر الأبيض المتوسط ، ويراد به هنا منطقة بحيرة المنزلة ومستنقعاتها الى الجنوب والى الشرق منها

(١٣) « برية شور » : هى الجزء الشمالى الغربى من سيناء ، المتاخم لشرق الدلتا ، والمحصور بين الطريق الساحلى الى غزة وبين الطريق الصحراوى من الاسماعيلية الى القدس وسوريا

(١٤) قوله « تم عبروا البحر » يعنى اجتازوا مخاضة بحيرة المنزلة الى برية ايتام وساروا ثلاثة ايام يبحثون عن الماء

وفى التوراة - « سفر العدد ص ٣٢ » قال

« ثم ارتحلوا من أمام الحيروث وعبروا فى وسط الماء الى البرية ، وساروا مسيرة ثلاثة ايام فى برية ايتام ، ونزلوا فى « مارة » .. »

(١٥) « مارة » . اسم بئر ، تعرف فى الخرائط الطبوغرافية باسم بئر (مر) وهى الى الجنوب من سفح جبل بهذه التسمية ، الى الشمال الشرقى من عيون موسى بمقدار ١١ كيلو مترا

تقريباً ، وأما البحيرات المرة فلم تكن إذ ذاك ، ولا تصلح لما قيل فى تحلية الماء .
فأما الشجرة التى قيل إن موسى وضع بعض فروعها فى الماء ، يبدو أنها ذات خاصية
لتشرب الملوحة إذا شقت أغصانها والقيت فى الماء ، تم أجرى سحبه تباعاً ليبقى من الماء
أقله ملوحيه - (انظر تفسير ذلك فى كتاب « وصف مصر » ج ٢/ص ٢٥٤ - الترجمة العربية عن
تاريخ يوسفوس اليهودى) .

(١٦) « ايليم » . هى منطقة عيون موسى ، وهى فى الجنوب الغربى من بئر مارة ، على خليج
السويس ، وقد كانت قديماً عدة عيون ماء على قمم الروابي الرملية يحيط بها نخيل ولم يبق منها
الآن غير آثارها
انظر . الدراسة الثالثة ، فى كتاب « وصف مصر » ج ٢/ص ٨١ الترجمة العربية ، عن عيون
موسى

(١٧) « التوراة » سفر الخروج - ص ١٧ ، وسفر العدد - ص ٢٢

(١٨) قوله « وأتوا الى بحر سوف . » يعنى انهم عادوا الى موضعهم الأول عند بحر
سوف ، وهو البحر الأبيض المتوسط فى المكان القريب من (الفرما Pelusium) بينها وبين
بئر قاطية شرقي بحيرة المنزلة .

(١٩) « برية سين » هى الأرض الرملية المحصورة بين طريق شور الى فلسطين ، وبين
برية سينا التى فى سفح هضبة التيه .
والتوراة يسمي هذه برية « سين » بفرض انها امتداد لتلك التى فى جنوب فلسطين وان
كليهما امتداد طبيعى لبرية سيناء .

(٢٠) قوله « من السماء خيراً » يراد به المن وهو ذرات من الندى المشبع بطعم محلى
كالعسل ، وقيل انه يخرج لزجاً من شجيرات كانت وفيرة فى سيناء اذا ذاك ، وكانت تذورها
الرياح فتساقط من السماء

(٢١) « السلوى » يبدو انها صنف من الطيور المهاجرة التى ارفعها السفر الطويل فتلجأ
الى السهل القريب من شاطئ البحر وقد يكون هذا « طير السمان » الذى يأتى الى مصر فى
الربيع هرباً من البلاد الباردة فى شمال أوروبا .

(٢٢) سفر الخروج - ص ١٧ وانظر : سفر العدد ص ٢٢ /

(٢٣) « دفقة » ربما كان اسم بئر فى الطريق الى وادى ألوش قرب الجعجافة .

(٢٤) « ألوش » . يعنى وادى العريش ، شمالى جبال الخرم ، التى تسمى فى الخرائط
القديمة ، جبال الوس .

(٢٥) « رفيديم » . يبدو انه سهل « رفح » عند بلدة (أبو عرييلة) الى الشرق عند الحدود

المصرية ، وفيها هاجم العمالقة الذين كانوا يقطنون جنوبي فلسطين بعد طردهم من مصر ، بنى إسرائيل في التيه عندما وصلوا الى هذه البقعة .

(٢٦) « حوريب » . تسمية تطلق في التوراة على جبل سيناء ، في الجنوب ، غير أنه في هذه المنطقة التي يحتويها وادي العريش ، ربما كان احد الجبال القريبة ، واشهر هذه جبل حلال ، وفيه بئر الحضرة

(٢٧) « مسة ومريبه » . تعبير باللغة العبرية ، جاء في التوراة بمعنى الحقيقة بالتجربة مع المخاصمة

(٢٨) « العماليق » البدو من عرب فلسطين ، وهم قلول الرعاة الذين هاجموا مصر في حرب الهكسوس ، وكان بعضهم يقيم في مصر قريبا شرقي الدلتا وتسمالها ، والبعض يقطن جنوبي فلسطين ، ولذلك اكتنفوا بنى إسرائيل من الجانبين وضربوهم بعنف

(٢٩) « يشوع » : هو يشوع بن نون ، خادم موسى ، وهو الذي قاد بنى إسرائيل من بعده ، في ارض كنعان ، بعد أن اجتازوا جنوبي فلسطين

(٣٠) « حور » أحد مشايخ بنى إسرائيل ، من سبط يهوذا .

(٣١) « التوراة » سفر الخروج - ص١٨ .

(٣٢) « حوريب » هنا يريد به جبل سيناء ، الذي يعرف باسم جبل موسى ، أو هو جبل ديركاترينه

(٣٣) التوراة . أصحاح ١٧ بتصرف للايجاز .

(٣٤) « وصايا » . يعنى وصايا الرب العشر ، ومايتبعها من الفرائض التي أوحى بها الى موسى فكتبها في لوحين .

فأما الوصايا العشر ، فهي :

١ - لا يكن لك آلهة أخرى أمامي

٢ - لا تصنع لك تمثالا منحوتا لتعبده ، ولا صورة ما في السماء أو في الأرض

٣ - لا تنطق باسم الرب الهك باطلا

٤ - اذكر يوم السبت لتقدس

٥ - اكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض

٦ - لا تقتل

٧ - لا تزني .

٨ - لا تسرق .

٩ - لا تشهد على قريبك شهادة زور .

١٠ - لا تشته بيت قريبك ، ولا تشته امرأته ، ولا عبده ولا امته ولا شئ مما هو لقريبك .

(٢٥) « الأحكام » . يعنى الشرائع والفرائض والقوانين الوضعية التى تتبع انحاء الوصايا ، وهى كثيرة مفصلة فى موضعها من « التوراة » .

(٢٦) « آلهة مصنوعة » : يعنى التماثيل المصورة ، من مادة صلبة ، كالذهب والفضة والحجر والخشب ، وغير ذلك من المسبوكات .

وفى « التوراة » : أن موسى لما نزل من الجبل وجد أن هارون أخاه قد سبك لهم الذهب عجلا يعبدونه ، فغضب حتى رمى بلوحي الشهادة من يده فكسرهما ، فقال هارون . لا تغضب ، رأيت الشعب فى شر ، يقولون . موسى الذى أضعنا من مصر قد أبطأ فى الجبل ولا نعلم ماذا أصابه ، فاصنع لنا الها يسير أمامنا ، فصنعت لهم إلها على هيئة العجل ، فقال موسى خطيئة عظيمة أمام الرب ، وعاد مرة أخرى الى الجبل وناجى ربه أن يهدى الشعب فغفر لهم ، وكتب موسى لوحين على متال اللوحين اللذين كسرا - (أنظر سفر الخروج - ص ٢٢) .

(٢٧) « الأنصاب » جمع « نصب » وهى التماثيل والقوائم والأعمدة من الحجر التى ينصبونها مرفوعة تمثل الالهة
فأما السوارى ، فهى جمع (سارية) ، وهى كالأنصاب ، تصنع من الخشب على قوائم ، ويجعل فى أعلاها رمز يشير عادة الى الكواكب التى يتعبدون لها ، فإذا قيل « سارية عشتاروت » فهى تعنى كوكب الزهرة

(٢٨) « بحر سوف » هو البحر المتوسط عند بحيرة المنزلة ، بما يلحقه من الخلجان الداخلة فيها ، والمعنى انه بحر البردى ، لكثرة ماكان يوجد من البردى فى شمال الدلتا وخاصة عند اطراف البحيرات والمستنقعات .
وليس صحيحا ان يخلط بين هذا وبين بحر « أزوف » الذى قد يراد به غالبا البحر الأسود .

(٢٩) « بحر فلسطين » هو البحر الميت المسمى قديما « بحر لوط » نسبة الى « لوط » بن هاران اخى ابراهيم

(٤٠) قوله . « من البرية الى النهر » يعنى من برية سين ، وهى التى فى جنوب فلسطين ، وشمال سيناء ، إلى نهر الأردن شمالا عند بحيرة طبرية .

(٤١) « المسكن » يعنى بيت الرب للعبادة ، وهو المقدس ، ويبدو انه اقيم فى هضبة التيه ، فأما الهيئة المعمارية والطول والعرض ، وكذا النقوش والستائر وغير ذلك ، فجميع ذلك مفصل فى موضعه ، من « التوراة » - سفر الخروج .
ويمكن الرجوع الى (تفسير سفر الخروج للأرثوذكس نجيبي جرجس) - وفيه بعض الرسوم التى تمثل ذلك - (طبع القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

ومن الجائز ان الأصل فى هيئة المسكن أخذ مما كان موجودا بالرسوم المصرية القديمة فى « سراييط الخادم » فى سيناء .

(٤٢) « التوشيات » . النقوش والزخارف التى تتبع الأشياء المصوغة ، والتى فيها فضل صنعة .

(٤٣) « التابوت » . الصندوق كان يجعل فيه كتاب الوصايا العشر ، رمزا لبنى اسرائيل عن العهد الذى اعطاه لهم الرب ، بحسب اعتقادهم

(٤٤) « التوراة » - سفر العدد - ص٢ / ٢ و ٤ .

(٤٥) « المحلة » . الموضع الذى كانوا يحلون فيه ، كل سبط برايته للتمييز ، وموضع المسكن هنا ، فى برية سيناء على اطراف هضبة التيه

(٤٦) وهذا العدد سبق الاشارة الى انه لا يستقيم مع المدة التى قضاهها بنو اسرائيل فى مصر ، على قياس اقصى المعدلات المعهودة للمواليد والوفيات ، ويبدو أن العدد (٦٢٥٥) رجلا فقط .

(٤٧) ٤ (٤٨) انظر سفر العدد ص١٠ / ١١ والأشبه أن العدد الصحيح هنا اقرب الى (٢٧٣ رجلا) بفرض أن لاوى هو احد اولاد يعقوب

(٤٩) سفر العدد - اصحاح ١١ و ١٢ (باختصار) :

(٥٠) « قبروت هتاوه » لفظ عبرى يعنى قبور اهل الشهوة ، ويبدو ان كان بجوار البئر المسماة « بير المقيبرة » الى الجنوب من بير قاطية عند ساحل البحر المتوسط .

(٥١) « حضيروت » . والأشبه انها بئر الحضرة ، فى الجنوب من جبل الحلال ، عند وادى العريش فى سيناء .

وهذه المرحلة من برية سيناء بجوار الجبل الى حضيروت انما كانت عن طريق بير المقيبره ، حيث مات كثيرون بسبب التخمة مما أكلوه من السلوى فى المحلة بجوار البحر ، ثم بعد ذلك استمروا فى طريقهم الى « حضيروت » .

(٥٢) المرأة الكوشية يعنى بها زوجة موسى صفورة الكوشية بنت كاهن مديان .

(٥٣) « التوراة » - سفر العدد اصحاح ١٢)

(٥٤) « برية فاران » تسمى ايضا (باران) نسبة الى وادى باران فى جنوبى فلسطين ، الى الغرب من وادى العربية ، الذى يصل البحر الميت بمدينة العقبة وهى ايضا فى اتجاه وادى حور من الجانب الاخر

(٥٥) (التوراة - سفر العدد اصحاح ٢٠) .

(٥٦) قوله « ... فى الشهر الأول » . يعنى فى الشهر الأول من السنة الثانية منذ خروج بنى

اسرائيل من مصر ، وبرية (صين) هي امتداد برية (سين) شمالا وشرقا عند الحدود المصرية

(٥٧) « قادش » يعنى بها عين قديس ، ويسمىها التوراة ايضا عين مشقاط ، كما فى سفر التكوين اصحاح / ١٤ وتارة باسم (قادش برنيح)
وهى كما فى الخرائط الحديثة باسم (عين قديس) وتقع جنوبى شرقى القسيمة وعين قديران داخل الحدود المصرية فى شمال شرقى سيناء ، وقد ظلوا هناك الى ان ابتدأوا الدخول الى كنعان فى السنة الأربعين من الخروج ، عندما وصلوا الى وادى زارد

وهى التوراة - سفر العدد - اصحاح ٢٢ يعصل ذلك بدلا له اسماء مواقع لم نجد لاكثرها اثرا فى الخرائط القديمة خاصة منطقة سينا ، وهى على الوجه التالى
” وارتحلوا من حضيروت ونزلوا فى رثمة ، ثم ارتحلوا من رثمة ونزلوا فى رمون فارص ، ثم ارتحلوا منها ونزلوا فى لسة ، ثم ارتحلوا من لسة ونزلوا فى رسة ، ثم ارتحلوا من رسة فنزلوا فى قهيلا ، ثم ارتحلوا منها ونزلوا فى جبل شافر ، ثم ارتحلوا من جبل شافر ونزلوا فى مرادة ، ثم ارتحلوا من مرادة ونزلوا فى مقهيلوت ، ثم ارتحلوا من مقهيلوت ونزلوا فى ماحت ، ثم ارتحلوا منها الى تارج ، ارتحلوا من تارج ونزلوا فى مثة ، ثم ارتحلوا من مثة ونزلوا فى حشموة ، ثم ارتحلوا من حشموة ونزلوا فى مسيروت ، ثم ارتحلوا منها ونزلوا فى بطبات ، ثم ارتحلوا من بطبات ونزلوا فى عبرونه ثم ارتحلوا من عبرونه ونزلوا فى عيون جابر ثم ارتحلوا منها ونزلوا فى برية حيين ، وهى قادش . . . ”

ومن هذه الاخيرة ، فاما بطبات ، فهى ”بطاقتة“ فى وادى العرب الى قريب من خليج العقبة - واما عصيون جابر ، فالاشبه انها ”ايلات“ عند العقبة .

(٥٨) توا - وماتت هناك مريم ودفنت هناك - يعنى انها توفيت فى الوقت الذى اقام فيه بنو اسرائيل على حدود جنوبى فلسطين فى برية صين التى بها شر قادش وذلك قبل ان يدخلوا كنعان عن طريق وادى خوار .

ويشبه ان مريم اُحت هارون توفيت سنة ١٩٣٦ ق . م ، فى نهاية السنة الثالثة والثلاثين من بدء الخروج من مصر ، وكان لها من العمر ١١٩ تقريبا

(٥٩) انظر . سفر العدد - ص ١٣ و ١٤

(٦٠) « حماة » مدينة قديمة تقع فى أرض سوريا ، الى الشمال من حمص

(٦١) « بنو عناق » من العماليق ، وهم البدو الرحل ، كان بعضهم فى سوريا ، وبعضهم فى جنوبى فلسطين

(٦٢) « ملك أدوم » من أولاد عيسو بن إسحاق ، وهم الذين كانوا يقطنون الى الشرق من وادى العربة ، من بحر لوط الى خليج العقبة ، وهى تتبع الأردن الآن .

(٦٣) « الأموريون » بطن من كنعان كانوا يقطنون شرقى نهر الأردن ، وجنوب شرقى فلسطين

(٦٤) « حشبون » . عاصمة الاموريين قديما ، وتقع الى الشرق من نهاية البحر الميت جنوبى غرب عمان

(٦٥) « أريحا » . تقع الى الشمال الشرقى من مدينة القدس ، فى فلسطين .

(٦٦) « وادى زارد » : يبدو أنه المعروف الآن على الخرائط باسم « وادى الحصا » شرقى البحر الميت تجاه مدينة سدوم

(٦٧) « اليعازار الكاهن » هو ابن هارون أخى موسى

(٦٨) انظر التوراة - سفر التثنية ص ٢ / قال
« .. والأيام التى سرنا فيها من قادش برنيع حتى فنى كل الجيل ، رجال الحرب ، من وسط المحلة ، كما اقسم الرب لهم ، ويد الرب كانت عليهم لآبائهم من وسط المحلة حتى فنوا »

(٦٩) « جبل عباريم » فى جملة التلال الممتدة شرقى البحر الميت من وادى ارنون الى وادى ابو عربة شمالا - وأعلى قمة فيها بارتفاع ٨٠٦ مترا انظر خريطة فلسطين .

(٧٠) « الجواء » الفضاء حول الجبل ، وفى التوراة ان موسى دفن فى سفح جبل « نبو » ويبدو أنه القمة العليا فى تلك السلسلة المؤتثر امامها فى الخرائط الطبوغرافية بارتفاع ٨٠٦ مترا ، قريبا من (حشبون) فى إتجاه أريحا من الجانب الاخر غربى نهر الأردن

(٧١) قوله : « كما اوصى الرب موسى » .. يعنى ان الرب اوصى موسى أن يتولى « يشوع بن نون من بعده ، تدبير امر بنى اسرائيل لاستكمال استلائهم على أرض كنعان

(٧٢) وهذه القسمة ليست واضحة تماما فى سياق القول فى التوراة ، ونكتفى من ذلك بما جاء فى اطلس الكتاب المقدس للاستاذ هـ - هـ . روى ، واسنا من هذا التقسيم على ثقة تماما (انظر الخريطة المرفقة) .

(٧٣) وقد كان من المستطاع أن يتوسع فى ذلك فذكر أسماء وتواريخ القصاة ومدبرى بنى إسرائيل ، والحروب التى حاصوها فى كنعان ، غير أننا وجدنا فى ذلك فضلا يجرح بنا عما قصدناه فى موضوع رحلة بنى إسرائيل إلى مصر والحروب ، وأن هنالك مراجع كثيرة فى ذلك ، أشهرها تاريخ يوسيفوس اليهودى ، وتاريخ ابن العبرى ، تم هى بالتفصيل فى التوراة

أقاويل المؤرخين فى الخروج

رغم أن كل ما قيل قبلا فى قصة بنى إسرائيل كان يدور حول موضوع الخروج وتاريخه فقد اختلف المؤرخون فى أمر خروج بنى إسرائيل من مصر الفرعونية ، فى عدة مواضع :

١ - تاريخ الخروج ، وأكثر ذلك عند بعضهم ، أن بنى إسرائيل خرجوا من مصر فى عهد الملك (مرنبتاح ١٢٢٢ / ١٢١٠) ق . م ، فى الأسرة التاسعة عشرة

٢ - أن موضع الخروج كان عن طريق خليج السويس ، بالبحر الأحمر ، وأن موسى شق الماء بعصاه فمروا على اليابسة ، ثم أطبقت المياه على جيش فرعون الذى كان يتعقبهم .

٣ - يخلط البعض بين بنى إسرائيل وبين البدو ، بوصف أن كليهما جميعا من الرعاة ، وعلى هذا رأى فهم جزء من جيش الهكسوس ، أو أن بينهما صلة ما ، عند آخرين .

وهناك زيادات كثيرة واستنتاجات لها فى تضاعيف تلك الأقاويل يمكن أن تبين من خلال تلخيصها لها

ولعل الذى دعا إلى اختلاف الرأى عند المؤرخين وعلماء المصريين^(١) عند تنسيق النظر فى رحلة بنى إسرائيل إلى مصر والخروج ، هو الاعتماد على التواريخ المكتوبة فى هامش النسخ المطبوعة من التوراة ، والواقع أن هذه ، فضلا عن أنها تواريخ تقريبية ، فإن وحداتها أو مفرداتها ، ومجموعاتها ، إنما تخضع فى ترتيبها للتقويم العربى بالسنين القمرية ، وخاصة فيما قبل الخروج .

وفى التوراة .

أن بنى إسرائيل مكثوا فى مصر أربعة قرون وثلاثين سنة ، فأما الذى
تيقنا منه بالحساب ، فهو أنهم قضوا فى مصر مائتى وعشر سنين .

وفى التوراة أيضا .

أن من خروج بنى إسرائيل من مصر إلى تاريخ بناء المعبد فى
أورشليم ، فى السنة الرابعة من حكم الملك سليمان ، أربعمئة وثمانين
سنة ، والذى اتضح لنا أن هذه المدة خمسماية سنة .

ومع ذلك ، ورغم الفائدة العلمية فى بعض ما قيل ، فإن الموضوع فى
ذاته ، يبدو ناقصا أو يكتنفه الغموض والشك ، ونحن هنا نحاول أن نجعل
القول مستقصى من جميع جوانبه ، فنتخير مما قالوه فى ذلك أقدمه
وأحدثه .

(١)

فأما أقدم ما قيل ، فى رحلة بنى إسرائيل ، فهو ما جاء فى كتاب
(وصف مصر^(٢) .. Description de Legypt) .

ومضمون ما ذكره المؤلف فى هذا الكتاب يعطى القارىء انطبعا فى
عدم قبوله لجميع المعجزات التى ذكرتها التوراة فى خروج بنى إسرائيل
تحت قيادة موسى ، وفى ملاحظات له فى اعتقادات بنى إسرائيل وتعلقهم
بالخرافات الدينية ، مما سهل على النبى موسى قيادتهم والخروج بهم ، ثم
تركهم فى البرارى والهضاب أربعين سنة ، كى يضمن نفاذ هذا الجيل
المتنرد الضعيف ، وينشأ بعده جيل يمكن أن يصلح للحرب فى كنعان ،
فكان أن أدارهم عن الطريق المعهود إلى فلسطين وجنح بهم إلى هضبة
التيه فى سيناء ، ثم أخذ يكلمهم عن لسان الرب ، الذى هو ، قبل كل
شئ ، رب إسرائيل ، ويكتب لهم الوصايا والشرائع والأحكام ، التى
آفادتهم كثيرا بعد أن وصلوا إلى أرض كنعان .

والمؤلف لم يذكر فى سياق القول تاريخ الخروج على التحديد ، ولا كيف
دخل بنو إسرائيل إلى مصر ، بل إنما ابتدأ بالكلام عن إبراهيم الخليل ، ثم
خلص منه إلى تنبيه الناظر فى ذلك أنه يلزمه أن يتقبل الفكرة التى تقول .

إن العبرانيين كانوا لايزالون يقطنون في مصر إلى عهد (سيزوستريس)^(٢) . فرعون مصر ، وأن ابنه (مريبتاح)^(٣) ، هو الذى أخرجهم بعد أن اشتركوا مع الرعاة المهاجمين لمصر فى زمانه .

تم ادخل فى الموضوع قصة خروج الهكسوس عن « مانيتون Maniton » المؤرخ المصرى . يتصرف آخر . يبدو أنه نقله عن « يوسيفوس Josephus » اليهودى . قال فيها

« .. إن « أحموسيس »^(٤) حاصر الهكسوس فى « أفاريس » ، حيث احتموا فى قلعتهم هناك ، وعندما لم يتمكن من الاستيلاء عليها بعد حصارها ، وافق على أن تخرج الحامية من أرض مصر مع كل ما تملكه ، فكان أن عبر الرعاة صحراء سوريا ، ولما كانوا يخشون بأس الآشوريين فقد استقروا فى جبال الجودية^(٥) ، حيث أسسوا هناك مدينة « أورشليم »^(٦) ، وقد تبعثروا هناك فى كل البلدان ، وإلى هنا ينتهى عهد ملوك الرعاة ، أو (الهكسوس) ، فى مصر . بعد أن أذلوا عرش الفراعنة خمسة قرون^(٧) . . . »

قال

« وأما العبرانيون الذين وجدوا قبل ذلك مأوى وحماية من ملوك الرعاة ، بسبب أصلهم المشترك وتطابق عاداتهم وتقاليدهم مع عادات الرعاة العرب ، فقد واصلوا الإقامة فى مصر وجرت عليهم أقدار المهرومين » وانسحب عليهم ما كان يكنه المصريون من أحقاد نحو أولئك ، وقد أخذ الوطنيون يشيرون إليهم صراحة باسم الأنجاس والمجدومين^(٨) .

وقد ظل هؤلاء الأنجاس ، وهى صفة كانوا يلحقونها بالرعاة عامة ، بما فى ذلك الرعاة المصريون ، الذين كانوا يمارسون عادات الهكسوس ، يتمتعون فى مصر مع ذلك بقدر محدود من الحرية ، حتى عصر « أمنوفيس » والد (سيزوستريس)^(٩) الشهير . . . »

قال :

« وقد آمن « أمنوفيس » ، يدفعه فى ذلك الكهنة ، أنه سوف يتقرب إلى الآلهة أكثر ، إذا هو اضطهد الرعاة الأجانب ، والمصريين التابعين لهم فى عقيدتهم وعاداتهم ، فجمع عددا كبيرا منهم لتسخيرهم فى البناء وقطع الأحجار من جبل المقطم ، وفى مختلف الأعمال الشاقة

تم عاد « آمنوفيس » ، بعد أن تراءت له بعض المخاوف الأسطورية والمتطيرة ، فسمح لهم بالاقامة فى أرض « جاسان »^(١١) ، فاخترأوا من بينهم رئيسا لهم ، واحدا من الكهنة كان قد نفى معهم ، بسبب آرائه الدينية دون شك ، يدعى (أوزرسيف)^(١٢) ، ولحق به كهنة آخرون كانوا يشاطرونه معتقداته ، وقد أعطى (أوزرسيف) ، هذه الألوف من المنتسقين المصريين ومن القوم الرعاة ، ديانة خاصة ، كانت بالضرورة خليطا من ديانتى هذين الشعبين ، وأمر هؤلاء ألا يتصاهروا إلا فيما بينهم ، ولكى يحول دون أى صلح بين هؤلاء وبين المصريين ، أباح لهم أن يأكلوا لحوم حيوانات تعد مقدسة عند المصريين ، وأوعز لهم بهدم أو تشويه تماثيل الآلهة المصرية ... »

قال

« وقد كانت النتيجة للاضطهادات الدينية والحروب والثورات أن عددا كبيرا من العائلات أخذت تبحث لأنفسها ، ومعها آلهتها ، عن وطن جديد^(١٣) ، ويبدو أن هذا الوقت هو الفترة التى يحتمل فيها أن مستعمرات عديدة نشأت خلالها فى بلاد الإغريق ، فإن رأى البعض أن هذه الديانة ليست هى تماما الديانة المصرية القديمة ، فإننا نضطر هنا إلى الظن بأن مؤسسيها كانوا من هؤلاء الرعاة القدماء الذين لم يعتنقوا جميعا معتقدات (أوزرسيف) ، بل كانت لهم بالضرورة ، فى عاداتهم ، أوجه شبه مع الفينيقيين والمصريين ، وإذا لم يكن كتاب (آريوس)^(١٤) ، ملك لاسيديمونيا ، إلى (أويناس) ، كبير أخبار اليهود ، مزيفا ، فإنه يأتى كى يدعم هذا الرأى ، الذى يعطى العبرانيين وبعض أمم الإغريق أصلا مشتركا ... » .

قال

« وأخيرا ، فإن علينا أن نجعل مولد موسى^(١٥) يتم فى عهد (أمينوفيس) ، هذا ، وأن نضع فيه أول الاضطهادات التى لحقت بالعبرانيين ، كما تشير إليها التوراة^(١٦) ... »

تم قال

« وقد دفع الخوف من سطوة فرعون ، وكذلك الرغبة فى الانتقام ، (أوزرسيف) إلى أن يطلب من رعاة الجودية ، فى أورشليم ، كى يلحقوا به ليزحفوا معا لفتح مصر . وذكرهم فى طلبه بأنهم كانوا من قبل سادة هذه

البلدان الترية ، وأنه قد لحقتهم فيها إهانات ينبغي الاقتصاص لها ، فهرع أهالي أورشليم إلى « أقاريس » استجابة لنداء إخوتهم ، وحملوا على مصر ، ويقول (مانيتون Maniton) فى ذلك^(١٧)

إنه لم يكن ثمة ضرب من صنوف القسوة لم يرتكبه فلم يكتفوا بإحراق المدن والقرى وتحطيم تماثيل الآلهة ، بل إنما قتلوا الحيوانات المقدسة وأرغموا الكهنة المصريين والعرافين بأن يكونوا هم ذابحيها ، ثم أطلقوهم بعد ذلك عراة كما ولدتهم أمهاتهم

وانسحب (أمنوفيس)^(١٨) إلى ما وراء الشلالات على حدود مملكته ، وثبت هناك بدعم من الأثيوبيين ، مدة ثلاثة عشر عاما يناوىء الرعاة ، ثم فى نهاية هذه المدة زحف عليهم بقوات كبيرة ونزل إلى مصر السفلى وهزم (أوزرسيف) وطارد جيش الرعاة ودفع به إلى سوريا

وقال أيضا :

« وإذا صدقنا رواية (مانيتون)^(١٩) ، فلا بد أن يكون (أوزرسيف) هو موسى نفسه ، ولا بد أن يعترف المرء أن التشابه شديد بينهما^(٢٠) ، بل قد يمكن الافتراض بأن الجودية^(٢١) تم غزوها من قبائل أخرى ، فى الوقت الذى كان فيه سكانها يخربون مصر ، وذلك كى يفسر إقامة الاسرائيليين فى التيه^(٢٢) بالصحراء مدة طويلة ، وكذا الحروب التى كان عليهم أن يخوضوها لكى يعودوا إلى سوريا ، بعد أن تم طردهم من أرض « جاسان »

ومع ذلك ، إذا ما قبلنا ، فيما يختص بالوقائع الأساسية ، أن يكون هذا الراى محددًا للإطار العام الذى جاء فى أسفار موسى الخمسة^(٢٣) ، فإنه ينبغي القول أيضا ، أن جانبا من الأحداث الكثيرة فى قصة موسى لابد من أن نلقى به جنبا مع الأساطير ، ويكون من السهل أن نلائم بشكل أفضل بين ما جاء فى كتب العبرانيين وبين ما جاءت به الكتب الدنيوية ، وهكذا نستطيع ، على سبيل المثال ، القول بأن جزءا من الرعاة الذين هزمهم (أمنوفيس)^(٢٤) قد ظلوا أسرى فى مصر ، حيث فرضت عليهم أقصى درجات العبودية ، وأن الاسرائيليين قد تلعثوا فإذا هم ضمن الأسرى ، فلتقبل أيضا الفكرة القائلة بأن العبرانيين كانوا لا يزالون يقطنون مصر إلى أن اعتلى (سيزوستريس)^(٢٥) العرش ، وقد خلفه ابنه الذى يسميه هيرودوت (فيرون)^(٢٦) ، بينما يسميه

ديودور الصقلي . (سيزوستريس الثاني)^(٢١) ، ولكن ، لم يرث الابن لا فصائل ولا مواهب ابيه ، ويصوره التاريخ ملكا ضعيفا متطيرا يؤمن بالخرافات ، ونحن من حاسبا نعتقد انه في عهد هذا الأمير تمت عملية هروب العبرانيين إلى الصحراء «

وإلى هنا استقر رأى المؤلف « دى مواليميه » ، كما جاء فى كتاب (وصف مصر Description de Eegypte) ، الذى وضعته البعثة العلمية المرافقة للحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ق م .

ويتبين مما قاله أنه استقى هذا الرأى عما ذكره المؤرخ اليهودى (يوسيفوس Josephus) فى محاولته بأن يجعل خروج بنى إسرائيل مع الهكسوس

ولذلك ، لم يفرق المؤلف الفرنسى بين دخول الهكسوس الغزاة بالحرب وبين دخول بنى إسرائيل كجماعة قدمت إلى مصر على سبيل الاغتراب ، بعد أولئك بما يقرب من ثمانين سنة

وبالتالى لم يفرق بين خروج كل منهما ، فقد خرج الهكسوس بالحرب والطرده ، وخرج بنو إسرائيل بالهروب بعد ذلك بمائة سنة تامة

وكذلك خلط بين بنى إسرائيل الذين خرجوا فى آخر حكم الملكة (حتشبسوت) سنة ١٤٦٨ ق م ، وبين الحملة التى قادها الملك (مرنبتاح) سنة ١٢١٨ ق م ، لطرده جماعات المهاجرين إلى مصر بعائلاتهم من حزر البحر المتوسط بقيادة ملك ليبيا ، من الجهة الغربية ، عن طريق سهول آيس ، وبين هذه وتلك مائتان وخمسون سنة تماما

ورغم ذلك ، فإن المؤلف لم يذكر تاريخا واحدا بيازاء حادت واحد مما ذكره ، فبدا القول غير منتظم مع تتبع الأحداث والربط فى الصلات بين الفريقين ، وفى تسلسل القصة التواء متعمد ، بعية الوصول إلى أن كليهما من الرعاة جنس واحد ، وقد خرجا جميعا من مصر فى أن واحد .

(٢)

ومن قديم ما قيل فى هذا الصدد ايضا ، ما ذكره عالم الآثار المصرية ، المستشرق الألمانى (هنرى بروكش Henrich Brugsch) ، فى محاضرة^(٢٨) ألقاها فى حفل المدارس المجانية بالقاهرة سنة ١٨٧٩ م ، بلخصها فيما يلى

قال

« قضيت من عمرى ثلاثين سنة فى دراسة المصريات القديمة ، وقد استحوذ على تفكيرى منذ أول الأمر أن أربط بين ما جاء فى التوراة عن خروج بنى إسرائيل من مصر ، وبين ما يمكن أن يحده منها مذكورا فى بعض النقوش أو فى البرديات المصرية . وإنى مع اعتبارى لما فى الكتب المقدسة ، أرى نفسى مقصرا إذا تعاظيت عما هو ثابت منها فى الآثار ، حتى يكون اقتناعى أكثر قبولا على صحة ما فى الكتاب الثانى^(٢٩) من كتب موسى النبى .

وخروج بنى إسرائيل من مصر أهم حوادث هذا الشعب ، وذلك لما قيل فيه إيه عبر البحر بطريقة عجيبة بقيادة موسى ، حيث سار الشعب على اليابسة بينما غطت المياه جيش فرعون الذى كان يسعى وراءه بمركباته وقرسانه .

والناظر فى هذا الحادث الفذ لابد من أن يتساءل هل فى نقوش الآثار المصرية القديمة ما يثبت مثل هذا الأمر ؟ ونحن ، قبل الإجابة على هذا السؤال ، نبدى ملاحظة أن المصريين لا يثبتون فى نقوشهم على الآثار ما يدل على نقص يشينهم ، بل إنما يكتبون للمستقبل ما يرفع من شأنهم ، إلا فيما يخرج عن الإرادة .

غير أنا نتلمس ما بين السطور فى بعض النقوش وفى أوراق البردى ، ونستشف منها بعض ما يخص أمر الاسرائيليين ، ومن أمثلة ذلك رسالة محررة على بردية محفوظة فى دار الآثار النيرلاندية بمدينة ليد^(٣٠) ، من كاتب بالحكومة يدعى (كويسر) إلى رئيسه « بيكوتبا » وذلك فى عهد الملك (رمسيس الثانى) يقول فيها .

« قد أطعت الأمر الذى أصدره سيدى ، فأعطيت قمحا للعسكر وللإسرائيليين^(٣١) الذين يقلون الأحجار إلى حصن رمسيس العظيم ، تحت ملاحظة « افمان » رئيس الضباط ، وأعطيتهم القمح فى كل شهر طبقا للأمر الصادر إلى » .

قال :

« وكاتب هذه الرسالة لم يكن قاصدا إعانتنا على معرفة الحادثة التى تتعلق بالإسرائيليين فى زمن إقامتهم بمصر ، إلا بوجه المصادفة فى

إحاطة علم سيده بتنفيذ أوامره ، حيث كانوا يعملون فى نقل الأحجار لبناء حصن فى مدينة رمسيس . فآمتال تلك الكلمات القليلة تؤيد رواية التوراة عن عبودية بنى إسرائيل التى جاءت فى سفر الخروج ، وهنا قد تتحول الخرافات إلى قيمتها التاريخية

وحيث قد علمنا ذلك ، فينبغى أن نتحقق عن زمن خروج الاسرائيليين من مصر ، بمطابقة النصوص المصرية على الآثار وأوراق البردى المعاصرة للخروج ، ويلزم حينئذ أن نبحت أولاً عن الفرعون الجالس على العرش فى ذلك الوقت ، لأن التوراة لم تذكره بالاسم ، ومع ذلك فإن الكلام الذى يسبق الخروج ، فى التوراة يقول

« وقد^(٢٢) رتب المصريون على الشعب نواباً لجمع الجزية والخراج حتى يزيده عملاً ، فبنى الشعب مدائن قوية لفرعون ، وهى فيتوم ورمسيس »

فهاتان المدينتان توجدان بالاسم فى النصوص المصرية

فالأولى تسمى « بى تام^(٢٣) » ، أى مدينة تام ، الإله الشمسى .

والأخرى تسمى « بى رمسيس^(٢٤) » أى مدينة رمسيس

وهذا يؤيد لنا بالتحقيق على أن الملك رمسيس هو الذى أمر ببناء مدينة جديدة سماها باسمه الملوكى رمسيس ، حيث أنه هو المؤسس لها .

ومما يتبت لنا صحة ذلك . الشعر المكتوب على بردية محفوظة الآن بالمتحف البريطانى بلندن ، ويبدو أن الشاعر ، لما دخل هذه المدينة الجديدة وحضر حفل الافتتاح يوم دخول مؤسسها « رمسيس الثانى » وصف جمالها فى شعر يقول

دخلت^(٢٥) مدينة رمسيس فوجدتها فى أحسن حال
جميلة لا شبيه لها حتى فى طيبة بالاجمال
فان براريها مملوءة بكل الأشجار العريضة
وكل يوم يدخلها الطعام والمشروبات اللذيذة
الأسماك فى حيصانها وطيور الماء فى غدرانها
مروجها الخضراء موشاة بأصناف نباتاتها

قال .

« ووصف الشاعر هذه المدينة الجديدة بأنها مجاورة للبحر^(٢٦) ، فقال
فى شعره

وإلى البوغاز تآتى السفن محملة بآتقالها
من مآكل ومشرب تزهو بسطوتها واقتدارها

قال

« ومن جهة أخرى ، يتضح من ورقة البردى هذه ، أن تلك المدينة كانت
دار الإقامة الكبرى ، يأتىها الملوك والأمراء الأضياف ، حيث قال كاتبها

« إن سدة الملوكية قد أجرى بناء مدينة لنفسه تدعى القوية جدا ،
ومركزها بين مصر وفلسطين ، وحقيقة أنها مملوءة من الحيرات حتى كأنها
من صنع « هرميتس^(٢٧) » فزمن دوامها وتباتها كرم « ميفيس » ، إذ أن
الشمس تشرق على أفقها ، وتغرب عليها ، ويهجر الناس مواطنهم للإقامة
فيها ، هيكل « أمون »^(٢٨) فى مغربها ، وهيكل « ساذيت »^(٢٩) فى جنوبها ،
و « أستارت »^(٣٠) فى مسرقها ، والإله « بيرو »^(٣١) فى شمالها ، والمدينة
كأنها الأفق السماوى والفرعون رمسيس كأنه إلهها ، إذ هو فى حكمه
شمس الملوك والأمراء ، ولم يكن لمصر لذة إلا به ، فهو يحسن إدارته
لكونه حبيب الإله « اتوم »^(٣٢) « حتى حرت الممالك اليه ساجدة ، فقد أرسل
أمير الحيتيين^{*} رسولا إلى أمير الجليل^(٣٣) ليقول له قد تم كلام الله ، فإذا
كنت مستعدا ، فهيا بنا إلى مصر نقدم قروض الاحترام الواجب للملك
رمسيس ، معطى الحياة لمن يحبه » .

فيبين من كلام الشاعر ، على ورق البردى أن المدينة التى أسسها الملك
رمسيس الثانى ، كانت إذ ذاك تحتاج إلى أشغال معمارية كثيرة «
قال . وفى التوراة^(٣٤)

« فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ، ومرروا حياتهم بعبودية
قاسية ، فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل ، كل عملهم الذى عملوه
بواسطتهم عنفا »

قال

★ قوله « الحيتيين » تحريف والاصح أنه يريد به الحاتين الاناضول فى الشمال من سوريا
وليس الحيتيين الكنعانيين فى فلسطين

« فأما بقوش الآتار وأوراق البردى فإنها تشتمل على تفصيلات يجد الناظر بعضها مطابقا حرفيا لما فى التوراة ، حيث يتضح منها أن العمال كانوا تحت أوامر ملاحظين لهم ، وهؤلاء تحت إشراف رؤساء ، وكان هناك بعض العساكر من فرق (المازين)^(٢٥) يحرسون الأغراب المساكن المحكومين بإجراء الأشغال القهرية ، وهناك فى أحد جوانب الهيكل الصغير الذى فى طيبة ، لوح من عهد (تحوتموس الثالث) منقوش عليه كيف كان هذا الشعب الغير مصرى ، وما كان يعامل به من جانب الحراس المسلحين بالعصى ، بقولهم « هاهى العصا فى يدنا فلا تكونوا مهملين »

وكان بعض الكتبة يختصون بإعطاء المؤونة للحراس والإسرائيليين ولباقي الناس الأغراب شهريا ، وبعضهم يختص بملاحظة تنفيذ الأعمال وقيدها بالحساب كل يوم دون انقطاع .

قال .

« فإذا كان (رمسيس الثانى) هو الفرعون الذى بنى مدينة رمسيس ، فهو بالتالى الذى كان على عرش مصر فى زمن موسى^(٢٦) ، ومدة حكمه الطويلة التى تبلغ ستين سنة تطابق عمر موسى مؤسس سريعة اليهود ، الذى كان قد بلغ إذ ذاك الثمانين سنة من العمر ، عندما أخرج شعبه من مصر فى عهد الملك (مفتح الأول) ، الوارث لأبيه رمسيس الثانى - واعلم أن المصريين قديما كانوا يطلقون على الاسرائيليين لفظ « إيبريو »^(٢٧)

والآن ، يلزمنا أن نتعرف من الآثار على موقع تلك المدينة ، التى تعب فى معرفتها رؤساء الكنيسة وعلماء العصر اللاهوتيون دون طائل ، حتى أن المتتبع لتاريخ (يوسيفوس اليهودى) يجد أنه قد جعل موقعها بمدينة بابل^(٢٨) المصرية ، مع أن هذه هى المعروفة الآن بمصر القديمة أو العتيقة .

وفى بعض الروايات أن اجتماع الاسرائيليين كان فى (برساتين)^(٢٩) ، التى تبعد عن مصر القديمة بمسافة نصف الساعة لقطع الصحراء طولا من جهة وادى^(٣٠) التيه والوصول إلى شواطئ البحر الأحمر

وقد اختلف بعض علماء اللاهوت وقالوا إن (هليوبوليس) إنما هي مدينة رمسيس قديما ، ولكنها لم تعط البراهين على ذلك ، علما بأن مدينة (هليوبوليس) ، تقع على اليسار^(٥١) من مدينة رمسيس ، وتعرف الآن باسم « ماراريه »^(٥٢)

وزعم آخرون أن (هيرليوبوليس) إنما هي مدينة رمسيس ، وقال غيرهم إنها كانت مجاورة للجهة التي تعرف الآن ، فى وادى الطميلات^(٥٣) ، باسم (أم خيدب)^(٥٤) نظرا لعدم وقوفهم على حقيقة موقعها ، ولوجود بعض آثار هناك لمدينة مصرية قديمة منذ زمان رمسيس الثانى

وبدلا من سرد أقاويل لا طائل تحتها فيما زعم العلماء عن مدينة رمسيس ، فإننا نتجه نحو فحص الآثارات التى عندما بحثنا فيها عن هذه المدينة الموجودة بهذا الاسم فى التوراة ، وحدنا أنها كانت منفردة قديما عن مدينة (تانيس)^(٥٥) ، وبها هيكل عظيم للاله (تب ايب آمون)^(٥٦) ، ومبنى فيها ، بأمر رمسيس الثانى ، حصون متينة من الجهة الشرقية لمنع دخول البدو إلى أرض الدلتا .

ونحن نقدم الشكر على ما تفضل به الخديوى الأعظم بالموافقة على الحفر فى أطلال (تانيس) بإشراف العالم الكبير (ماريت بك) ، وقد ظهر أن خرابها الجسيم يتصل بالجهة المعروفة الآن باسم (سان) ، وقد وجدنا هناك صنمين منقوشين باللغة الهيروغليفية ، يتضح منهما أن الملك رمسيس الثانى قد سمي باسمه (تانيس) الكبيرة^(٥٧) ، المسماة بالعربية (زان) وفى اللغة العبرية (زوان)^(٥٨) ، فيعلم حينئذ أن مدينة (رمسيس) إنما هى مطابقة لوصف (تانيس زوان) ، والبرهان الأكبر الذى يدعم هذا الراى هو ما جاء فى المزمور الثامن والسبعين^(٥٩) باللغة العبرية ، فى آيتين منه ، عندما أراد مؤلفه أن يذكر بنى إسرائيل ويترحم على من سلف منهم ، الآية الأولى .

« وصنع أمام أبائهم عجائبا فى مصر فى أرض « زوان » ، وشق البحر وأوقف اللجج كالجبال حتى عبروه وقطعوه » .

والثانية « ولم يتذكروا يده ولا اليوم الذى خلصهم فيه من أيدي ظالمهم ، ولا الذى صنع المعجزات فى مصر والعجائب فى أرض زوان » .

قال

« فيتضح من هاتين أنه كانت لليهود معرفة ، حتى فى زمن ملوكهم^(٦٠) ، على أن مدينة (ذوان ، أو تانيس) هى مسكن القرعون رمسيس ، وفيها صنع موسى معجزاته ، وأنه لا فرق بينها وبين مدينة رمسيس التى خرج منها الجمع الغفير من العبرانيين تاركاً دلتا مصر إلى الأبد ، وهذه المدينة كانت على جانبى أحد فروع النيل ، الذى صار خليجاً صغيراً فيما بعد ، مع أن فمه ، منذ ما يقرب من ثلاثين قرناً ، كان متسعاً جداً ، بحيث كانت سفن البحار ترسو فى بؤغاز تلك المدينة ، كما اثبتنا ذلك مما هو مكتوب على ورقة البردى المحفوظة فى المتحف البريطانى »

قال

« ويوجد على حائط هيكل الكرنك رسم لمدينة تانيس^(٦١) ، ورغم أنه غير دقيق ، إلا أنه يرجع إلى تاريخ (سبتى الأول) ، وفيه يرى الناظر جانبى المدينة مرفوعتين على شاطئ النيل ، ومتصلتان ببعضهما بواسطة قنطرة ، وصورة التمساح والنبات المائى تدل على نهر النيل ، وأما السمك البحرى المنقوش على أحد أركانه فإنه يدل على البحر

ومدينة تانيس ، أو كما سميت فيما بعد رمسيس ، فإنها كانت فى زمن الفراعنة ذات سطوة وأهمية عظيمة للجزء الشرقى من الدلتا ، وكان يبتدىء منها الطريق^(٦٢) الكبير الموصل إلى فلسطين ، الذى كان مجاوراً أيضاً لحصن (ميجدول) المذكور فى التوراة ، وكانت فيه^(٦٣) بئر يشرب منها المسافرون ، ومؤرخو اليونان يسمونه . (ميجدولان) .

ونظراً لمعرفتنا الأكيدة بجغرافية مصر ، التى أخذناها عن نصوص الآثار القديمة ، فقد تأكد لنا أن (تانيس - رمسيس) ، كانت عاصمة مديرية شرقى الدلتا ، وكانت تسمى فى عهد اليونان . (ترموس تانيدس) ، وحيث كان منها جزء كبير يقع على الشاطئ الشرقى لفرع النيل ، فقد كانت لذلك منحرفة من جهة الشمال نحو البحر ، بما فيها الجزء الغربى ، من بركة المنزلة ، وكانت مع ذلك متصلة بحدود الاقليم المعروف فى جغرافية الآثار باسم . توكو أوتوكوت ، وهو (سوكوت)^(٦٤) فى التوراة ، وقد سماه المؤرخون (سيشويذس) ، وقد علم من الآثار أن

يعقوب وأولاده وسكنوا فى أرض (جاسان)^(٧١)

وهذا أيضا اسم جغرافى قد حار المعبرون عنه ، ولم يصلوا إلى نتيجة ما ، غير أن الآثار القديمة ، ساعدتنا على معرفته ، فتقول

« قد كان فى جنوب الاقليمين^(٧٢) اللذين ذكرناها آنفا ، إقليم ثالث قريب ، سماه اليونان الاقليم العربى ، فيما نسميه نحن : إقليم السهرجية^(٧٣) ، وله عاصمة تسمى « فقوسة » أو (فقيسا) أو تنطق « فقوذاى » أو (فقوسان) ، وقد حذف العرب آخره فصارت (فقوس)^(٧٤) ، كما هو بالخرائط الجديدة لمصر ، إلا أن النقش الذى على آثار الهياكل يدل على أن هذه المدينة كانت تدعى (جوزيم)^(٧٥) ، كما فى التوراة ، غير أنها فى الترجمة السبعينية للتوراة ، فهى تارة (جيزن)^(٧٦) وأخرى (جيزم) ، فاختلف اسم (جيزم) التابعة للإقليم العربى السهرجى ، بتلك التى فى إقليم (زوان)^(٧٧) ، وهى مدينة رمسيس الجديدة .

وقد كان من عادة النطق بالأسماء الجغرافية للمدن والبلدان والأماكن ، إضافة حرف (فا)^(٧٨) ، كقولنا (فيوم) عن الفيوم ، فصارت (حوزيم) تنطق (فاجوديم)^(٧٩) وكلاهما بمعنى ، فأما « فقوسان » أو « فقوسة » أو : فقوساى ، باليونانى والعربى أيضا ، هى (فقوس) ، التى نقلها الكتبة القبط دون « آل » التعريف ، حتى نطقت : « قوس » .

قال

« وأما (جيزان) القديمة ، التى هى إلى الجنوب من (تانيس رمسيس) ، وبالقرب من (فقوس) فهى مطابقة لما أخبرنا به التوراة ، والذى يؤيد ذلك هو كلام فرعون ذاك العصر إلى يعقوب^(٨٠) ، حيث قال له

« لتسكن أرض (جودين)^(٨١) ، حتى تبقى قريبا منى ، أنت وأولادك وأولاد أولادك وغنمهم وبقرهم وجميع مالك »

وفى التوراة مسألة تستحق النظر ، وهى عن القوم الذين كانوا يقطنون قديما فى الثلاثة الأقاليم ، بيتوم ورمسيس وجوزيم ، فلو قلنا إنهم سلالة مصرية لأخطأنا^(٨٢) ، إذ يتضح من الآثار وأوراق البردى ، أنهم وإن كانوا تابعين للدولة المصرية الفرعونية إلا أنهم من سلالة أخرى تدعى (خالو)

آى المختلطة ، وهم من سلالة ، فينيقية^(٨٢) سكنوا فى الأزمنة المتأخرة من التاريخ المصرى ، بجوار بركة المنزلة واحترفوا التجارة البحرية وصيد الأسماك ، وكانوا يتمتعون بالأمان فى ظل الحكم المصرى .

وكان من بينهم موظفون يخدمون المصريين ، وخاصة فى علاقاتهم بأهل فلسطين . حيث كانوا على معرفة بلغتهم وعوائدهم ، ومن أوراق البردى نستدل على أنه كان فى خدمة الحكومة المصرية من هم من نسل سام . وذلك واضح فى أسماء بعض البلاد^(٨٢) والحصون والخلجان والبحيرات فى الأقاليم الثلاثة التى ذكرنا . ومن ذلك (ميجول) . ومعناها : الحصن ، و(سوكون) بمعنى الخيمة ، فى اللغة العبرية ، كما أن لفظى (نوان وتال)^(٨٣) اللذين أعطيا لمدينة رمسيس ، قبل أن يأمر الملك (رمسيس الثانى) ببنائها ، كلاهما باللغة السامية

والعجيب أنه رغم مرور أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، منذ خروج الاسرائيليين من مصر ، فإن سكان تلك النواحي من المصريين لا يزالون ، رغم اختلاف الشرائع والعادات يعيشون مع نسل الخالو^(٨٤) .

والاكتشافات من الحفريات التى قام بها زميلى وصديقى ماريت بك ، تساعد على إزالة الشك نحو تلك المسألة ، فقد ظهر أن السكان على شواطئ بحيرة المنزلة ، وهم الذين يحترفون صيد الأسماك ، فإنهم رغم كونهم من رعايا مصر ، غير أن عاداتهم وهيئاتهم تدل على أنهم غير مصريين ، بل إنهم من الفينيقيين^(٨٥) ، منذ العهد المتأخر فى مصر ، وكانوا يعتنقون النصرانية على المذهب الملكى ، ومن خصوم الخلفاء ، وقد ذكرهم العرب باسم (بيامية)^(٨٨) أو (بيامية) وتارة : بارتمورية^(٨٩) .. «

قال

« ونرجع الى الكلام عن مدينة (رمسيس الثانى) الجميلة التى كانت ينتظر فيها الاسرائيليون^(٩٠) مع موسى ، الوقت اللازم للخروج من أرض مصر ، فنقول .

إنه عندما سمح الفرعون (منفتاح الأول) بترك البلاد ، جدت بالمسير ، وفى ذلك تقول التوراة^(٩١)

« وهكذا لما خرج بنو إسرائيل من مدينة رمسيس ، نزلوا فى سوكون
وكان عددهم قريبا من ستمائة ألف رجل ، غير الأطفال والنساء ، وانضم
إليهم أيضا جمع^(٩٢) غفير من جميع أجناس الناس . »

وبسار الاسرائيليون بالطريق الكبير الفرعونى^(٩٣) ومعهم عدد كثير من
الفينقيين الذى مر ذكرهم . من سوكون التى فى اقليم (بيدوم) والتى
يخترقها الطريق شرقا ، حتى وصلوا (إيزام)^(٩٤) التى فى طرف
الصحراء ، كما فى التوراة »

وما يؤيد هروب الاسرائيليين على الطريق الكبير ، من مدينة (رمسيس -
تانيس) ، إلى ميجدول ، الذى كان يخترق أرض سوكون ، هو وجود رسالة
على بردية ، اكتشفها : انسطاسى الخامس ، محفوظة بالمتحف البريطانى ،
تذكر فى الصفحة التاسعة عشرة ، ابتداء من السطر السادس ، أمر هروب
شخصين من خدم أحد الأمراء فى مدينة رمسيس ، وقد تمثلا
بالاسرائيليين ، حيث أنهما لما هربا من سيدهما ذهبا إلى ميجدول ، وقد
صار البحث عليهما ، فى جميع البلاد التى ذكرتها التوراة ، وترجمتها .

* قد ذهبت فى إثر الخادمين بعد خروجى من السراى الملوكية التى فى
رمسيس ، فى اليوم التاسع^(٩٥) من شهر ابغى ، فى وقت العصر ، فوصلت
إلى سوكون فى اليوم العاشر ، ثم وصلت إلى حصن خاطوم^(٩٦) ، فقيل لى
هناك : إن رجلا رأهما وقت خروجهما من السور الشمالى لميجدول التابعة
للملك (سبتى منفتاح)^(٩٧) *

فالمكاتبات الجارية فيما بين المحطات المصرية : رمسيس وسوكون ،
وخاطوم التى ذكرتها التوراة باسم : « ايزام » وميجدول ، فإنها حقيقية
ومطابقة لما جاء فى سفر الخروج .

فأما الحائط ، أى السور الذى كان فى شمال ميجدول ، وباللغة
المصرية : (تامب) ، فإنه فى زمن البطالمة كان ضمن الأسماء
الجغرافية ، التى تدل على سور (سيزوستريس)^(٩٨) ، غير أنه كان كذلك
موجودا من قبل ، وكان السائحون الذاهبون إلى فلسطين فى عهد الأسرة
الثانية عشرة يمرون من هذا الحائط عند خروجهم من الدلتا لاستمرار السير
على الطريق فى الصحراء .

وما نجده من الشك يزول حينئذ من اطلاعتنا على سفر الخروج فى
التوراة ، عند قوله^(٩٩) :

* وكلم الرب موسى قائلاً : قل لبني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا قدام (بيهاخيروث) (١٠٠) فيما بين مجدول والبحر ، أمام « بآل ذيفون » (١٠١) ، وأما أنت فتخط قدامهم بالقرب من البحر *

والأسماء الموجودة هنا فهي كذلك فى النقوش الهيروغليفية ، ولا ينبغي أن نخوض فى ذكرها ، فأما قوله : (قل لبني إسرائيل أن يرجع) فيلزمنا الوقوف على أسبابها مع معرفتنا لموقع مجدول والبحر أيضا ، إذ أن الانسان لا يرجع إلا إذا حاد عن الطريق .

وحيث كان بنو إسرائيل قد وصلوا إلى إيزام (١٠٢) ، فكان يجب أن يستكملوا السير ، فى الطريق العظيم الواصل إلى جهة الشرق وإلى أرض كنعان ، فأما رجوع موسى فكان بالنظر إلى دافع فى نفسه ، كما فى التوراة التى تقول :

* ولما أخلى فرعون السبيل للشعب ، فإن الرب لم يسمح لهم بالمرور من الطريق المعهود إلى فلسطين ، ولو أنه قريب جدا ، لأنه قال لئلا الشعب إذا رأى حربا فإنه قد يعود ثانية إلى مصر *

وهناك غير هذا سبب آخر ، وهو العهد التى كانت بين رمسيس الثانى ، وبين ملك الحيثيين (١٠٣) ، التى تنص على إعادة الرعايا من أى البلدين الذين يخرجون من أيهما بالهروب ، ولا بد من أن موسى لم يجهل هذه الشروط ، ولذلك رأى أن يسلك طريق الصحراء ، فعندما رجع الشعب عاد إلى مجدول .

ومجدول ، بمعنى البرج أو الحصن ، وهى نقطة معلومة فى الآثار القديمة ، مجاورة لبئر ماء ، وكانت تمنع دخول الأعداء إلى أرض مصر ، من جهة الشمال ، وقد سمى المؤرخون هذا الحصن : « مجدولوس أو مجدولون » ، وقالوا إنه كان فى نصف الطريق فيما بين « بليز - وسيل » ، فأما (سيل) (١٠٤) ، فإنها قريبة من الجهة المعروفة الآن باسم : القنطرة ، وأما البحر فلا يمكن أن يزعم أحد بأنه البحر الأحمر ، ولا يصح إلا أن يكون هو البحر المتوسط ..

قال :

« فلما جاء الاسرائيليون إلى آخر محطة ، بين مجدول والبحر ، إذا بجيش فرعون بخيله ومركباته يسعى وراءهم ، وذكر التوراة : أن مد الماء

فى تلك الآونة قد زاد فجأة حتى غطى الجيش ، وسلك بنو إسرائيل فى طريقهم على اليابسة ..

ولا أريد هنا تفسير المعجزة ، أو نقضها ، وإنما أقول : إنه بعد أن قطع بنو إسرائيل الجهات المنخفضة التى بين البحر المتوسط والبركة المسماة قديما ، (سربونيس)^(١٠٥) ، اضطربت الخيالة المصرية وضباط المركبات الحربية من المد والجزر العظيم الذى حدث وقتئذ ، حتى خارت قواهم وانحلت عزائمهم ، ويبدو أن ارتباك الخيل عند سيرها فى الوحل هو الذى زاد مشقة الجيش .

وقد جرى مثل ذلك فى تلك البقعة ، ليس لبعض السائحين فقط ، بل لجيوش أخرى ، كما هو مدون فى التاريخ ، ومع أنه بمثل هذا القول لم يبق للمعجزة فضل ، إلا أنه يجب علينا أن نذكر أن للحكمة والقدرة الإلهية مدخل فى هذا .

قال سترابون الجغرافى ، عندما ساح الأقطار المصرية فى القرن الأول للميلاد :

« قد حدث فى مدة إقامتى بالاسكندرية مد وجزر عظيمين فى مدينة « بليز » بالقرب من جبل كانديوس^(١٠٦) ، فأغرق الماء تلك الجهة حتى صار الجبل كأنه جزيرة ، وكانت السفن تجرى على الطريق المجاور ، الذى كان يمتد إلى أرض فلسطين حيث غطاه الماء .

وقال ديودور ، المؤرخ اليونانى ، خلال كلامه عن حملته « ارتكركشيس »^(١٠٧) ، ملك الفرس على مصر : إنها وقعت فى مأزق فى تلك الجهة بعينها ، وذلك أنه لما زحف بجيشه ، ووصل إلى البركة الكبيرة المجاورة للجهة المسماة : « المهالك » فقد جانبا من الجيش ، نظرا لعدم معرفته بطبيعة تلك المنطقة .

وإنى مع عدم رغبتى فى نقض الروايات التى جاءت فى التوراة ، فإنى ملتزم أيضا بالوثوق فى نصوص الآثار القديمة ، لإقناع تفكيرى منذ الصغر فى مطابقة ما قيل فى التوراة عن هذا الموضوع ...

قال :

« ثم انطلق بنو إسرائيل نحو الصحراء ، المسماة « شور »^(١٠٨) وطافوا بها ثلاثة أيام فلم يجدوا ماء فجاءوا إلى « مارا »^(١٠٩) ، غير أنهم لم

يستطيعوا شرب مائها لمرارته ، فانتقلوا إلى « اليم » (١١٠) ، الذى كان فيها اثنا عشر عينا وسبعين جريدة (١١١) ، فحطوا رحالهم هناك ..

وقد اتضح لنا أن الصحراء المسماة : « شور » (١١٢) ، المذكورة بالتوراة ، هى المحصورة بين البحر المتوسط ، وخليج السويس ، الذى هو شرقى مصر ، وأن « الماء المرة » ، هى البركة المرة (١١٣) ، أى ترعة برزخ السويس ، وأما « اليم » فإنها المسماة الآن : عيون موسى .

فأما بقية القول عن تنقلات بنى إسرائيل ، من محطة إلى أخرى ، حتى وصلوا إلى جبل سيناء ، فإنه لم يكن ضروريا لنا الآن ، إذ هو يخرج عما أردناه بهذه المحاضرة ..

ونختتم القول بأنه ، دون الاجتهاد والعلم باللغات والتاريخ ، لم نكن لنستطيع أن نعرف شيئا مما ذكرناه ، ولذا يلزم أن ننظر فى تعليم النشء وتهذيبه ، من غير أن نحرم بعض ذلك بدعوى الدين ، لأن الأديان جميعا لا تسامح من يهمل فى تربية الأطفال منذ الصغر .

* * *

وإلى هنا ينتهى قول عالم الآثار المصرية ، المستشرق الألمانى (هنرى بروكش H . Brugseh) ، وقد نقل عنه مثل هذا عالم الآثار المصرى (أحمد كمال) ، فى كتابه . (العقد الثمين فى محاسن المصريين الأقدمين) .

والقول عند هذين لا يختلف فى زمان الخروج ، فكلاهما جعل خروج بنى إسرائيل أبان حكم الملك (منفتاح الأول ١٢٢٢ / ١٢١٠ ق . م) ، من مكان واحد هو مخاضة بحيرة المنزلة ، حيث عبر بنو إسرائيل الماء إلى اليابسة بسلام ، بينما عادت المياه إلى مكانها أثناء إقتفاء الجيش المصرى لهم بخيله ومركباته دون حذر ففرق بعضهم ممن فى المقدمة .

وكلاهما لا يختلفان أيضا عما ذكره المؤرخ الفرنسى « دى موا ايميه » ، إلا فى تشكيل القصة بوجه عام ، وفيما قاله فى كتاب « وصف مصر » بأن خروج بنى إسرائيل إنما كان من جهة مخاضة خليج السويس ، غير أننا نرى أن الشواهد وأسماء البلاد وغير ذلك إنما يرجع الخروج من جهة بحيرة المنزلة ، على الوجه الذى به اقتفاء آثار تلك القصة التاريخية من جميع نواحيها .

فيما ارتاه د . هانز جيدك فى الخروج

فأما أحدث ما قيل فى تاريخ خروج بنى إسرائيل فهو ما أعلنه (د . هانز جيدك - H . Jedic) ، عالم المصريات بجامعة « جونز هو بكتز » فى واشنطن ، بأن خروج بنى إسرائيل كان فى ربيع سنة ١٤٧٧ ق . م ، فى عهد الملكة « حتشبسوت » ، التى حكمت مصر فى الأسرة الثامنة عشرة بالوصاية مع الملك (تحتمس الثالث) .

وهذا التاريخ الذى يشير إليه المؤلف ، رغم أنه قريب مما ذكرنا ، إلا أنه أضاف إليه سببا اعتمد عليه ، وهو حدوث انفجار بركانى فى جزيرة « تيرا Tira » ، التى تعرف الآن باسم جزيرة (سانتورين Santorine) ، إلى الشمال من جزيرة « كريت » بحوالى سبعين كيلومترا ، وأنه تصادف أن خروج بنى إسرائيل كان عقب هذا الانفجار ، عند وصولهم إلى بحيرة المنزل ، لكى يسلكوا الطريق الساحلى إلى أرض كنعان ، فلما أشرفوا على ربوة تطل على الصحراء ، جنوب شرقى البحيرة بقرب من ستة أميال ونصف ، نظروا فإذا جيش فرعون مصر يتعقبهم ، فوقفوا استعدادا للدفاع ، وكان وصول الجيش بخيله ومركباته فى اللحظة التى وصل فيها المد شاطئ البحر المتوسط عند البحيرة ، فارتفع منسوب المياه وفاضت على الأراضى المجاورة فأغرقت جنود فرعون ومركباته .

ويقول المؤلف : إنه توصل إلى هذه النظرية بعد دراسات عدة ، واستند فى ذلك إلى أن الانفجار البركانى ، كما يقول العلماء ، قد حدث فعلا فى ذلك التاريخ أو قريب منه ، ثم اعتمد على اللوح المنسوب إلى الملكة (حتشبسوت) ، الذى يحكى جانبا من أعمالها ويشير إلى جماعة المهاجرين الآسيويين الذين ، أهانوا الآلهة بعدم التزامهم بالأعمال الموكولة إليهم ، وأنه حين سمحت لهم بالرحيل ، لم يبق لهم أثرا كأن الأرض ابتلعت أقدامهم ، وهو اللوح الذى عرضنا ترجمته قبلا .

وهذا النظر المحدث ، فيما يختص باقتران انفجار بركانى فى إحدى جزر اليونان التى تبعد عن بحيرة المنزل بأكثر من ألف كيلومتر ، أدى إلى إحداث موجات مدية فى الوقت الذى وصل فيه جيش فرعون وراء بنى

إسرائيل ، فأغرق الجنود والخيول والمركبات ولم ينج منهم أحد ، يعد أمرا غريبا ، ويبدو كأنه متعمد لمثل هذه المناسبة بالذات ، ومع أن العقل لا يقبل مثل هذه الاستعارات ، فى المواضيع التاريخية ، إلا أنه كان يمكن أن يتقبل أمر المد والجزر العالى ، فى هذه المنطقة التى غرق فيها من قبل جزء من جيش الفرس فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وتعرف باسم : المهالك ، دون إحاطة الحادث بإطار خرافى على أنه ضرب من المعجزات النادرة ..

ومع ذلك ، فليس فى التاريخ العام ما يثبت مثل هذا الانفجار البركانى فى ربيع تلك السنة التى أشار إليها المؤلف ، فإنه إذا لم يكن كذلك فإن الحكاية عنه تبدو مصنوعة وتفقد رونق الجدية فى حدوثها ، ولا يمكن أن يطلق الناظر هنا ، عنان خياله حتى يحدث مثل هذا الازدواج فى لحظة واحدة ، على ذلك البعد الشاسع .

فأما التاريخ الذى أتى به المؤلف لخروج بنى إسرائيل فى ليلة النصف من شهر نيسان سنة ١٤٧٧ ق . م ، فالواضح أنه ليس نتيجة اجتهادات تاريخية مقارنة ، بل إنما جاء به عفوا بأقل جهد من التفكير ، وباعتماده على التواريخ الغير يقينية التى فى هامش التوراة ، بفرض أن :

بداية بناء المعبد فى اورشليم كانت فى السنة الرابعة من حكم الملك سليمان ، وأن ما بين بناء البيت وبين خروج بنى إسرائيل أربعمئة وثمانون سنة^(١١٤) ، فكأنه فرض أن ابتداء حكم الملك سليمان كان سنة ١٠٠١ ق . م ، وأنه بدأ فى تأسيس المعبد سنة ٦٩٧ ق . م ، فإذا أضيف هذا إلى أربعمئة وثمانين سنة ، كان الخروج سنة ١٤٧٧ ق . م ..

وهذا التاريخ ، لو أنه قريب من الصحيح إلا أنه لم يكن يتأتى بمثل ذلك ، الحساب التلقائى ، لأن المعهود فى التاريخ العام أن الملك سليمان تولى الملك عن أبيه سنة ٩٧٢ ق . م ، وأن التواريخ التى فى هامش التوراة لايجوز الأخذ بها عندما يراد استخراج نتائج صحيحة .



(١) انظر ما جاء عن بنى إسرائيل فى كتاب (الكنز التمين) لأحمد كمال ، عند القول فى مآثر الملك « مرنبتاح » ص / ١١٧ - ١٢٠

(٢) انظر الترجمة العربية لكتاب (وصف مصر) - المجلد الثانى ، الدراسة التاسعة ، التى عنوانها « كيف خرج اليهود من مصر القديمة » - تأليف (دى بوا اميه) . وانظر أيضا للمؤلف الدراسة التامة فى نفس المرجع ، تحت عنوان « القبائل العربية فى صحراوات مصر »

(٣) « سيروستريس » لفظ إغريقى كان اليونان القدماء يطلقونه على الملوك الفراعنة العظام ، والمراد به هنا « رمسيس الثانى »

(٤) « مرنبتاح » ، ويسمى أيضا (منفتاح الأول) حكم مصر (١٢٢٢ / ١٢١٠) ق م ، وفى عهده أغارت جماعات من المهاجرين بعائلاتهم قتل إنهم من جزر اليونان وصقلية وكورسيكا وسردينيا ، ونزلوا من السفن على ساحل ليبيا ، فاستقطبهم ملكها ، إذ ذاك المدعو (مريامو) ، وجهر منهم ومن الليبيين جيشا ، أراد أن يغزو به مصر من الجهة الغربية ، فلما مزلوا فى سهول أبيس تصدى لهم الجيش المصرى بقيادة الملك (مرنبتاح) وهزمهم وأسر منهم عددا كبيرا ، فى معركة خاطفة . وقد نقش (مرنبتاح) ، هذا النصر على ظهر لوحة كانت للملك (آمنوفيس الثالث) ، فى الأسرة التامنة عشرة ، غير أنه أقحم فى القول جملة معناها « وأما إسرائيل فقد أبيدت ولم تعد لها بذرة . » .

وكان لذلك صدى كبير وبليدة طن به الكثيرون أن المهاجرين الذين هاجموا مصر هم الاسرائيليون ، وأن خروجهم من مصر كان أثناء تلك المعركة ، وأن (مرنبتاح) ، هو فرعون مصر ، وقد وضع أن الصحيح ليس كذلك ، والأشبه أن الأسلوب الشعرى الذى صيغ به وصف تلك المعركة أقحم هذه الجملة على سبيل ما كان قد حدث قبلا فيما مضى

(٥) فى الأصل « تحيموسيس » - وهو تحريف ، لأن الذى حاصر الدعاه فى « أفاريس » هو الملك (أحمس الأول) مؤسس الأسرة التامنة عشرة

(٦) « حبال الحودية » هى حبال الخليل فى فلسطين ، ومنها حبل « يهودا Iudica »

(٧) قوله « حيث أسسوا هناك مدينة أورشليم . . » ، غير صحيح تماما ، لأن أورشليم كانت تعرف بهذه التسمية « أورشليم » قبل زمان إبراهيم الخليل ، ويبدو أن الهكسوس لما طردوا من مصر التجأوا إلى أورشليم وضواحيها .

(٨) لم يطل حكم الهكسوس فى مصر إلى هذا الحد ، على الرغم من أن بعض المصادر القديمة تذكر أنهم ظلوا (٥١١ سنة) ، ويتسه أن هذا الرقم محرف ، لأن ما يعين نهاية الأسرة الثانية عشرة وابتداء الأسرة التامنة عشرة لا يتعدى ٢٢٥ سنة ، وقد فصلنا القول فى ذلك عن تلك المدة ، بتصحيح الفترة التى حكم فيها الهكسوس مصر

(٩) « الأنحاس » صفة من البجاسة ، كان المصريون القدماء يطلقونها على الرعاة جميعا ، عن اعتقاد لهم بأن الرعى يدعو إلى كثرة الاختلاط بالحيوان ، وقد يؤدى إلى أمراض جلدية خطيرة ، كالبرص والحدام

ومع ذلك ، فلم يكن المصابون ، الذين أشار إليهم المؤلف ، من الكثرة أو من القوة ، بحيث يتألف منهم جيش ، كما يقول

(١٠) قوله « » والد سيزوستريس الشهير . يبدو أنه يريد أن يقول « أمونفيس الأول
والد تحتمس الأول » ، وهو الأرجح .

(١١) « أرض جاسان » يعنى أرض (صان الحر) ، وتسمى أيضا . (عمسيس) ، أى أبناء الإله
رع

(١٢) « أوزيسيف » . هذا الاسم ، وهذه القصة التابعة له ، لم ترد فى (التوراة) ، وليس لذلك من
مصدر غير ما جاء بهذا المعنى فى تاريخ (يوسيفوس - Iouphus) اليهودى المتوفى
حوالى سنة ١٠٠ م ، وهو الذى حاول أن يربط بين طرد الهكسوس الغزاة وبين خروج
بنى إسرائيل ، أو أن يجعل بينهما علاقة ما .

(١٣) وهذا القول عن الجماعات التى أخذت تبحث عن وطن جديد ، هو إشارة إلى
المهاجرين من جزر البحر المتوسط بعائلاتهم ممن أرادوا الاستيطان فى مصر ،
فحاربهم الملك (مريبتاح ١٢٢٢ / ١٢١٠ ق . م) ، وهؤلاء ليس لهم علاقة مباشرة
ببنى إسرائيل ، لا فى الزمان ولا فى المكان الذى هاجروا منه ..

(١٤) وفيما يلى ترجمة كتاب (أريوس) ، كما جاء بإزاء النص فى كتاب (وصف مصر)
عن المؤرخ « يوسيفوس اليهودى »

« من ملك الأسبرطيين (أريوس) إلى (أويتاي) - تحية وسلاما - حدث أن
وجدت فى بعض النقوش أن اليهود وأهل لاكيدايمونيا ينتمون إلى جنس واحد ، وأن
الآخرين ليسوا بغرباء عن نسل إبراهيم ، ولذلك فمن الأوفق ، مادامنا إخوة ، أن
تطلعونا على كل ما ترغبون فيه ، ونحن من جانبنا سنفعل الشيء ذاته ، ولسوف
تصير شئونكم مثل شئوننا بسواء ، وبالمثل سوف تكون بيننا وبينكم علاقات
مشتركة ، وأن « ديموتيليس » الذى يحمل هذه الرسالة ، هو الذى سيتولى حمل
رسائلنا » .

والذى يفهم من هذه الرسالة إنها من باب التمهيد لصلات تجارية ، وفيها بعض
المجاملة التى تفيد أن كليهما أولاد عم ، فاليهود من نسل سام بن نوح وأولئك من
نسل يافث أخيه ..

(١٥) مولد موسى ، كان فى سنة ١٥٤٨ ق . م ، فى أول حكم (أمونفيس الأول) ، ثانى
ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، فإذا علم لنا أن موسى لما خرج ببنى إسرائيل من
مصر ، كان له من العمر ثمانون سنة ، لذلك يكون الخروج فى آخر سننى حكم الملكة
« حتشبسوت » ، سنة ١٤٦٨ ق . م

غير أن المؤلف هنا انزلق فى القول بأن (أمونفيس) انسحب إلى ما وراء
التلال ، بدعم من اثيوبيا وظل هناك ثلاثة عشر عاما ، وهذا القول إنما يصدق على
الملك (كاموزا) جده ، الذى حارب الهكسوس وطردهم من الوجه القبلى ، قبل
حصارهم فى قلعة « أقاريس » ، ثم حاصرهم (أحمس الأول) لمدة خمس سنوات ،
بعدها طردوا نهائيا من مصر .

(١٦) والتوراة لا تشير إلى (أمونفيس) بالذات ، والذى فى أول سفر الخروج إنما يراد به
(أحمس الأول) ، بعد حصار « أقاريس » ونصه

* ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه : هو ذا بنو
إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينمو ، فيكون إذا حدث حرب
أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض ، فجعلوا عليهم رؤساء
تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس *

(١٧) وهذا القول الذى نسبته المؤلف إلى (مانيتون) المؤرخ المصرى بشأن العنف ، لم يكن فى مثل تلك المناسبة التى ذكرها ، وإنما قال ذلك عند غزو الهكسوس لأول مرة فجأة فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة سنة ١٧٥٦ ق م ، فى عهد الملك المسمى (سخم سوازتوى) ، وهو (سبك حنپ الثالث) ، الذى سماه مانيتون - (توثيمايوس)

فأما « أوزيسيف » فلم يذكر فى الآثار ولا فى المراجع ، وإنما هو على الأرجح من رواية المؤرخ اليهودى (يوسيفوس Iosiphus)
(١٨) والثابت فى المراجع من كتب الآثار المصرية ، أن (أمنوفيس الأول ١٥٢٦ / ١٥٤٨ ق م) ، ليست له علاقة بملوك الرعاة (الهكسوس) ، لأن هؤلاء كانوا قد ارتحلوا إلى سوريا قبل استيلائه على العرش بما يقرب من عشرين عاما ، والأشبه أن المؤلف إنما يعنى جده الملك (كاموزيس) المسمى أيضا (السفراجموزيس) .

(١٩) تلك الرواية ، ليست عن « مانيتون » المؤرخ المصرى ، وإنما هى من أقاويل « فلانيوس يوسيفوس » المؤرخ اليهودى المتوفى حوالى سنة ١٠٠ م .

(٢٠) قوله « إن التشابه شديد بينهما .. » ليس واضحا ، ولا يمكن أن يصل التحريف فى اسم (موسى) إلى « أوزيسيف » أو بالعكس

(٢١) (الجودية) يعنى بها هنا منطقة أورشليم وجبل يهوذا .

(٢٢) وتفسير إقامة بنى إسرائيل فى التيه أربعين عاما ، قد ذكرها المؤلف أيضا ، على أنها رغبة موسى بأن يظل ببو إسرائيل فى البرية ، بعد الخروج من مصر ، حتى ينقرض هذا الجيل منهم ويأتى جيل آخر يمكن أن يقوى على الحرب فى كنعان .

(٢٣) « أسفار موسى الخمسة » هى (التكوين ، الخروج ، العدد واللاويين ، والتثنية)

(٢٤) قوله « .. الذين هزمهم (أموفيس) ، غير صحيح ، لأن (أمنوفيس الأول) يأتى فى الترتيب تانى ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، بعد (أحمس الأول) الذى طرد الرعاة وملوكهم من قلعة « أفاريس » سنة ١٥٦٨ ق م - ويبدو أن المؤلف يعنى به الملك (كاموزا) فى الأسرة السابعة عشرة .

(٢٥) « سيزوستريس » قد يراد به هنا الملك (رمسيس الثانى) فى الأسرة التاسعة عشرة

(٢٦) « فيرون » لفظ قد يكون مجرفا عن (خيرون) ، وهو لقب الملك (تحتمس الثانى) فى الأسرة الثامنة عشرة ، ولا صلة له فى التاريخ مع (رمسيس الثانى - سيزوستريس) ، والقول هنا يبدو فيه التخليط فى أسماء الملوك مع تسلسل الحوادث

(٢٧) « سيزوستريس الثانى » قد يريد به المؤلف هنا ، الملك (مرنبتاح) ، وهو ما يظنه أو يعتقد بأن بنى إسرائيل قد خرجوا من مصر فى عهده .

(٢٨) هذه المحاضرة ترجمها عن الفرنسية إلى العربية نخلة صالح ، فى كتيب صغير باسم (الدرة الحقيقية البهية) فى خروج الاسرائيليين من مصر ، وهى محفوظة بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم ٥٠٤ تاريخ .

غير أنه لما كانت الترجمة إلى العربية ركيكة جدا لدرجة أنها أغفلت قواعد النحو وبدت غير لائقة للنشر هنا ، رأينا أن نختصرها بقدر المستطاع دون أن نخرج عما

- قصده صاحبها ، وهو العالم المستشرق الألماني (هنرى بروكش - H . Brugsch) ، خبير الآثار المصرية ، المتوفى سنة ١٨٩٥ م
- (٢٩) « الكتاب الثانى . » يعنى سفر الخروج ، فى التوراة ..
- (٣٠) كذا بالأصل محفوظة الآن فى دار الأنتيكة النيرلاندية فى مدينة ليد . .. » ، ونحن نظن أنه يعنى متحف جامعة ليدن فى هولانده »
- (٣١) قوله . « للعسكر والاسرائيليين » ، لا يعنى بالضرورة بنى إسرائيل بالذات ، بل قد يريد بوجه عام الأغراب والبدو والأسرى من أهل فلسطين ، والجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى كان فيه حكم الملك رمسيس ، منذ بدايته ، كان بنو إسرائيل قد خرجوا من مصر واستولوا على معظم أرض كنعان منذ مائة وثلاثين سنة تقريبا .
- (٣٢) والنص ، كما فى نسخة التوراة ، الترجمة العربية ، سفر الخروج - ص ١ / ٩ مايلى
- * فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلّوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن ، فيتوم ورعمسيس *
- (٣٣) « بى تام » ، والأصل فيها . (بى أتوم) ، أى مدينة الإله « أتوم » ، ومكانها الآن على الخرائط الطبوغرافية تل أتري باسم (بوتو Buto) ، على الطريق من فاقوس إلى صان الحجر ، بمقدار ١٨ كيلومترا تقريبا من فاقوس ، وهى غير (بوتو) بمركز دسوق غربية
- (٣٤) « رمسيس » هنا ، أصلها (رع مسيس) بمعنى أبناء الإله رع ، فتكون التسمية الصحيحة (بى رع مسيس) ، وهى إحدى مدينتى المخازن اللتين بناهما بنى إسرائيل بعد طرد الهكسوس ، من مصر فى عهد الملك (أحمس الأول) ، ونرى أنها التل المعروف الآن باسم (تل دفنة) وهى « تحفيس القديمة » وأثارها الآن على مسافة ٢٤ كيلومترا تقريبا إلى الشرق من (بيتوم) ، وهى غرب محطة القنطرة الآن بحوالى ١٠ كيلومترات ، والواضح أن هذه غير مدينة (رمسيس) التى وصفت فى محاضرة (بروكش Brugsah) .
- (٣٥) وهذا الوصف بالتسخر لا ينطبق بحال ما على إحدى مدينتى المخازن اللتين بناهما الاسرائيليون بالتسخير عقب خروج الهكسوس مباشرة ، كما جاء فى أول سفر الخروج فى قوله .
- « ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه . هوذا بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا ، هلم نحتال لهم لنلا ينموا ، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض ، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير ، لكى يذلّوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن « فيثوم ورعمسيس » ..
- (٣٦) قوله : « مجاورة للبحر » واضح أنه يتعارض تماما مع وصفها فى التوراة بأنها مدينة مخازن ، لأن مثل هذه لا يصح أن تجاور البحر ولا أن تجاور الصحراء ، بل إنما يلزم أن تكون فى أرض عامرة ، قريبة من العاصمة ، التى كانت إذ ذاك ، مدينة (صان الحجر) المسماة بالمصرية (صوعن) .
- (٣٧) « هرميتس » هرمس المصرى ، أى (تحوت) إله المعرفة
- (٣٨) « هيكل أمون » : يعنى به معبد أمون بالواحات ..

(٢٩) كذا فى الأصل « ساديت » ، وربما كانت محرفة عن (سددت) ، وهى مجم الرهرة
إلهة سيبا المصرية

(٤٠) « إستاروت » . يريد عشره ، من آلهة بابل واشور ، وهى الزهرة أيضا ، روجه الآله
(بعل) وقد يرمزون لها تارة بالقمر

(٤١) « بيرو » كذا فى الأصل ، وربما يعنى (بيروت) ، يريد به (مجمع الآلهة فى
السماء) فيما يسميه المصريون قديما « التاسوع »

(٤٢) (اتوم) ، الإله المصرى (رع اتوم) ، ابو البشرية فى العالم
(٤٢) قوله « الحيتيين » ، تحريف . والأصح أنه يريد به الحاتيين الأناضول ، فى الشمال

من سوريا ، وليس الحيتيين الكنعانيين فى فلسطين
(٤٢) « الحليل » الحرة الشمالى من فلسطين ، غربي بحيرة طبرية ، وأهم مدنه الباصرة
وطبرية وكهرباجوم

والذى يبدو من ذلك الوصف لمدينة (رعمسيس) ، التى بناها الملك رمسيس
التانى ، أو أعاد بنائها ، أنها بعبها حصن (قاريس القديم) ، الذى كان الملك
« أحمس الأول » ، قد هذه عقب طرد الهكسوس سنة ١٥٦٨ ق م

(٤٤) وقد كتبها هنا النص الذى فى النسخة العربية من التوراة ، بالأصحاح الأول من سفر
الخرع . بدلا عما جاء فى ترجمة المحاصرة عن الفرنسية . لكونها ركيكة التعبير

(٤٥) « المارير » يعنى (المارو) وهم شرطة من البدو حراس الحدود
(٤٦) قوله « الذى كان على عرش مصر فى زمن موسى » ، غير صحيح ، لأن موسى

ولد سنة ١٥٤٨ ق م ، وبعد خروج بني إسرائيل من مصر سنة ١٤٦٨ ، كان له من
العمر ثمانون سنة . والتأت فى التاريخ أن (رمسيس التانى) اعتلى العرش فى
أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد . سنة ١٢٨٨ ق م

وبذلك لا يمكن أن يكون (رمسيس التانى) هو فرعون موسى ، وبالتالى لا يصح
القول بأن خروج اليهود كان فى عهد ابنه الملك (مرستاح - ميفتاح الأول
١٢٢٢ / ١٢١ ق م)

(٥٠) « ايبرو » تحريف من « ايبر »

(٥٨) « نابل المصرية » أى « نابليون » ، وهى مصر القديمة ، فى جنوب القاهرة الآن

(٤٩) « برساتين » لا يوجد مثل هذا الاسم فى البلاد المصرية . ويبدو أنه محرف عن
اسم ناحية « الزيتون » . وهى إلى الشمال الشرقى من القاهرة ، من مدخل مصر
الحديدة (هليوبوليس) ، وكأنه أراد أن ينطقها ، (نى ريتون)

(٥٠) « وادى التيه » يعنى به هنا الطريق الصحراوى إلى السويس ، وهو طريق القوافل
القديم

(٥١) قوله « على اليسار » يريد يسار الواقف فى « هليوبوليس » متحفا منظره إلى
الشمال الطبوغرافى - وهى الأصل « على الشمال من مدينة رمسيس »

(٥٢) « ماراريه » كذا فى الأصل ، والأشبه أنه تحريف لاسم ناحية (المطرية) ، من
مداخل « هليوبوليس » أيضا

(٥٣) بالأصل « وادى ميلات » ، وهو تحريف عن « الطميلات » .

(٥٤) كذا بالأصل « أم حيدب » . ويبدو أن صحة الاسم (أم حسب)

(٥٥) « مانيس » الاسم اليونانى لمدينة (صان الحجر) . يفرض أنها كانت تنطق فى
القديم (صوعر - او دوعن)

وَقَوْلُهُ « مَعْرَدَةٌ عَنْ مَدِينَةِ تَابِيسَ . . . » يَعْنِي أَنَّهَا لَيْسَتْ هَذِهِ ، وَأَنَّ كَانَا جَمِيعًا فِي مَبْطَأَةٍ وَاحِدَةٍ
(٥٦) كَذَا بِالْأَصْلِ (تَابِيسَ أَمُون) - وَلَعَلَّهُ يَعْنِي هَيْكَلًا بَنَاهُ رَمْسِيسُ الثَّانِي فِيهَا لِلإلهِ أَمُون ، فِي الْجِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْهَا
وَالْمُرَادُ مِمَّا قِيلَ فِي ذَلِكَ أَنَّ رَمْسِيسَ الثَّانِي أَعَادَ بِنَاءَ حَصْنِ أَوَارِيسَ مَعْدُ طَرْدِ
الْهَكَسُوسِ وَجَعَلَ مِنْهُ مَدِينَةً حَصِينَةً ، وَبَنَى فِيهَا هَيْكَلًا لِلإلهِ أَمُون ، وَسَمَّاها بِاسْمِ
(نِي رَعْمْسِيسِ)

(٥٧) فِي الْأَصْلِ « تَابِيسَ الْكَبِيرِ » وَهَذَا يَعْنِي مَدِينَةَ (صَانِ الْحَجَرِ) الْقَدِيمَةَ ،
وَمَتَى كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ سِيَاقَ الْقَوْلِ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ مَا تَقْدُمُ ، وَيَبْدُو هُنَاكَ خَلْطٌ فِي الْقَوْلِ ،
وَاللَّائِقُ بِالْمَعْنَى أَنَّ التِّي بَنَاهَا رَمْسِيسُ الثَّانِي سَمَّاها (تَابِيسَ الْكَبِيرَةَ) وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ
هِيَ صَانِ الْحَجَرِ بَعِينَهَا .

(٥٨) « ذَوَان » هِيَ صَوْعَن - أَوْ ذَوْعَن ، وَكِلْتَاهُمَا لَفْظُ (صَانِ) بِالْعَرَبِيَّةِ ، هَذَا مَعَ مَرَاعَاةِ
أَنَّ اللَّفْظَ يَطْلُقُ عَلَى الْأَرْضِ الْمُحِيطَةِ بِهَا أَيْضًا بِوَجْهِ عَامٍ ، وَيَطْلُقُ عَلَى الْمَدِينَةِ عِنْدَ
التَّخْصِيسِ .

(٥٩) فِي الْأَصْلِ « الْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالسَّتِينَ .. » وَالصَّحِيحُ مَا اثْبَتَاهُ فِي الْمَتْنِ عَنْ
التَّوْرَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ الْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ ، فِي الْآيَتَيْنِ (١٢ ، ١٣) وَنَصَبَهُمَا .
* قَدَامَ آبَائِهِمْ صَنَعَ أَعْجُوبَةً فِي أَرْضِ مِصْرَ ، بِلَادِ صَوْعَنَ ، شَقَّ الْبَحْرَ فَعَبَّرَهُمْ
وَنَصَبَ الْمِيَاهَ كَسَدَ *

تَمَّ فِي الْآيَتَيْنِ (٤٢ وَ ٤٣) وَنَصَبَهُمَا
* تَمَّ يَذْكُرُوا يَدَهُ يَوْمَ فِدَاهِمَ مِنَ الْعَدَدِ ، حَيْثُ جَعَلَ فِي مِصْرَ آيَاتِهِ وَعَجَائِبَهُ ، فِي
بِلَادِ صَوْعَنَ *

(٦٠) قَوْلُهُ « فِي زَمَنِ مَلُوكِهِمْ .. » يَعْنِي ، بَعْدَ الْخُرُوجِ عِنْدَمَا صَارَتْ لَهُمْ مَمْلَكَةٌ ..
(٦١) وَذَلِكَ الرَّسْمُ الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ ، إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ (صَانِ الْحَجَرِ) ، فَعَلًا ، فَإِنَّ هَذِهِ لَمَّا
كَانَ مَوْقِعُهَا عَلَى بَحْرِ صَانِ فَإِنَّهَا تَتَّصِلُ بِهَذَا الْمَجْرَى مَعَ بَحِيرَةِ الْمَنْزَلَةِ ...
فَأَمَّا إِذَا كَانَ يُشِيرُ إِلَى مَوْقِعِ (أَقَارِيسِ) فَإِنَّ هَذِهِ قَرِيبَةٌ مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ
شَمَالًا وَتَتَّصِلُ مِنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ بِالْفَرْعِ الشَّرْقِيِّ لِلنَّيْلِ ، الْمُسَمَّى فَرْعَ الطَّيْنَةِ قَدِيمًا

(٦٢) « الطَّرِيقُ الْكَبِيرُ » . هُوَ الطَّرِيقُ السَّاحِلِيُّ بِحِذَاءِ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ ، وَيَبْدَأُ مِنَ الْقَنْطَرَةِ إِلَى
الْعَرِيشِ وَرَفَحَ ، تَمَّ إِلَى غَزَّةَ جَنُوبِيَّ فِلَسْطِينَ .

(٦٣) وَهَذِهِ الْبَيْتُ كَانَتْ تُسَمَّى أَيْضًا « بَيْتُ مَجْدَل » وَالتَّسْمِيَةُ فِي دَاتِهَا .
(٦٤) إِقْلِيمُ « سَوَكُوت » كَانَ يَطْلُقُ عَلَى الْحَرِّ الشَّرْقِيِّ الْمُتَطَرِّفِ مَحَوِ الْبَرِّيَّةِ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ يُرَادُ
بِهَذِهِ التَّسْمِيَةُ الْإِقْلِيمُ الَّذِي يَسْكُنُهُ الْبَدْوُ وَالرَّعَاةُ أَصْحَابُ الْخِيَامِ ، وَيَحِيطُ بِمَنْطَقَةِ بَحِيرَةِ
الْمَنْزَلَةِ ، تَمَّ يَتَحَهُ شَرْقًا نَحْوَ مَجْدَلِ وَبِيلُوزِيومَ وَقَاطِيهِ فِي الصَّحْرَاءِ

(٦٥) « بِيدُوم » هِيَ أَيْضًا بَيْتُومَ أَوْ (قَيْتُوم) .
(٦٦) « الطَّرِيقُ الْفَرْعُونِيُّ الْكَبِيرُ » يَعْنِي بِهِ الطَّرِيقُ السَّاحِلِيُّ الْعَامُّ وَكَانَ يُسَمَّى أَيْضًا .
طَرِيقُ حُورَسَ

(٦٧) « بَدُو أَدُوم » . الْبَدُو الْعَرَبُ فِي جَنُوبِ فِلَسْطِينَ وَالْأَرَبِينَ

(٦٨) « منقطا » هو الملك « مفتاح الأول » ، المسمى أيضا (مرتبتاح)
 (٦٩) قوله « . في أيام خروج بني إسرائيل في مصر ، إنما هو على زعم أن خروجهم كان في زمن الملك مرتبتاح » في سنة ١٢٢٠ ق م ، والصحيح في الخروج انه كان في عهد الملكة « حتشيسوت » سنة ١٤٦٨ ق م ، وصاحب المحاضرة هنا ، قد اختلط عليه الأمر عندما اعتقد أن (بي رمسيس) التي بناها الملك رمسيس الثاني ، هي إحدى مدينتي المخازن ، اللتين بناهما بنو إسرائيل بالتسخير ، بعد خروج الهكسوس فقرن هذه بمدينة صان الحجر القديمة أو بما يعيد أنها حصن أو أريس
 (٧٠) تاريخ يوسف الصديق ، أو قصته في مصر ، ليس لها علاقة بتاريخ الخروج ، لأن هذا إنما كان بعد وفاة يوسف بما يقرب من مائة وأربعين سنة ، حيث كانت وفاته بعد طرد الهكسوس بقريب من أربعين سنة
 (٧١) « جاسان » يعنى الأرض التي عاصمتها صان الحجر الشرقية ، وهى مدينة (تانيس) باليونانية
 (٧٢) « الأقليمين » يعنى إقليم « سوكوت » المتطرف شرقا تم اقليم « تانيس » الواقع جنوبى بحيرة المنزلة ، بين بحر صان وبين الفرع الشرقى للنيل
 (٧٣) ليس فى جغرافية هذه المنطقة لفظ « السهرجية » وإنما هو فى الحقيقة مسسوب إلى اسم مدينة « صان الحجر » ، غير أن صعوبة اللفظ به فى لهجة غير عربية جعلت حرف « الراء » مقدما على حرف « الحيم » ، كما فى قولك الصان حجرية ، فتقلب إلى (الصان حرجيه) وبالتخفيف تتحول إلى « السهرجية » ، وبالتالى لا يطبق هذا على الاقليم العربى الجنوبى ، الذى عاصمته « فقوسة » إلا إذا كان هذا ضمن داك منذ أول الأمر

(٧٤) لفظ « فقوسة » أو « فاقوسا » القديمة يختلف عن لفظ « فاقوس » التى هى أحد مراكز محافظة الشرقية الآن

فإن « فقوسة - Phaqusa » عاصمة إقليم (عربيا Arobia) باليونانية ، هى التى تعرف فى الآثار باسم (سيدت) نسبة إلى نجم الشعرى اليمانية ، وأطلالها إلى الشمال من قرية « صفد الحنة » ، فيما بين الرقاريق وأبوحمد ، وتوجد فى الخرائط الطبوغرافية يمثل هذه التسمية باللاتينية (Phacusa فاقوسا) .

فأما « فاقوس » المركز ، ويبدو أن التسمية محدثة عن تلك باسم (فاقوس Phaeus) فهى التى بين أبوكبير والصالحية ..

(١) لفظ (ذوان) هو فيما نرى ، تحريف أو استعمال لفظى آخر بدلا عن (صوعس) فأما (جيزم ، وجيزان ، وجوديم) ، فجميع هذه يراد بها لفظ (جاسان) ، بمعنى أرض (صان) ، وواضح أن لفظ (صان) هنا تحريف أو تخفيف للاسم (صوعس) أو (ذوان) .

(٧٤) « جوديم » لفظ يبدو أنه محرف عن « جاسان » ، ونهايته بحرف « الميم » جائز فى اللغات السامية القديمة بدلاً من « النون » .

(٧٥) « جيزن » وهذا اللفظ هو أيضاً بعينه « جيزم » ، وكلاهما كذلك . (جوديم) ، وجميع هذه تجزح بالتحريف عن النطق بسامم (جاسان) ، ونحن هنا لا نرى بادرة اتصال تؤدي إلى التحريف بين « فاقوس » وبين النطق بلفظ (جاسان)

(٧٨) لفظ (قا) ، يبدو أن الأصل فيه (قى) بمعنى ناحية أو قرية ، غير أنه يصح النطق به بلفظ (قى) كما فى (مى أتوم) فتسقط أيضاً . (قيتوم ، أو بيتوم) ، وكلاهما اسم واحد ..

فأما مدينة « الفيوم » فالأصل فيها (بى يوم) ، فتنتقل أيضا إلى (قيوم) وتنطق بالعربية (فيوم) ، وأسماء الأعلام بالعربية (بيومى) يبدو أنها نسبة إلى (الفيوم)

(٧٩) قد يتعذر الأخذ بلفظ (فاجوزيم) على أنه « فاقوسة » أو « فاقوس » ، لأن (حوديم ، وجيذن ، وجودين) جميعا ، يراد بها أصلا لفظ (جاسان) بمعنى أرض صان ، ولا معنى للاضافة هنا ابتداء بلفظ (فا)

(٨٠) وبص التوراة ، عن الترجمة العربية ، سفر التكوين - ص ٤٧ /
* فكلهم فرعون يوسف قائلا أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدماك ، هي أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ، ليسكنوا في أرض جاسان ، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذرو قدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التى لى *
وأرض جاسان ، هي أيضا أرض رعمسيس ، لأنه فى موضع آخر منه قال * فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكا فى أرض مصر ، فى أفضل الأرض ، فى أرض رعمسيس ، كما أمر فرعون *

(٨١) « جودين » هي التى فى نص التوراة أنفا ، باسم أرض « جاسان » ، ومن هنا يتبين أن القول عن « فاقوس » بأن الأصل فيها « جوديم » ، تم تقدمها ابتداء لفظ (فا) ، ليس بصحيح

(٨٢) السلالات المصرية الخالصة ، هم سكان الوجه القبلى ، وبلاد النوبة ، وأهل منطقة قفط وادفو خاصة ، فأما سكان الوجه البحرى فأكثرهم حليط من الليبيين واليونان فى شمال وغرب الدلتا ، فأما شرقي الدلتا فهم من المبدأ بدو أدوم وفلسطين ، وبعض العمالق الذين آتروا حياة المدن بدلا عن الخيام فى البرارى
(٨٣) وأكثر هؤلاء هم سكان دمياط والمنزلة والمطرية ، ويحتمل أن يكون معظمهم من الجاليات الساحلية فى سوريا ولبنان ، ممن هاجروا إلى مصر واحترفوا صيد الأسماك

(٨٤) وأسماء البلاد والحصون وغير ذلك ، مما هو بالعبرية ، فإنه يرجع إلى عهد قديم عندما أقام بنو إسرائيل فى مصر مائتى وعشر سنين ، أكثرها فى عهد الهكسوس ، فضلا عن وجود بعض المقاطع التى تشترك فى أكثر من لغة واحدة

(٨٥) كذا بالأصل « ذوان وتال » ، بفرض أن كليهما (صوعن) التى يقول إنها « رمسيس » التى بناها (رمسيس الثانى) ، والأشبه أنه يريد (صوعن وتاسال) وفى التاريخ ، فأما « صوعن » فهو مدينة (صان الحجر) ، وأما « تاسال » ، فهى قلعة بناها الملك (أحمس الأول) بدلا عن حصن (أواريس) الذى كان يتحصن فيه الهكسوس ، فلما طردهم هدم الحصن وبنى بدلا عنه قلعة « تاسال » . انظر « العقد الثمين » لأحمد كمال ، مآثر الملك أحمس الأول - الأسرة الثامنة عشرة .

(٨٦) « الخالو - الخارو » يعنى بدو الشام ، من أهل سوريا ، وقد يقال « شارو »
(٨٧) « الفينيقيون » جنس من سكان فلسطين ممن كانوا يقطنون المدن الساحلية ، وهم بطن من الكتعانيين ، البدو يرفضون الخضوع تحت حكم الأمم القوية التى توالى على فلسطين ، فلما يتسوا اضطروا إلى الانسحاب شمالا إلى ساحل لبنان ومن مديهم صور وصيدا وبيروت وطرابلس .

(٨٨) « بيمانية » هذا اللفظ يبدو أنه غير عربى تماما ، وأنه نطق كذلك ، على أنه صفة قوم

غير معروفين الهوية يحترفون الارتزاق مما فى الماء من البحيرات التى فى شمال الدلتا ، وقد يريد بذلك أنهم صيادو الأسماك

(٨٩) كذا فى الأصل « بارتمورية » ، ولسنا من هذه التسمية على ثقة ، وربما كان يعنى لفظ (بارتيينية Parthenie) ، صفة لقوم غير معروف أصلهم ولهجتهم « والبرطمة » فى العامية المصرية هى اللهجة التى يتعذر تمييز مقاطعها المصوتة ، كالرطانة

(٩٠) قوله « التى كان ينتظر فيها الاسرائيليون . » ، يعنى ، مدينة (صان الحجر) ، وهى التى يقول إنها المدينة التى بناها ، أو أعاد بناءها (رمسيس الثانى) . (٩١) والتوراة لم تذكر بالاسم أحدا من الملوك الفراعنة فى قصة بنى إسرائيل ، غير أن الذى يؤكد أنهم خرجوا قبل عهد (منفتاح الأول) بقريب من مائتين وخمسين سنة ، أن ما بين الخروج إلى السنة الرابعة من حكم الملك « سليمان بن داود » ، خمسمائة سنة تماما

(٩٢) قوله « وانصم إليهم جمع غفير . » ، إن كان صحيحا ، فإن هذه الزيادة لم تدخل فى جملة العدد ، الذى ذكر فى الخروج ، لأنه كان عدا فعليا ، لبني إسرائيل بحسب اسباطهم - انظر (سفر العدد) من التوراة

(٩٣) « الطريق الكبير الفرعونى » هو الطريق الحربى الساحلى ، الذى كانت تسلكه الجيوش ، من مصر إلى فلسطين وما وراءها

(١٩٤) « إيزام » ، كذا بالأصل ، وفى التوراة (إيتام) ، وهذه هى أيضا (بيتوم)

(٩٥) بالأصل « فى اليوم التاسع عشر من شهر ابيعى ... » يعنى شهر ابريل (٩٦) « خاطوم » يبدو أنها (اشتوم) ، وهى لفظ اصطلاحى مصرى ، يعنى مصب النهر ، ولعل المراد حصن « أواريس » الذى فر منه الهكسوس إلى فلسطين ، وكان منسوباً فى التسمية إلى اشتوم فرع الطينة .

(٩٧) « سيتى منفتاح » هو سيتى الثانى ، ثانى ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، ويلقب (منفتاح)

(٩٨) « سيزوستريس » لفظ يونانى ، كان يطلق على الفراعنة العظام ، مثل (سيتى الأول ، ورمسيس الثانى ، وتحتمس الثالث) ..

(٩٩) ونص هذا القول فى التوراة - (سفر الخروج - ص ١٤)

* وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الجيروت ، بين مجدل والبحر ، أمام بعل صفون ، مقابلة تنزلون عند البحر ، فيقول فرعون عن بنى إسرائيل هم مرتبكون فى الأرض ، قد استغلق عليهم القفر . . * (١٠٠) كذا فى الأصل « بيهاخيروت » ، والمراد « فم الحيروث » - وهذه محرفة عن المصرية « حات وارت » ، وهى قلعة أواريس ، والمعنى (أمام مدخل أواريس عند البحر ، تنزلون . . »

(١٠١) فى الأصل (بال ذيقون) ، وهذه بها أيضا بعض التحريف والمراد بها (بعل صوعن) أى تجاه معبد الإله فى (صوعن) ، وهى صان الحجر

(١٠٢) « إيزام » . يعنى إيتام ، أو فيتام ، أو بيتام

(١٠٣) بالأصل « الحيتيين » - بالكسر ، والأصح الحتيين ، من جنس ترك الأناضول ، الذين غزو سوريا وفلسطين ، وهم أصحاب المعاهدة التى تمت مع الملك رمسيس الثانى ، فأما لفظ الحيتيين فهم بنو (حثا) الكنعانى الأصل ، وليس لهؤلاء شأن فى المعاهدة

(١٠٤) « سيل » يبدو أنها (تاسال) التي ذكرت قبلا ، وهي القلعة التي بناها أحمرس الأول بعد خروج الهكسوس ، بدلا عن « أواريس » التي كان قد أمر بهدمها ، وتعرف أيضا في الآثار باسم (زالو)

فأما قوله « بين بليز وسيل » يعنى فيما بين قلعة « بليزيوم » وهي « أواريس » أيضا ، وبين « زالو »

(١٠٥) « سربونيس » بحيرة المنزلة

(١٠٦) « جبل كاديوس » يبدو أنه يريد كتيب ستر قاطية ، إلى الشرق من الفرما Pelusium

(١٠٧) « أرتكرركسيس » الملك « ارتخشاشا » الفارسي (٤٦٥ / ٤٢٥) ق م سادس ملوك الأسرة السابعة والعشرين الفارسية والكلام لا يزال عن بروكس الالمانى صاحب المحاضرة .

(١٠٨) « صحراء شور » هي برية شور ، المحصورة بين الطريق الساحلى إلى غزة وبين الطريق الصحراوى إلى فلسطين وسوريا ، فى المنطقة الواقعة إلى الشرق من بحيرة المنزلة

(١٠٩) « مارا » ، فيما يرى أنها ليست البحيرة المرة ، وإنما المراد بها « ستر مر » ، إلى الشمال من عيون موسى ، وتقع فى سطح جبل مر (انظر خرائط الحملة الفرنسية)

(١١٠) « اليم » ، فى التوراة « ايليم » ، وهي عيون موسى على خليج السويس ، فى الشاطئ الشرقى ، قرب « الكورنتينة » نحو الحبوب الشرقى ، وقد كانت قديما عدة أبار على الروابى يحيط بها النخيل

(١١١) « الجريدة » يعنى بها النخلة - (انظر المراحل التى ساج فيها ببو اسرائيل) المرحلة الأولى والثانية ، وما يليهما .

(١١٢) قوله إن صحراء شور هي المحصورة بين البحر المتوسط وخليج السويس ، ليس صحيحا تماما ، لأن برية سيبا هي التى تصل إلى خليج السويس ، فأما برية شور ، فإما تنتهى إلى طريق القوافل القديم الممتد من الاسماعيلية عبر سيبا ، ولا تتجاوز شرقا الطاسة وستر قاطية ، يليها سهل العريش

(١١٣) قوله « هي البركة المرة » قد يكون غير صحيح أيضا ، لأن هذه لم تكن على الحرائط الطبوغرافية فى ذلك الحين . وإنما كانت توجد بحيرة التمساح والمراد باسم « ماء مارة » هو النثر المسماة كذلك فى سفح جبل مر ، شمالى عيون موسى إلى الشرق بمقدار ١٠,٠٠ كيلومترات تقريبا ، وبوجه آخر لا يصلح مثل البحيرة فى أن تحلى مياهها بإلقاء أعصان من الشجر فيها تمتص ملوحتها ، كما فعل النبى موسى

(١١٤) وفى التوراة سفر الملوك الأول ، ص ٦ - قوله

« وكان فى سنة الأربع مائة والتمانين لخروج ببى إسرائيل من أرض مصر ، فى السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل ، فى شهر ريو ، وهو الشهر الثانى » أنه ببى البيت للرب »

فهرس

٥	تصدير
٨	مقدمة
الباب الأول البدء منذ آدم الى ابراهيم الخليل	
١٦	الفصل الأول البدء من لدن آدم
٢٤	الفصل الثاني . الطوفان بين ادم وبين ابراهيم في ضوء التقويم العبرى
٢٣	الفصل الثالث نسل ادم قبل الطوفان
٤٥	الفصل الرابع نسل اولاد نوح بعد الطوفان
الباب الثاني انتشار قبائل اولاد نوح بعد الطوفان	
٥٦	الفصل الخامس القبائل السامية
٦٣	الفصل السادس القبائل الحامية
٨٠	الفصل السابع القبائل الآرية
الباب الثالث المدخل إلى تاريخ مصر القديم والوسيط الأول	
٨٨	الفصل الثامن . العصر العتيق في مصر
١٠٢	الفصل التاسع الاسرات الملكية في الدولة القديمة والعهد الوسيط الأول
١٠٨	الفصل العاشر نسل ابراهيم الخليل - « ابرام » -
الباب الرابع . تاريخ مصر في العهد الوسيط الثاني	
١٢٠	الفصل الحادي عشر بنو اسرائيل - الأسباط الإثنا عشر
١٢٧	الفصل الثاني عشر غزو الهكسوس لمصر ، في العهد الوسيط الثاني
١٤٢	الفصل الثالث عشر يوسف الصديق ، ويدخل بنو اسرائيل إلى مصر
الباب الخامس خروج بنو اسرائيل بقيادة موسى النبي	
١٦٠	الفصل الرابع عشر الأسرات الفرعونية في عهد الدولة الحديثة
١٧٨	الفصل الخامس عشر . موسى النبي وخروج بنو اسرائيل من مصر
١٨٩	الفصل السادس عشر سنو التيه في البرية والطريق الى كنعان
٢٢٥	الفصل السابع عشر أقاويل المؤرخين في الخروج

رقم الإيداع ٩٤٩٦ - ١٩٩٠
I . S . B . N .
977 - 07 - 0052 - 5

